الإســلام ديــن الحــب

الأستاذ الدكتور

محمد سلامة محمد غباري

الطبعة الأولى

٢٠١١م -١٤٣٢هـ

دار شريف للنشر والتوزيع

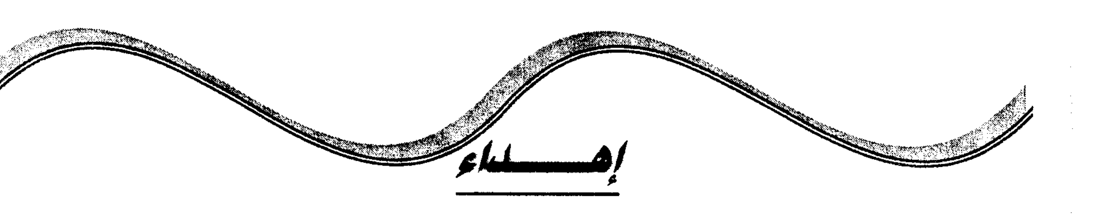
إدكو – شارع زغلول – البحيرة

٢١٤ محمد سلامة غبارى
م . س
الإسلام دين الحب /تأليف محمد سلامة غبارى؛ —
إدكو : دارشريف للنشر والتوزيع ، ٢٠١٠ .
٢٥٦ ص ؛ ٢٤ سم .
تدمك : ٦- ٥٢ - ٦١٤٣- ٩٧٧

الناشر : دار شريف للنشر والتوزيع
إدكو - شارع سعد زغلول - محافظة البحيرة
تليفون : ٢٩٠٣٦٦٢/ ٠٤٥ فاكس : ٢٩٠٣٦٦١/ ٠٤٥ موبايل : ٠١٢٧٧٢٣٩٣٠
رقم الإيداع : ١١٥٢١
الترقيم الدولى : ٦- ٥٢ - ٦١٤٣- ٩٧٧

جمع وإخراج : المركز الدولى للتكنولوجيا I.T.C
هناء حسن عبد النبى
منى محمد بركة

طبعة ٢٠١١



إهـــداء

إلى كل من يهمه نجاح التنشئة الإجتماعيـة تنـشئة إسـلامية بأساليب التربية الإسلامية التى تهدف إلى تنمية الشخـصية تنمية متكاملة :نفسيًا ، وعقليًا ، وإجتماعيًا ، وجسميًا ، والتـى يترتب عليها تكوين المواطن الصالح الذى يتحمل مـسئولية بناء المجتمع وإنمائه ، أهدى هذا الكتاب .

أ. د / محمد سلامة محمد غبارى

مقدمـــة

الدين الإسلامى يقول أنه من الممكن تعديل سلوك النفس البشرية وتغيير سلوكها جوهريًا وإخراجها من الظلمات إلى النور ومن حضيض الشهوات إلى ذروة الأخلاق الكريمة ، وقمة العلاقات الاجتماعية السليمة التى تعتمد على قيم الدين الإسلامى ومبادئه الجليلة ، القادرة على تنمية الأجيال القادرة على تحمل مسئولية بناء المجتمع وإنمائه .

والتربية الإسلامية لا تغفل واقع الطبيعة البشرية ، وما رُكِّب فيها من تنوع الطاقات والإتجاهات والمستويات ، ولا تُلزم الناس بصورة مثالية محددة ، إنما تطلب من كل إنسان أن يبلغ حدود الكمال الممكن له بحسب إستعدادته وطاقاته وإمكانياته وإتجاهاته ، وكل ما تفرضه التربية الإسلامية هو المحاولة الدائمة لبلوغ ذلك الكمال الخاص فى حدود الإطار الإسلامى العام ، وهنا تظهر واقعية الدين الإسلامى فى علاج النفس البشرية ، وقدرته الفائقة على تكوين وتنمية الشخصية الإسلامية فى كل مراحل تنشئتها وتنميتها .

والدين الإسلامى يعتمد فى تربيته الإسلامية على منهج واقعى نظيف يحسب الإنسان بفرديته من حيث طاقاته وقدراته وصفاته واستعداداته ، ولذلك لا يكلفه بعمل المستحيل بل يطلب منه المحاولة الدائمة للبناء والإنماء بقدر إستطاعته، وهو بفطرته يستطيع الكثير ، والإنسان فى واقعية المنهج الإسلامى كائن ليس بالملاك ولا بالشيطان ، ولكنه قادر على الصعود لنظافة الملائكة ، وقادر على الهبوط إلى دنس الشيطان بكل إنحرافاته وشهواته ومشكلاته .

والدين الإسلامى بمنهجه السليم فى التربية قادر على حماية الإنسان من الهبوط إلى دنس الشيطان وقادر على علاج مشكلاته وإنحرافاته ، وقادر على ضبط وتهذيب شهواته ، لأنه المنهج الربانى السليم المناسب للحياة بما فيه من حماية ووقاية وعلاج ، وفيه الخلاص والنجاة ، فهو المنهج الربانى لتقويم البشرية ، وتدعيم العلاقات الإنسانية ، لترشُد وتتوازن وتمارس رسالتها المستقيمة فى الحياة ، فإن فى إيمانها بالله تجد الأمن والرعاية فى حماه ، وتجد التوجيه الراشد فى منهجه للحياة ، وما عليها إلا أن تؤدى واجبها فى الأرض متوكلة على الله فى السماء تسعى للرزق بكل ما أوتيت من قوة ، تسير مع الأقدار مؤمنة بأنه لن يصيبها إلا ما كتبه الله لها .

وفى هذا الكتاب عرض سريع لبعض قيم ومبادىء الدين الإسلامى التى كانت أساس التنشئة الإجتماعية التى ربّى عليها رسولﷺ الإسلام حتى صارت خير أمة أُخرجت للناس .

وهذا الكتاب يحتوى على ثلاثة فصول : الفصل الأول قيم ومبادئ الدين الإسلامى ، والفصل الثانى التربية الإسلامية ، والفصل الثالث الإسلام نظام دينى ضابط للحياة ، وقد تم عرضه بأسلوب سهل مبسط ليستفيد منه كل من يهمه التنشئة الإجتماعية على أسس سليمة ، والله الموفق والمستعان .

المـــــؤلف

أ.د محمد سلامة محمد غبارى

مارس ٢٠١٠ م

الإسكندرية

البــاب الأول

الباب الأول

الفصـــــل الأول : الإسـلام ديـن الحـــب .

الفصـل الثـانى : الإسـلام ديـــن الأخلاق .

الفدسل الثـالث : الإســــلام دين العلـم .

الفصـــل الرابع : الإسلام دين التقـــوى .

الفصل الخامس : الإســلام ديـن الحـــرية .

الفصل السادس : الإسلام دين الإخـلاص .

الفصل السـابع : الإسلام دين الشـــورى .

الفصل الثامن : الإسلام ديـــن المســاواة .

الفصل التاسع : الإسـلام ديـن الإخـــاء .

١- الإسلام دين الحب

الإسلام دين الحب

تُحاول الأمم دائمًا أن تجد وسيلةً توصِّلها إلى مجتمع متحاب متعاون يشعر أفراده بعلاقة قويه بينهم ، يتفقون فى العقيدة والفكر والطريق والهدف وتحاول جاهدة ، أن تشحذ أفكار العلماء ، أو تستخلص نتائج الدراسات والتجارب ، ولكنها رغم كل إمكانتها لم تستطع الوصول إلى ذرة من أمل ، ولكن مبدأ واحد من مبادىء الدين الإسلامى يقررُّ هذه الأمنية التى يحلم بها مفكرو هذا العالم .

(لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه)

أخوة فى الإسلام ، أخوة فى العقيدة ، تجعل الفرد يشعر أنه جزء من أخيه يتوقف إيمانه على حبه وإيثاره ، وليس حبا معتادا أو إظهار شعور وعاطفة ، ولكنه حب متمكن يساوى محبة الفرد لنفسه ولا شىء فى الدنيا أحب إلى الإنسان من نفسه (١) .

فالحب هو الذى يبنى المجتمعات ويزرع الثقة ، ويدفع للعطاء ، ويجعل الناس يتعاطفون مع بعضهم بعضا بعد أن جعلهم يحسون بقيمتهم الإنسانية وقيمة الإنسان من حولهم ، وإذا تحاب الناس وتآلفوا تكونت بينهم علاقة المحبة الأخوية علاقة الإحترام والثقة ، تلك العلاقة التى يعتمد عليها الإسلام فى تغيير الناس وإنما شخصياتهم ، لذلك احتفى الإسلام بروابط الصداقة النقية ووشائج الحب الصادق وطالب بالحرص عليها لله وفى الله ، وجعلها إحدى خصال ثلاث يُدرك بها المسلم حلاوة الإيمان ولذته ، **قال ﷺ :(ثلاث من كن فيه وجد حلاوة الإيمان : أن يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما ، وأن يحب المرء لا يحبه إلا لله ، وأن يكره أن يعود إلى الكفر كما يكره أن يُقذف فى النار)** (٢).

---

(١) عبد العزيز المسند ، غذاء الروح ، صـ١٢ .
(٢) حديث صحيح .

ويقول الله فى الحديث القدسى (المتحابون بجلالى فى ظل عرشى يوم لا ظل إلا ظلى) . وهذا ثواب الله وأجره فى الآخر للمتحابين (١) .

وقال ﷺ :(إن من عباد الله ناسا ما هم بأنبياء ولا شهداء يغبطهم الأنبياء والشهداء يوم القيامة بمكانهم من الله تعالى قالوا : يا رسول الله فخبرنا من هم ؟

قال : هم قوم تحابوا بروح الله على غير أرحام بينهم ولا أموال يتعاطونها والله إن وجوههم لنور، وإنهم لعلى نور، لا يخافون إذا خاف الناس ولا يحزنون إذا حزن الناس ، وقرأ :

﴿ أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ (٢) .

لذا يرى ابن تيمية أن من شروط الإيمان التحاب والتواد / وأن تحب لأخيك ما تُحب لنفسك ، والمحبة والمودة التى بين المؤمنين إنما تكون تابعة لحبهم لله تعالى ، فإن أوثق عرى الإيمان الحب فى الله والبغض فى الله ، فالحب لله من كمال التوحيد ، والحب مع الله شرك ، **قال تعالى** :- ﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَتَّخِذُ مِنْ دُونِ اللهِ أَنْدَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللهِ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُّ حُبًّا للهِ ﴾ (٣) .

ومن أحب الله أحبه الله ، ومن ود الله وده الله ، فَعِلمَ أن الله أحبهم وودهم بعد التوبه كما أحبوه وودوه ، بل يدل كل من الكتاب والسنه على أن الله يحب التوابين ويفرح بتوبة التائبين (٤) .

---

(1) كمال محمد عيسى ، " العقيده الإسلامية سفينه النجاه" صـ ٤٩٨ .
(2) أبو داود .
(3) سورة البقرة : آية ١٦٥ .
(4) فتاوى ابن تيميه الجزء الثانى صـ٢٩٠ .

إن المجتمع المتحاب بحب الله المُلْتقِى على شعائر الإسلام ، يَعتمد فى بنائه ونمائه على المحبة الصادقة والمودة المخلصة ، فهى أقوى الدعامات التى يرتفع عليها البناء ويتم بها النماء ، وقد رأينا كيف كانت أواصر المحبه فى الله هى التى جمعت أبناء الإسلام أول مرة ، وأقامت دولته ورفعت رايته ، وعليه إعتمد رسول الله ﷺ فى تأسيس أمة قوية كانت خير أمة خرجت للناس.

ومحبة الله هى الغاية القصوى وهى من الدرجات العلا وما عداها من الشوق والأنس والرضا تابع المحبة ، قال تعالى : ﴿ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لله ﴾(١)

وقال تعالى : ﴿ فَسَوْفَ يَأْتِي اللهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ الله ﴾(٢) .

وفى الحديث الشريف **"لا يؤمن أحدكم حتى يكون الله ورسوله أحب إليه من أهله وماله والناس أجمعين"**

وفى الخبر المشهور أن إبراهيم عليه السلام قال لملك الموت حين جاء ليقبض روحه : هل رأيت خليلا يُميت خليله ؟

فأوحى الله تعالى إليه : فهل رأيت حبيبا يكره لقاء حبيبه ؟ فقال يا ملك الموت والآن اقبض روحى .

وقال رسول الله ﷺ **"اللهم ارزقنى حبك وحب من يحبك وحب ما يقربنى إلى حبك"** (٣).

---

(1) سورة البقرة آيه ١٦٥ .
(2) سورة المائدة آيه ٥٤ .
(3) الإمام الغزالى :"مختصر احياء علوم الدين" صـ ٢٥٣ .

"وفى أخبار داوود عليه السلام أن الله تعالى قال : يا داوود بلِّغ أهل أرضى أنى حبيب لمن أحبنى ، وجليس لمن جالسنى ، ومؤنس لمن أنس بذكرى وصاحب لمن صاحبنى ، ومختار لمن اختارنى ومطيع لمن أطاعنى ، ما أحبنى عبد – إعلم ذلك يقينا – من قلبه إلا قبلته لنفسى وأحببته حبًا لا يتقدم عليه أحد من خلقى"([1]).

إن محبة المسلم الصادقة ، ومودته المخلصة لإخواته فى الإسلام ما هى إلا دليل على محبة الله ومودته ، لأن الله إذا أحب عبدًا من عباده جعله محبوبًا من كل الناس ومحبا لهم .

ومن أحب الله وأخلص فى محبته لا يشرك أحدًا فى محبته ، يكون مخلصا فى طاعته ومقرا بكمال عبوديته ، والله سبحانه وتعالى خلق الخلق لعبادته وحده لا شريك له ، التى هى أكمل أنواع المحبة مع أكمل أنواع الخضوع ، وهذا هو حقيقة الإسلام ، والمقصود أن حقيقة العبودية وموجباتها لا تخلص مع الإشراك بالله فى المحبة ، بخلاف المحبة لله فإنها من لوازم العبودية وموجباتها ، فإن محبة رسول الله ﷺ بل تقديمه فى الحب على من سواه (على الأنفس ، وعلى الآباء والأبناء) لا يتم الإيمان إلا بها ، إذ أن محبته .. إذ أن محبته من محبة الله وكذلك كل حب لله وفى الله .. قال ﷺ"من أحب لله وأبغض لله وأعطى لله ومنع لله فقد استكمال الإيمان" .

وفى حديث آخر ما تحاب رجلان فى الله إلا كان أفضلهما أشدهما حبا لصاحبه" فإن هذه المحبة من لوازم محبة الله وموجباتها (٢) .

هذا هو الحب الذى ننادى ببعثه من جديد بعد أن أصبح سلعة نادرة وعمله غيرُ متداوله ، ولو تحاب الناس وتعاونوا وأصبح كل واحد يحب لأخيه ما يحب لنفسه ، لعاد للإسلام سالف مجده ولأصبح المسلمون من جديد خير أمة أخرجت للناس.

([1]) الإمام الغزالى : نفس المصدر صـ ٣٥٧ .
([2]) ابن قيم الجوزية :"الجواب الكافى لمن سأل عن الدواء الشافى " صـ ٥٥ .

لقد ميز "ا ن قيم الجوزيه"بين أربعة أنواع من الحب عندما قال :" وهناك أربعة أنواع من ا حب يجب التفريق بينها : (أحدهما) محبة الله ، ولا تكفى وحدها فى النجاة من عذاب الله والفوز بثوابه، فإن المشركين وعباد الصليب واليهود وغيرهم يحبون الله .

(والثانى) محبة ما يحب الله وهذه هى التى تُدْخِله فى الإسلام وتخُرِجه من الكفر وأحب الناس إلى الله أقومهم بهذه المحبة وأشدهم فيها .

(والثالثة) الحب لله وفيه وهى من لوازم محبة ما يحب الله ولا يستقيم محبة ما يحب إلا بالحب فيه وله.

(والرابع) المحبة مع الله ، وكل من أحب شيئًا مع الله لا من أجله ولا فيه ، فقد إتخذه ندا من دون الله وهذه محبة المشركين .

وبقى قسم (خامس) ليس مما نحن فيه وهى المحبة الطبيعية وهى ميل الإنسان إلى ما يلائم طبعه ، كمحبة العطشان للماء ، والجائع للطعام ، ومحبة النوم والزوجة والولد ، فتلك لا تُذَم إلا أن أَلْهَتْ عن ذكر الله وشغلته عن محبته([1]).

كما قال تعالى : **﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُلْهِكُمْ أَمْوَالُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ عَنْ ذِكْرِ الله ﴾** ([2]) **وقال تعالى :﴿ رِجَالٌ لَا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَنْ ذِكْرِ الله ﴾** ([3]) .

لما سأل إبراهيم عليه السلام الولد فأُعطِيَهُ فتعلق حبه بقلبه فأخَذ منه شعبة غار الحبيب على خليله أن يكون فى قلبه موضع لغيره ، فأمر بذبحه وكان الأمر فى المنام ، ليكون تنفيذ المأمور به أعظم ابتلاء وامتحانا ، ولم يكن المقصود ذبح الولد ولكن المقصود ذبحه من قلبه لَيَخْلُصَ القلب للرب ، فلما بادر الخليل عليه الصلاة والسلام إلى الامتثال وقدم محبة الله على محبة ولده حصل المقصود فرُفع الذبح وفُدى بذبح عظيم ([4]) .

([1]) ابن قيم الجوزيه "الجواب الكافى لمن سأل عن الدواء الشافى " صـ٢٥٦ .
([2]) سورة المنافقون ٩ .
([3]) سورة النور ٣٧ .
([4]) الجواب الكافى لمن سأل عن الدواء الشافى صـ ٢٥٧ .

وأخص علامات المحبة حبك لله وما يحبه فإن ذلك يدل على حب الله لك ، وأما الفعل الدال على كونك محبوبًا فهو أن يتولى الله تعالى أمرك باطنه ، سره ، وجهره ، فيكون هو المشير عليك والمدبر لأمرك ، والمُزَيِّنْ لأخلاقك والمُستعمل لجوارحك ، والمُبَغِّض للدنيا فى قلبك والمُوحِشُ لك من غيره ، والمؤنس لك بلذة المناجاة فى خلوتك ، والكاشف لك عن الحجب بينك وبين معرفته ، وكلها حب لله تعالى للعبد .

أما علامات محبة العبد لله تعالى ، حب ذكره وحب القرآن الذى هو كلامه، وحب رسول الله ﷺ وحب كل ما ينسب إليه ، وأوحى الله تعالى إلى داود عليه السلام :قد كذب من ادعى محبتى: إذا جنّ الليل نام عنى ، أليس كل محب يحب لقاء حبيبه فها أنا ذا موجود لمن طلبنى .

وقال يحيى بن معاذ : من لم تكن فيه ثلاثُ خِصال فليس بمحب ؛ يُؤثر كلام الله تعالى على كلام الخلق ، ولقاء الله تعالى على لقاء الخلق ، ويُؤثر العبادة على خدمة الخلق ، فمن تمت فيه محبته وخَلُصَ حبه ، فصفا فى الآخرة شرابه وأعلم أن جميع محاسن الدين ومكارم الأخلاق ، وما يتحلى به العبد من التقوى فهو ثمرة الحب (١) .

هذا هو الحب الذى ننادى ببعثه من جديد ، بعد أن أصبح سلعة نادرة وعملة غير متداولة ولو تحاب الناس وتعاونوا وأصبح كل واحد يحب لأخيه ما يحب لنفسه لعاد للإسلام سالف مجده ولأصبح المسلمون من جديد خير أمة أخرجت للناس .

---

(١) محمود عوض : صفوة إحياء علوم الدين للإمام الغزالى طب القلوب صـ٨٠ .

٢- الإسلام دين الأخلاق

الإسلام دين الأخلاق الكريمة

إذا حَسُنَتْ الأخلاق ، وطهُرَتَ الأذواق ، وصَلُحَتْ النفس وتعودت المبادىء الإسلامية الحقة ، وصارت لها مبدأ وعقيدة تمارس بالقول والعمل ، كان أصحابها قدوة لمن يسمع قولهم ويطيع أمرهم .

فالإنسان ليس مجرد جسد يأكل ويشرب ويتمتع كما تأكل الأنعام ، فالجسد ليس إلا غلافا علوى ، يشير إليه قوله تعالى فى خلق آدم "فإذا سويته ونفخت فيه من روحى" وهذا الروح العلوى هى الشىء الذى ميز الإنسان وجعله أهلا للتكريم والخلافة فى الأرض .

والدين الإسلامى هو الذى يدرك هذه النظرة الإنسانية ويُقدِّرُهَا حق قدرها ، ويُهيىء لها الغذاء الملائم والمناخ الصالح ، حتى تنمو وتزدهر ، وتُثمر بإذن ربها ، وذلك بممارسة المبادىء الإسلامية التى تركز كل اهتمامها على الجانب الروحى والأخلاقى، وعلى رأسها مبدأ الخلق الكريم .

لقد بلغت أهمية هذا المبدأ الإسلامى العظيم أن الرسول ﷺ كان يقول فى دعائه :"اللهم كما حَسَّنْتَ خَلْقِى فحسن خُلُقِى ، اللهم جنبنى منكرات الأخلاق ، اللهم اهدنى لأحسن الأخلاق لا يهدى لأحسنها إلا أنت" ([1]) .

وقد سأل رجل رسول ﷺ عن حُسن الخلق فتلا **قوله تعالى**: ﴿ خُذِ العَفْوَ وَأْمُرْ بِالعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الجَاهِلِينَ﴾ ([2]) .

([1]) شرح الزرقانى على المواهب اللدنية ، الجزء الرابع صـ٢٤٤ .
([2]) سورة الأعراف ١٩٩ .

ثم قال ﷺ :"**هو أن تصل من قطعك وتُعطى من حرمك وتعفوعن من ظلمك**" .

كما عرفه الحسين قائلاً :"حُسن الخلق بسط الوجه، وبذل الندى وكف الأذى" وقال على رضى الله عنه :"حسن الخلق فى ثلاث خصال :إجتناب المحارم وطلب الحلال ، والتوسعة على العيال"

وقال الواسطى :"هو إرضاء الخالق فى السراء والضراء"وعن عائشة رضى الله عنها قالت :قال رسول الله ﷺ :"**إن الرجل ليبلغ بحسن خلقه درجة الصائم القائم ، وقال ، وقال إنكم لن تسعوا الناس بأموالكم ولكن ليسعهم منكم بسط الوجه وحسن الخلق**"

وفى حديث أبى ذر الذى رواه الترمذى وصححه "**وخالق الناس بِخُلُقٍ حسن**" وعن ابن عمر مرفوعا سُئِل رسول الله ﷺ **أى المؤمنين أفضل قال : أحسنهم خُلُقًا**" (١) .

قال الحسن البصرى "حقيقة حسن الخلق بذل المعروف وكف الأذى واحتماله وطلاقة الوجه" رواه الترمذى (٢) .

وللرسول ﷺ فى ذلك أحاديث كثيرة منها قوله "**إن الرجل ليدرك بحسن خلقه درجة الصائم بالليل الظامىء بالهواجر**"

وقوله :"**من سعادة المرء حُسُن الخُلُق**"

وقوله :"**أكثر ما يُدخِل الناس الجنة تقوى الله وحسن الخُلق**" (٣) .

([1]) رواه ابن ماجه .
([2]) الحديقة اليانعة والبروق اللامعة صـ ٢٥٩ .
([3]) كنز العمال فى سنن الأقوال الجزء الثانى صـ ٣ .

ومن يتصف بمكارم الأخلاق وما يتصل بها من صفات ، هو القادر على حب الناس ، المتفانى فى خدمتهم يَحِبُّ لهم ما يحب لنفسه حبا لله وفى الله ، وعندئذ يسود الحب ، ويعم الود وتعود الأمة الإسلامية إلى سالف مجدها حتى تُصبح من جديد خير أمة أُخرجت للناس .

لقد كان النبى ﷺ شغوفًا بمكارم الأخلاق شغفه بتبليغ الرسالة ، وبطاعة الله وتقواه فكان المثل الأعلى فى كل فضيلة ، وكان خليقا بثناء الله سبحانه وتعالى عليه فى كتابه الكريم فى **قوله**: ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلى خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴾ (1) .

وقوله :" فبما ﴿ فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللهِ لِنْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ ﴾ (2) .

وحسبنا من وصف أصحابه له ، قول على ابن أبى طالب :"إنه كان أجود الناس كفا ، وأجرأ الناس قلبا ، وأصدق الناس لهجة، وأوفى الناس ذمة ، وألينهم عريكة ، وأكرمهم عِشْرَةً ، من رآه بديهة هابه ، ومن خالطه أحبه"(3) .

وبلغ من شدة إعجابه بمكارم الأخلاق أنه أطلق من السبى بنت حاتم الطائى مكافأة لكرم أخلاق أبيها ، فإنها جاءت إلى النبى ﷺ فى سبايا طىء ، فقالت : "يا محمد ، إن رأيت أن تخلى عنى، ولا تشمت بى أحياء العرب ، فإنى بنت سيد قومى ، وإن أبى كان يحمى الدمار ويفك العانى ، ويُشبع الجائع ، ويُطعم الطعام ، ولم يرد طالب حاجة قط ، أنا ابنة حاتم الطائى "فقال النبى ﷺ : يا

---

(1) سورة القلم (٤) .
(2) سورة آل عمران ١٥٩ .
(3) ابن هشام : السير النبوية صـ ٧٢ .

جارية، هذه صفة المؤمنين حقًا ، لو كان أبوك مسلما لترحمنا عليه، خلوا عنها ، فإن أباها كان يحب مكارم الأخلاق ، وإن الله يحب مكارم الأخلاق" فقام أبو بردة بن دينار فقال :"يا رسول أألله ، الله يحب مكارم الأخلاق؟"

فقال الرسول ﷺ : **"والذى نفسى بيده لا يدخل الجنة إلا حسن الأخلاق"** (١) .

والذى يُفهم من هذه الأحاديث وغيرها أن الرسول ﷺ ربط الأخلاق الفاضلة بالتدين والتقوى أوثق رباط ، وقد جاءه رجل فوقف بين يديه وقال : "يا رسول الله ما الدين ؟

فقال النبى ﷺ **:"حُسْنُ الخلق "** فأتاه من قِبَلِ يمينه فقال يا رسول الله ما الدين ؟ قال :"حسن الخلق" فأتاه من ورائه فقال : يا رسول الله ما الدين ؟

فالتفت إليه الرسول وقال :"أما تفقه ؟ هو ألا تغضب"

هذا هو النبى الذى اصطفاه ربه وكَرَّمَه وتعهده فى طفولته وشبابه إلى أن إختاره ليكون مبشرا ونذيرا ، فرباه أشرف تربيه ، وأدبه أحسن تأديب ، لقد كان القرآن الكريم ينبوع أدبه ومنهل أخلاقه ووسيلة تربيته ، قال سعد بن هشام :"دخلت عائشة فسألتها عن أخلاق رسول الله ﷺ ، فقالت : أما تقرأ القرآن ؟ قلت بلى ، قالت : كان خلقه القرآن " (٢) .

وكما اهتم الإسلام كل هذا الإهتمام بمبدأ مكارم الأخلاق فقد نهى عن سوء الخلق ، ونَفَّر مِنْهُ ، وكما كان الرسول ﷺ شغوفا بمكارم الأخلاق ، فقد فُهِمَ من أحاديثه أن سوء الخلق يمحق الحسنات ، ويُبطل الطاعات ، فقد قيل له :

---

(1) رواه الترمذى .
(2) إحياء علوم الدين ، الجزء الثانى صـ٢١٣ .

"إن فلانه تصوم النهار ، وتقوم الليل ، وهى سيئة الخلق ، تؤذى جيرانها بلسانها ، فقال :"لا خير فيها هى من أهل النار" وقال:"سوء الخلق يُفسد العمل كما يُفسد الخل العسل" وقال :"إن العبد ليبلغ من سوء خلقه أسفل درك جهنم"(١).

ومن يتصف بمكارم الأخلاق وما بها من صفات هو القادر على حب الناس، المتفانى فى خدمتهم ، المحب لهم ما يحبه لنفسه، حبًا لله وفى الله وعندئذ يسود الحب ، ويعم الود وتعود الأمة الإسلامية إلى سالف مجدها حتى تُصبح من جديد خير أمة أخرجت للناس .

لقد جمع العلماء بعض علامات حُسْنُ حُلُقِ ، فقالوا : إن حُسن الخلق هو أن يكون المرء كثير الحياء قليل الأذى ، كثير الصلاح ، صدوق اللسان ، قليل الكلام كثير العمل ، قليل الذلل ، قليل الفضول ، برًا ، وَصُولاً ، وقورًا ، صبورًا شكورًا ، رضيًا حليمًا ، رقيقًا ، عفيفًا ، شفيقًا ، لا لعانًا ولا سبابا ، ولا نَمَّامًا ، ولا مغتابا ، ولا عجولا، ولا حقودا ولا بخيًلا ، ولا حسودا ، بشاشا هشاشا ، يُحب فى الله ويُبغض فى الله ، ويرضى فى الله ويغضب فى الله ، فهذا هو حُسْنُ الخلق (٢) .

وقال يوسف بن أسباط : علامة حسن الخلق عشر خصال:"قلة الخلاف ، وحسن الإنصاف ، وترك طلب العثرات وتحسين ما يبدو من السيئات ، والتماس المعذرة ، واحتمال الأذى ، والرجوع بالملامة على النفس ، والتفرد بمعرفة عيوب نفسه دون عيوب غيره ، وطلاقة الوجه للصغير والكبير ، ولطف الكلام لمن دونه من قومه ."

---

(1) إحياء علوم الدين الجزء الثالث ، صـ ٤٣ .

(2) عفيف عبد الفتاح طباره :"روح الدين الإسلامى " الطبعة السادسة صـ٩٩ .

ومن حُسْنْ الخلق أن تحب لأخيك ما تحب لنفسك وتْكرم ضيفك ، وتُكرم جارك وتقول خيرًا ، أو تصمت قال رسول الله ﷺ "**أكمل المؤمنين إيمانا أحسنهم أخلاقًا**" (١).

ولما كانت صفات المؤمنين هى ثمرة حُسْن الخُلُق ، وصفات المنافقين هى ثمرة سوء الخلق ، فقد ذكرها الله تعالى فى كتابه العزيز ، وإليك بعض ما جاء من علامات حُسن الخُلُق ، **قال تعالى:** ﴿ **التَّائِبُونَ العَابِدُونَ الحَامِدُونَ السَّائِحُونَ الرَّاكِعُونَ السَّاجِدُونَ الآمِرُونَ بِالمَعْرُوفِ وَالنَّاهُونَ عَنِ المُنْكَرِ وَالحَافِظُونَ لِحُدُودِ الله وَبَشِّرِ المُؤْمِنِينَ** ﴾ التوبة

وقال تعالى: ﴿ **وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الجَاهِلُونَ قَالُوا سَلامًا * وَالَّذِينَ يَبِيتُونَ لِرَبِّهِمْ سُجَّدًا وَقِيَامًا * وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا اصْرِفْ عَنَّا عَذَابَ جَهَنَّمَ إِنَّ عَذَابَهَا كَانَ غَرَامًا * إِنَّهَا سَاءَتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا** ﴾ الفرقان

فمن أشكل عليه حاله فلَيعْرِض نفسه على هذه الآيات فإن وجودها جميعًا عند العبد علامة حسن الخلق وفقدها جميعًا سوء الخلق (٢) .

ولما كانت الأخلاق تتأثر بعوامل ثلاثة هى :-

الوارثة والبيئة ، والعادة : فإن الإسلام قد اهتم بهذه المحاضن التى يولد فيها الخُلُق ، وتتربى فى أكنافها العواطف ، سواء كان هذا الخلق طبيعيًا : وهو ما يكون الإنسان مفطور عليه كالحياء، والشجاعة عند بعض الأطفال .

---

(1) رواه أبى هريرة أحمد فى مسنده وأبو داود ، وابن حيان فى صحيحه والحاكم فى مستدركه .

(2) محمود عوض :"صفوة إحياء علوم الدين (طب القلوب) ، مكتبة محمد على صبيح القاهرة ، الطبعة الرابعة سنة ١٩٦٤ ، صـ ١١٩ .

قال رسول الله ﷺ للمنذر بن عاذر : إن فيك لخصلتين يحبهما الله : الحلم والأناة (١) **فقال يا رسول الله ، كانا فىّ أم حدثا ؟ قال : بل قديم : فقال الحمد لله الذى جبلنى على خُلقين يحبهما ، أما الخُلق المكتسب : فهو ما يُرَبَّى عليه الإنسان قال تعالى :﴿ إِنَّ اللهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنفُسِهِمْ ﴾**(٢). وقد اهتم الإسلام بكل محضن من هذه الثلاثة إهتمامًا بالغا ، ليجعل منها مناخا صالحا للخُلق الفاضل والسلوك المستقيم (٣) .

فالوراثة تُعتبر من العوامل المؤثرة على شخصية الإنسان وكلما نشأت الشخصية فى بيئة أسرية صالحة إتصفت بأحسن الصفات ، ولما كانت المرأة حديقة غرس الرجل ومنجبة أولاده ، وعنها يرثون الكثير من الصفات الحسنة : كلون العين والبشرة، والعقلية كالذكاء ، والأدبية : كالميول والأمزجة ، حدد الرسولﷺ صلاحها : بالجمال .. والأمانة .. والطاعة .. والإستقامة .. والتودد لزوجها .. وأن تنجب له من يعبد الله (٤) .

قال رسول الله ﷺ :**"الدنيا كلها متاع وخير متاعها المرأة الصالحة"**(٥). **وقال خيــر النساء من إذا نَظَرْتَ إليها سَرَّتك ، وإذا أمرتها أطاعتك، وإذا أقسمت عليها أبرتك ، وإذا غبت عنها حفظتك فى نفسها ومالك"**(٦) .

([1]) المسلم والترمذى ، كلاهما عن ابن عباس (حديث صحيح) .
([2]) سورة الرعد ١١ .
([3]) العقيدة الإسلامية سفينة النحاه ، مرجع سابق ذكره صـ٥١٤ .
([4]) العقيدة الإسلامية سفينة النجاة ، صـ ٥١٧ .
([5]) رواه عن ابن عمرو أحمد فى مسنده ومسلم والنسائى (حديث صحيح) .
([6]) للطبرانى فى الكبير عند عبد الله بن سلام (حديث صحيح) .

ولذلك اهتمت الشريعة الإسلامية بالمرأة كأهم عامل وراثى مؤثر ، وقد نص عليها القرآن الكريم فى صورة واضحة صريحة.

وقال تعالى :"﴿ وَلَأَمَةٌ مُؤْمِنَةٌ خَيْرٌ مِنْ مُشْرِكَةٍ وَلَوْ أَعْجَبَتْكُمْ ﴾ (1) .

والمرأة المؤمنة هى القادرة على التنشئة الإجتماعية السليمة والتربية الصالحة من ناحية ، وكعامل وراثى له تأثير على الخلق الطبيعى الذى يكون الإنسان مفطور عليه من ناحية أخرى .

وهكذا يهتم الإسلام بسلوك الإنسان وأخلاقه حتى قبل أن يولد بإهتمامه وتأكيده على اختيار الزوجة الصالحة ذات المنبت الحسن، والزوجة هى التى يتشرب منها الأبناء الخصال الطيبة والصفات الخلقية الكريمة . فإذا صَلُحَتْ المرأة صَلُحت الأخلاق ، وعندئذ يرتفع بناء المجتمع على دعائم قوته من مكارم الأخلاق .

ومن يتصف بمكارم الأخلاق ، وما بها من صفات يكون قادرا على حب الناس ، المتفانى فى خدمتهم المحب لهم ما يحب لنفسه حبًا لله وفى الله ، وعندئذ يسود الحب ويعم الود ، وتعود الأمة الإسلامية إلى سالف مجدها حتى تُصبح خير أمة أُخرِجَتْ للناس .

(1) سورة البقرة ٢٢١ .

٣- الإسلام دين العلم

الإسلام دين العلم

إن العلم للإسلام كالحياة للإنسان ولن يجد هذا الدين مستقرا له إلا عند أصحاب المعارف الناضجة ، والألباب الحصيفة فطبيعة الإسلام تفرض على الأمة التى تعتنقه أن تكون أمة متعلمة ترتفع فيها نسبة المثقفين ، وتهبط أو تنعدم فيها نسبة الجاهلين .

ذلك لأن حقائق هذا الدين من أصول وفروع ليست طقوسا "تُنقل بالوراثة ، أو تعاويذ تشيع بالإيحاء ، وتُنشر بالإيهام ، إنها حقائق تُستخرج من كتاب حكيم ومن سنة واعية ، وسبيل استخراجها لا يتوقف على القراءة المجردة ، بل لابد من أمة تتوافر فيها الأفهام الذكية والأساليب العالية ، والآداب الكريمة .

ولا شك أن مُدارسه مناهج الإسلام ، تخلق فى أى أمة تُعْنَى بها جوا من الفقه التشريعى ، القائم على الأوامر والنواهى – أى بالحقوق والواجبات – وجوا من الآداب الإجتماعية الدقيقة المتعلقة بقاعدة الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر ، وجوا من البحث الصحيح والإجتهاد المخلص (١) .

وقد ذكر الإمام الغزالى ، فى طلب العلم وفضيلة التعلم (٢) .

قول الله تعالى ﴿اسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ (٣) .

---

(1) محمد الغزالى "خلق المسلم" صـ ٢٦ .
(2) إحياء علوم الدين الجزء الأول ، صـ ٩ .
(3) سورة الأنبياء ٧ .

وأهل الذكر هم أهل العلم ، هم العلماء ... كما يرى الغزالى إن مهنة التعليم أشرف مهنة ، وأفضل صناعة ، يستطيع الإنسان أن يتخذها حرفة .

لذلك أعز الله العلماء وآثرهم بكرامته وفضله ، وقد تأكدت أهمية العلم فى آيات بينات من كتاب الله الكريم ، تأمر المسلمين بالعلم وتحضهم عليه ، منها **قوله تعالى** :﴿ أَمْ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ (١) **وقال تعالى**:﴿ يَرْفَعِ اللهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا العِلْمَ دَرَجَاتٍ ﴾(٢) **وقال جل شانه**:﴿ وَقُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْمًا ﴾(٣) **وقال الخبير العليم** :﴿ وَتِلْكَ الأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ وَمَا يَعْقِلُهَا إِلَّا العَالِمُونَ ﴾ (٤) ﴿ وَلَقَدْ جِئْنَاهُمْ بِكِتَابٍ فَصَّلْنَاهُ عَلَى عِلْمٍ ﴾(٥) ﴿ بَلْ هُوَ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ فِي صُدُورِ الَّذِينَ أُوتُوا العِلْمَ ﴾ (٦).**ثم قال العزيز الحكيم**:﴿ خَلَقَ الإِنْسَانَ * عَلَّمَهُ البَيَانَ ﴾ (٧).

وقال رسول الله ﷺ :**"من سلك طريقًا يلتمس فيه علمًا سهل الله له طريقًا إلى الجنة"**(٨).

كما قال عليه الصلاة والسلام "من خرج فى طلب العلم فهو فى سبيل الله حتى يرجع" (٩).

وكذلك قوله ﷺ :**"طلب العلم فريضة على كل مسلم"** (١٠) .

---

(1) سورة الزمر ٩ .
(2) سورة المجادلة ١١ .
(3) سورة طه ١١٤ .
(4) سورة العنكبوت ٤٣ .
(5) سورة الأعراف ٥٢ .
(6) سورة العنكبوت ٩ .
(7) سورة الرحمن ٣ ، ٤ .
(8) للترمذى عن أبى هريرة حسن .
(9) رواه الترمذى عن أنس حديث حسن .
(10) للبيهقى عن أنس حديث صحيح .

والتعليم فى نظر الغزالى هو : إفادة العلم ، وتهذيب نفوس الناس عن الأخلاق المذمومة المهلكة ، وإرشادهم إلى الأخلاق المحمودة الُمسْعِدَة (١) .

والمراد بالعالم هو : الصالح التقى ، العالم بكتاب الله وسنه رسولهﷺ. وإننا نعتقد أن الإسلام دين علم ونور لا دين جهل وظلمة (٢) .

والعلم الذى يُقْبِلُ المسلم عليه ويستفتح أبوابه بقوة ، ويرحل لطلبه من أقصى المشارق والمغارب ، ليس علما معينا محدود البداية والنهاية ، فكل ما يوسع منادح النظر ، ويزيح السدود أمام العقل لفهم المزيد من العرفان ، وكل ما يوثق صلته بالوجود ويفتح له آمادا أبعد من الكشف والإدراك ، وكل ما يتيح له السيادة فى العالم والتحكم فى قواه والإفادة من ذخائره المكنونه (٣) .

وبالعلم يُعبَدْ الله وبه يُوَّحد وبه يُمجَّد وبه توصل الأرحام ، وبه يُعرف الحلال والحرام ، وهو إمام والعمل تابعه يُلْيَهمه السعداء ويُحرمَهُ الأشقياء .

إن الدين كان ولم يزل وسيظل ملتقى العقول السليمة و الفطر القويمة ، ما أخطأ منهجه فكرًا ثاقبًا ، ولا ضل صراطه طبعًا نظيفًا .. وإن العلم مهما اتسعت آماده ، وامتدت أبعاده وترادفت كشوفه ، فلن يجىء إلا بما يصدق الوحى ، ويدعم الإيمان، ويمكن لهداية الرحمن (٤) ، لذلك قيل :"تعلموا العلم فإن تعلمه لله خشية وطلبه عباده ومدارسته تسبيح ، والبحث عنه جهاد ، وتعليمه من لا يعلمه صدقه بذله لأهله قربة ، وهو الأنيس فى الوحدة ، والصاحب فى الخلوة ، والدليل على

(1) إحياء علوم الدين الجزء الأول صـ ١١ ــ ١٢ .
(2) محمد عطيه الإبراشى "التربية الإسلامية وفلسفتها" .
(3) محمد الغزالى "خلق المسلم" صـ ٢٦٩ .
(4) محمد عطيه الإبراشى :"التربية الإسلامية وفلسفتها" .

الإيمان ، والَمصِّبر على السراء والضراء ، والوزير عند الأخلاء ، والقريب عند الغرباء ومنار سبيل الجنة يرفع الله به أقوامًا ، فيجعلهم فى الخير قادة سادة هداة ، يُقتدى بهم ، أدلة فى الخير ، تُقتفى آثارهم وتُرمق أفعالهم ، وترغب الملائكة فى صداقتهم وبأجنحتها تمسحهم لأن العلم حياة القلوب من العمى ، ونور الأبصار من الظلم يبلغ به العبد منازل الأبرار والدرجات العلاء وأن العلم يُقتنى كما يقتنى المال ، فمن عَلِمَ وعَمِلَ وعَلَّم فهو الذى يُدعى عظيمًا فى ملكوت السماء ، فإنه كالشمس تُضىء لغيرها وهى مضيئة فى نفسها ، وكالمسك الذى يطيب وهو طيب ، وإن من يُعَلِّم غيره ولا يعمل كالِمَسنْ الذى يشحذ غيره ولا يقطع ، أو كالإبرة التى تكسو غيرها وهى عارية ، أو ذبالة المصباح التى تُضىء لغيرها وهى تحترق(١) .

وفى هذا المعنى قال عيسى بن مريم عليه السلام "ويلكم يا عبيد الدنيا" ماذا يغنى عن الأعمى سعة نور الشمس وهو لا يبصرها ؟ كذلك لا يغنى عن العالم كثرة علمه إذا لم يعمل به ما أكثر أثمار الشجر وليس كلها ينفع ولا يؤكل ، وما أكثر العلماء وليس كلهم يُنْتَفَعْ بما يعلم ... وإن العلم إذا لم يَعْمَل به صاحبه خرج من صدره وتخلى عنه وعطله ، وإن الزرع لا يُصلح إلا بالماء والتراب ، كذلك لا يصلح الإيمان إلا بالعلم والعمل (٢) .

ولذلك يفرض هذا المبدأ على كل مسلم ، أن يكون عالًما فى أصول حقائق الدين الإسلامى ومبادئ التى جاءت بها شريعة الإسلام وأن يكون محيطًا بأمور

([1]) إحياء علوم الدين . الجزء الأول (بيان وظائف المرشد المعلم صـ٤٩) .

([2]) الحافظ أبى بكر البغدادى : اقتضاء العلم والعمل نقلا عن كنوز "رسائل أربع" تحقيق محمد ناصر العين الألبانى صـ ١٩٦ .

الحلال والحرام ، وأن يكون على دراية تامة بمبادىء الأخلاق وأن يكون متفهما لأنظمة الإسلام ، وقواعد الشريعة حتى يُصبح عالما حكيما ، يضع الأشياء فى موضعها ، ويربى أبناءه على أصولها ومقتضاها ، ويسير فى طريق التربية الإسلامية على أسس متينة من تعاليم القرآن ، وهدى محمد ﷺ .

والمسلم المؤمن لا يستحى أن يتعلم ما لا يعلمه ، ويستزيد مما يجهله ، ولا يستحى إذا سئل فى شىء لا يعلمه أن يقول لا أعلم، لأنه فى ذلك يُطَبِّق قول على رضى الله عنه : لا يرجو عبد إلا ربه ، ولا يخافن إلا ذنبه ، ولا يستحى من لا يعلم أن يتعلم ، ولا يستحى إذا سئل مما لا يعلم أن يقول الله أعلم .

وأول العلم الصمت ، والثانى الإستماع ، والثالث الحفظ والرابع العقل والخامس نشره ، وفى القول المأثور " إذا جالست العلماء فكن على أن تسمع أحرص منك على القول " .

والإسلام دين يبنى كيانه على التعمق فى العلم ، والتزيد من الثقافة وأولو العلم هو قرناء الملائكة فى التصديق بعظمة الله والشهادة بعدالته .

وبالعلم يُعبد الله ، وبه يُوَحَّد ، وبه يُمَجَّد ، وبه تُوصل الأرحام ، وبه يُعرف الحلال من الحرام ، وهو إمام والعمل تابعهُ يُلهَمَه السعداء ويُحَرم منه الأشقياء .

٤- الإســلام ديــن التقــوى

الإسلام دين التقوى
إتق الله تكن أعبد الناس

إتق فعل أمر من اتقى ، ومن معانى اتق ويتقى وإتقى : البعد والحذر والخوف والحمايه والحفظ ، تقول : إتق الله أى إخشه، وخف منه ، وتقال الكلمة ويُقصد منها التحذير من عقاب الله وعذابه لإنسان يُصُّر على معصيته أو ظلم لغيره (١) .

والتقوى فى الأصل – ومثلها الإتقاء – هى إتخاذ الوقاية وهى حفظ الشىء مما يؤذيه ويضره ومنه **قوله تعالى** :﴿ فَوَقَاهُمُ اللهُ شَرَّ ذَلِكَ اليَوْمِ وَلَقَّاهُمْ نَضْرَةً وَسُرُورًا﴾ (٢) ، ولأن التقوى فيها معنى الوقاية ، قال الإمام على رضى الله عنه:"كنا إذا إشتد البأس إتقينا برسول الله ﷺ ، أى جعلناه وقاية لنا من العدو على الشدة، وكذلك روى فى الحديث الشريف :**"من عصى الله لم تقه من الله واقية"**

والتقوى فى الشرع جعل الناس فى وقاية من عذاب الله تعالى وغضبه بإتباع أوامره ولزوم طاعته ، وتجنب معصيته ، والأصل فى التقوى أن يجعل الإنسان بينه وبين ما يخشاه ربه تُقْيَة ، وذلك بفعل الطاعات واجتناب المحرمات ، وقد قال أبو الدرداء:- "تمام التقوى ، أن يتقى الله حتى يتقيه من مثقال ذرة ، وحتى يترك بعض ما يرى أنه حلال خشية أن يكون حرامًا ، ليكون حجابًا بينه وبين

---

(1) صديق أبو الحسن .دراسات فى السنة النبوية الشريفة .
(2) سورة الإنسان آية ١١ .

الحرام ، فإن الله قد بين للعباد الذى يُصيِّرهم إليه ، **فقال سبحانه وتعالى** :﴿ فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ * وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ ﴾ (١) ، فلا تحقرنَّ شيئًا من الخير أن تفعله ، ولا شيئًا من الشر أن تقيه (٢) .

قال رسول الله ﷺ **"من يأخذ عنى هؤلاء الكلمات ، فيعمل بهن أو يعلِّم من يعمل بهن ؟ قلت أنا يا رسول الله . فأخذ بيدى وعد خمسا ، قال : إتق المحارم تكن أعبد الناس ، وارض بما قسم الله لك تكن أغنى الناس ، وأحْسِن إلى جارك تكن مؤمنًا، وأحب للناس ما تحب لنفسك تكن مسلمًا ، ولا تكثر الضحك فإن كثرة تميت القلب"**(٣) .

لقد تضمن هذا الحديث وصايا خمس فيها تنظيم وتوضيح لعلاقة الإنسان بربه ، يقول الرسول ﷺ **"إتق الله تكن أعبد الناس"** وفى هذه العبارة تحذير للمؤمنين أن يقعوا فيما حرم الله ، وليس بخاف على أحدد من اتقاء المحارم أداء الواجبات والفرائض، واجتناب المنهيات ، ومن قام بكليهما امتثالا لأمر ربه فقد أفلح وصار من أعبد الناس : قال تعالى فى الحديث القدسى (أنا أهل من اتقى فلا تجعل معى إله ، فمن إتقى أن يجعل معى إله فأنا أهل أن أغفر له)(٤) .

والتقوى حركة دافعة ثائرة على كل ما يُغضب الله ، فاتحة أمام الإنسان باب الترقى ، صاعدة به إلى مجالات الكمال ، غازية به مواطن العزة والكرامة وبالتقوى يُصنع المسلم الحقيقى ، الذى يتمرد على الذل ويستعصى على الهوان ويرفض الإتكالية والعجز، وينطلق فى الحياة شامخا بدينه معتزا بمبادئه ، يحرث الحياة بالخير، وينميها بالمعروف ، ويملؤها بالحب .

---

(1) سورة الزلزالة آية ٧ ،٨ .
(2) كامل سلامة الدقس من روائع الأدب النبوى .
(3) رواه الترمذى وأحمد .
(4) رواه أحمد والترمذى وابن ماجه .

ولابد لفهم كلمة التقوى من ذكر الله ، ومعرفة صفائه وحسن الظن بالله والتوكل عليه ، وإظهار نِعَمِه ... إلى أن يكون كل عمل المرء لله وحده ، وليس الإيمان مجرد تصديق بوحدانية الله وملائكته وكتبه ورسله والبعث فقط ، وإنما هو فوق ذلك إلتزام بأوامر الله ، وإنتهاء عن حرمات الله ، وخوف من حدود الله ، وحرص على صون حرمات الناس ، وحمايتها من الإعتداء عليها ، وليعلم الناس أن فى إتقاء المحارم سعادة ما بعدها سعادة ، وقربا من الله إلى أبعد الحدود ، فمن إتق المحارم كان أعبد الناس (١) .

والله سبحانه وتعالى إذا كان يريد من أعمالنا وعباداتنا أن تجيء معبرة عن توحيده الحق ، فليس ذلك لأنها تزيد فى إجلاله أو فى ملكه شيئًا ، بل لأنها تزيد فى إيماننا وترفع فى مقدرتنا على السيادة الفاضلة على أنفسنا وعلى الحياة ومن أجل هذا كان توحيد الله فيما نعمل ونعبد ، أى كان الإخلاص لوجهه الكريم ضرورة أكثر من العمل ومن العبادة ، لأن هذا الإخلاص هو الذى يغير أنفسنا إلى الأفضل ، وهو الذى يهب أرواحنا تلك السيادة المرجوة ، ومن المعلوم بداهة أن الله غنى عن العالمين ، وأنه جل جلاله ، وعز جاهه لا ينله عمل أو عبادة ، وإنما كما ذكر القرآن الكريم ﴿ وَلَكِن يَنَالُهُ التَّقْوَى مِنكُمْ ﴾ (٢) وهو فَرِحُ بتقوانا ، لا لأنها رصيد له .. بل رصيد لنا ومعراج لتفوقنا الروحى الذى يريده الله منا ، لصالحنا نحن

(1) صديق أبو حسن "دراسات فى السنه النبويه" .
(2) سورة الحج : آية ٣٧ .

ولحساب مصيرنا .. من أجل هذا لم يكن يعنيه من العمل مهما عَظُمَ وضَخُمْ إلا روحه .. إلا هذا التيار الخفى الذى يكشف عن مدى توحيدنا الله فيما نعمل ونعبد (١) .

وقال رسول الله ﷺ **"الإسلام علانية والإيمان فى القلب"**(٢) ثم يشير إلى صدره ثلاث مرات : التقوى ها هنا ، فأساس الصلاح فى الإنسان هو طهارة القلب وسلامته من الآفات ، لأن القلب هو مبعث الحركة الوجدانية فى الإنسان ، فإذا استضاء القلب بنور الإيمان ، وامتلأ بعواطف الخير والْبِر ، فاضت أضواؤه على الأعضاء والحواس فوجهتها إلى العمل الصالح ، وصانتها من السيئات والمحرمات ، ولذلك قيل "القلب ملك الأعضاء وبقية الأعضاء جنوده" **والله تعالى يقول** :﴿ يَوْمَ لَا يَنْفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ * إِلَّا مَنْ أَتَى اللهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ﴾ (٣)وقال ﷺ :**(اللهم إنى أعوذ بك من قلب لا يخشع)** (٤) وقال ﷺ **(اللهم إنى أسألك .. لسانا صادقا وقلبا سليمًا)** (٥) ونتيجة لخشوع القلب واستقامته لا تتحرك الأعضاء إلى عمل إلا إذا إطمأن القلب إليه ، وعرف أنه خير ، فكيف نُصْلِحُ قلوبنا حتى تكون سليمة نظيفة لا تأمرنا إلا بخير ؟

إن أعظم ما يَصْلُحْ به القلب وتنشط به الأعضاء فى طاعة الله هو العلم الذى تقع به معرفة الله بصفاته ، ومراقبته فى كل حال والخوف منه ورجاؤه ، والرغبة فيما عنده والرهبه مما لديه ، والاعتماد عليه فى كل الأمور .. وأعظم ما يُفسد

---

(1) خالد محمد خالد "كما تحدث الرسول" دار العلم للملايين .
(2) لابن أبى شيبه عن أنس .
(3) سوروؤة الشعراء : آية ٨٨ : ٨٩ .
(4) رواه عن أبى عمرو كل من الترمذى والنسائى .
(5) الترمذى والنسائى كلاهما عن أشداء بن أوس .

القلب ، هو الجهل الذى يقع به الإعتقاد الفاسد ، والجرأة على الله بإنتهاك المحارم وفعل معاصيه ، والكبر والحسد ، والرياء وسوء الظن بالله، وبعباد الله ، واحتقار النعمة والإستخفاف بأوامر الله (١) لذلك أمرنا الله سبحانه بالتقوى كوظيفة للإيمان ، يَتقَّومّ بها الإنسان فيتحول معه الإيمان من شعاع باهت ، وذبالة تتراقص إلى قوة بانية وطاقة محركة .

وبالتقوى يُصْنَع المسلم الحقيقى ، الذى يتمرد على الذل ويستعصى على الهوان ، ويرفض الإتكالية والعجز ، وينطلق فى الحياة شامخًا بدينه ، معتز بمبادئه يحرث الحياة بالخير ، وينميها بالمعروف ويملؤها بالحب . **قال سبحانه وتعالى:** ﴿ يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ ﴾ (٢) **وقال تعالى** :﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمْ وَاخْشَوْا يَوْمًا لَا يَجْزِي وَالِدٌ عَنْ وَلَدِهِ ﴾ (٣) **وقال تعالى** :﴿ إِنَّ اللهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوْا وَالَّذِينَ هُمْ مُحْسِنُونَ ﴾ (٤)، إن الله يأمرنا فى هذه الآيات بالتقوى لأنها الصورة العملية الراشدة للعقيدة ، يدين بها الإنسان .. فمفهومها مشرق معطاء لا تتراخى بصاحبها ، بل تنطلق به نحو الفضائل والمكرمات يجرسها صوت الدين ، ويحدوها نداء رب العلمين ، فتفتح له باب الإحسان ، بل إن شئت فقل : إنها تحفزه لِيَثبَ إلى قمته ، ليفرغ فى ميدانه مواهب الإبداع الربانى ، ويضع الحياة على أعتاب الإيمان ، فى تلاحم قادر وانصهار بناء .

(1) كامل سلامة الدقس "من روائع الأدب النبوى" .
(2) سورة آل عمران : آية ١٠٢ .
(3) سورة لقمان : آية ٣٣ .
(4) سورة النحل : آية ١٢٨ .

"قال وهب بن منبه :"الإيمان عريان ولباسه التقوى" وقال لقمان لابنه :"يا بنى إتخذ تقوى الله تأتك الأرباح من غير بضاعة"، والتقوى إمتثال الأوامر واجتناب المناهى ، والورع ، وترك ما يُخْشَى ضرره فى الآخرة ، وقد قرن الله التقوى مع الصلاة فى مواضع من كتابه ، وتكون التقوى فى الظاهر والباطن : ففى الظاهر تقوى العين : غضها عن الحرام ، وحفظها عما لا تُؤْمَنْ عاقبته ، وتقوى اللسان : حفظه عن فضول الكلام ، والمُتقى ينظر فى الكلام قبل النطق به ويترك مالا فائدة فيه (١) . وقال على كرم الله وجهه التقوى هى الخوف من الجليل والرضى بالقليل والعمل بما فى التنزيل ، والاستعداد ليوم الرحيل ، ثم إن التقوى الظاهرة تخرج بصاحبها إلى التقوى الباطنه وهى مراقبة الله عز وجل .

قال رسول الله ﷺ :"**يا أيها الناس اتقوا الله واجملوا فى الطلب فإن نفسا لن تموت حتى تستوفى رزقها وإن أبطأ عنها ، فاتقوا الله وأجملوا فى الطلب خذوا ما حل ودعوا ما حرَّم**" (٢) وقال ﷺ :"**اللهم اغننى بالعلم وزينى بالحلم ، وأكرمنى بالتقوى وجملنى بالعافية**" (٣) وقال ﷺ :"**من إتقى الله أهاب الله منه كل شىء ومن لم يتق الله أهابه من كل شىء**" (٤) وقال ﷺ : "**من اتقى الله وقاه كل شىء**"(٥) .

والمتقون مسددون فى طريقهم لأن أنفسهم موصوله بالحق ، فلو عرض لها عارض .. من الشيطان تلوذ عائذة إلى مقرها فلا تنفصل عن عهدها القديم ، وفاء وولاء ، فإن لها من دقة الكشف وجلاء البصيرة ما يُثبتها على المنهج ويُرشدها إلى الغاية : **قال تعالى** : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا إِذَا مَسَّهُمْ طَائِفٌ مِنَ الشَّيْطَانِ تَذَكَّرُوا فَإِذَا هُمْ

---

(1) لابن ماجه عن جابر .
(2) لابن النجار عن ابن عمرو حديث حسن .
(3) رواه الحكيم عن واثله حديث ضعيف .
(4) لابن النجار عن ابن عباس ، حديث ضعيف .
(5) لابن النجار عن ابن عباس حديث ضعيف

مُبْصِرُونَ﴾ [1] والمتقون لا مندوحة لهم ، من أن ينسجوا على هذا المنوال ، ويترسموا تلك الخطى .. فى رحلة لا ينجح فيها إلا العاملون ، الذين يدعمون بهذا السلوك مفهوم الإيمان ، ويزيلون عنه غشاوة طمست بريقه واخفت سناه ، وبالتقوى يُصْنَع المسلم الحقيقى ، الذى يتمرد على الذل .

وموجبات التقوى ستة عشر(٢) :-

(١) **الهدى لقوله تعالى :** ﴿ هدى للمتقين ﴾ .

(٢) **والنصرة لقوله تعالى :** ﴿ إِنَّ اللهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوْا ﴾ [3] .

(٣) **والولاية لقوله تعالى :** ﴿ وَاللهُ وَلِيُّ الْمُتَّقِينَ ﴾ [4] .

(٤) **والمحبة لقوله تعالى :** ﴿ إِنَّ اللهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ ﴾ .[5]

(٥) ومغفرة الذنوب وتكفير السيئات : **لقوله تعالى:** ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ تَتَّقُوا اللهَ يَجْعَلْ لَكُمْ فُرْقَانًا وَيُكَفِّرْ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ ﴾ [6].

(٦) والمخرج من الهم ، وجلب الرزق **لقوله تعالى :** ﴿ وَمَنْ يَتَّقِ اللهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا * وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ ﴾[7].

(٧) وتيسير الأمور ، **لقوله تعالى :** ﴿ وَمَنْ يَتَّقِ اللهَ يَجْعَلْ لَهُ مِنْ أَمْرِهِ يُسْرًا ﴾ [8] .

(٨) وغفران الذنوب وإعظام الأجور **لقوله تعالى :** ﴿ وَمَنْ يَتَّقِ اللهَ يُكَفِّرْ عَنْهُ سَيِّئَاتِهِ وَيُعْظِمْ لَهُ أَجْرًا ﴾ [9] .

---

(1) سورة الأعراف : آية ٢٠١ .
(2) محمد عثمان القاصى :"الحديقة اليانعة والبروق اللامعة"
(3) سورة النحل : آية ١٢٨ .
(4) سورة الجاثية : آية ١٩ .
(5) سورة التوبة : آة ٤ .
(6) سورة الأنفال : آية ٢٩ .
(7) سورة الطلاق : آية ٢ ، ٣ .
(8) سورة الطلاق : آية ٤ .
(9) سورة الطلاق : آية ٥ .

(٩) وقبول الأعمال ، **لقوله تعالى** :﴿ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ ﴾[١] .

(١٠) والفلاح **لقوله تعالى** :﴿ وَاتَّقُوا اللهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾[٢].

(١١) والبشرى ، **لقوله تعالى** :﴿ الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ * لَهُمُ الْبُشْرَى فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ ﴾[٣] .

(١٢) ودخول الجنة **لقوله تعالى** :﴿ إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ عِنْدَ رَبِّهِمْ جَنَّاتِ النَّعِيمِ ﴾[٤].

(١٣) والنجاة من النار، **لقوله تعالى**:﴿ ثُمَّ نُنَجِّي الَّذِينَ اتَّقَوْا وَنَذَرُ الظَّالِمِينَ فِيهَا جِثِيًّا ﴾[٥] .

(١٤) والفوز بحدائق أعناب وكواعب أتراب **لقوله تعالى**:﴿ إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ مَفَازًا ﴾[٦] .

(١٥) والنجاة من السوء والحزن ، **لقوله تعالى**: ﴿ وَيُنَجِّي اللهُ الَّذِينَ اتَّقَوْا بِمَفَازَتِهِمْ لَا يَمَسُّهُمُ السُّوءُ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾[٧] .

ولذلك فإن هذا المبدأ الإسلامى العظيم يحتاج إلى الصبر والمجاهدة لأن المسلم التقى يحتاج إلى جرعات وجرعات من الصبر الحازم ، والعزم الصارم حتى يتخطى العقبات الكأداء ، ويعبر جسور المشقات ليحظى بعد ذلك بالراحة الكبرى راحة الأنس بالله ، والإحتماء به والحياة فى كنفه ، ولن تتم تلك الراحة الكبرى إلا على جسر من التعب وجرعة كبيرة من الصبر ، **قال تعالى** :﴿ إِنَّمَا يُوَفَّى الصَّابِرُونَ

---

(1) سورة المائدة : آية ٢٧ .
(2) سورة ءل عمران : آية ١٣٠ .
(3) سورة يونس : آية ٦٣ : ٦٤ .
(4) سورة القلم : آية ٣٤ .
(5) سورة مريم : آية ٧٢ .
(6) سورة النبأ : ءية ٣١ .
(7) سورة الزمر : آية ٦١ .

﴿أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ [1] وبهذه التقوى العزيزة ساد أتباع محمد عليه الصلاة والسلام ، وكتبوا للتاريخ الإنسانى صفحات من الطهر والنقاء ، لا تبلى ولا تبيد وكونوا أمة عظيمة سادت العالم بأسره ، وكانت خير أمة أُخرجت للناس .

وإننا فى مسيس الحاجة اليوم إلى أن نسمو بأبصارنا إلى الذُرَى العالية ، لنملأ عيوننا بمشهد من نزل عليه القرآن ، الذى هو صورة جياشة موارة بالحركة ، ساعية بالأسوة ، وفى الوقت ذاته نرمق نموذجًا إنسانيًا عاليا ، عاش أمامنا فى دروب الحياة محققًا مضمون الإيمان الرفيع فى عبادة تصله بالله ، وإخلاص يقيمه على الطريق ، وإسلام متوثب جرىء يحميه من التقلبات ويقيه من العثرات.

تلكم سمات التقوى فى الإسلام حركة الجسور لصنع المسلم الذى يتمرد على الذل ويستعصى على الهوان ويرفض الإتكاليه والعجز فى الحياة شامخًا بدينه معتزا بمبادئه ، يحرث الحياة بالخير وينميها بالمعروف ، ويملأها بالحب .

---

(1) سورة الزمر : آية ١٠ .

٥- الإسلام دين الحرية

الإسلام دين الحرية

الإسلام يحترم حرية العقل والعقيدة والضمير

مبدأ الحرية من أهم المبادىء الإسلامية التى جاءت بها الشريعة وقررتها فى أروع مظاهرها ، فقررت الحرية الدينية ، والحرية السياسية والحرية المدنية ، وحرية الرأى والفكر وحرية الإرادة ... وكل هذه الحريات ما هى الامكونات للحرية الإنسانية التى هى كُلٌ لا يتجزأ ، وأى مساس بجانب منها عدوان على شرف الإنسان ، وتعطيل لمسؤوليته ، فحرية التفكير جاءت بها الشريعة الإسلامية لتحرر العقل من الأوهام وتخلصه من الإنقياد الأعمى للعادات والتقاليد ، وتُعيد إليه نشاطه وفاعليته حتى يُصبح قادرا على أداء وظيفته : فوظيفة العقل أن يفكر ، كما أن وظيفة العين أن تُبصر ، والشريعة الإسلامية تدعو إلى نبذ كل شىء لا يقبله العقل وتحث على التفكير الدائم فى كل شىء حتى لا يرضى الإنسان بشىء يأباه العقل ويؤمن بكل ما يؤمن به العقل ، والإنسان الذى يعيش بعقل معطل التفكير كمن يسير على قدم واحدة ، أو كمن يعمل بأيد مغلولة ، أو كمن يعيش بأعين مغمضة وكل ذلك ضد طبيعة الأشياء ، ويستحيل قبول ذلك فى دين شارته الأولى الفطرة والإستقامة مع طبيعة الأشياء .

والنظرة الأولى فى القرآن الكريم تورث يقينا جازما بأن الإسلام يبنى الإعتقاد الصحيح على النظر فى الكون .. وأنه يجعل اليقين الحق ثمرة التفكير الحق ، كما يجعل الكفر ثمرة عقل أصابته آفة سلبت نوره أو ضلت مسيرته (١) .

([1]) محمد الغزالى : حقوق الإنسان بين تعاليم الإسلام وإعلان الأمم المتحدة .

وقد قامت الدعوة الإسلامية نفسها على أساس العقل ، فها هو ذا القرآن الكريم يعتمد فى إثبات وجود الله ، ويعتمد فى إقناع الناس بالإسلام ، ويعتمد فى حملهم على الإيمان بالله ورسله وكتبه ، يعتمد القرآن الكريم فى ذلك كله أساسيًا على استثارة تفكير الناس ، وإيقاظ عقولهم ، ويدعوهم بشتى الوسائل إلى التفكير فى خلق السموات والأرض ، وفى أنفسهم وفى غير ذلك من المخلوقات، ويدعوهم إلى التفكير فيما تقع عليه أبصارهم ، وما تسمعه آذانهم ، ليصلوا من وراء ذلك كله إلى معرفة الخلق ، وليستطيعوا التمييز بين الحق والباطل (١) .

وتأكيدا لأهمية هذا المبدأ الإسلامى الهام نص القرآن الكريم فى صور كثيرة على استخدام العقل وتحرير الفكر ، **قال تعالى** :﴿ إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَالْفُلْكِ الَّتِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِمَا يَنْفَعُ النَّاسَ وَمَا أَنْزَلَ اللهُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ مَاءٍ فَأَحْيَا بِهِ الأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِنْ كُلِّ دَابَّةٍ وَتَصْرِيفِ الرِّيَاحِ وَالسَّحَابِ الْمُسَخَّرِ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾ (٢) **وقوله تعالى** :﴿ قُلْ إِنَّمَا أَعِظُكُمْ بِوَاحِدَةٍ أَنْ تَقُومُوا للهِ مَثْنَى وَفُرَادَى ثُمَّ تَتَفَكَّرُوا ...﴾(٣) **وقوله تعالى**:﴿ أَوَلَمْ يَتَفَكَّرُوا فِي أَنْفُسِهِمْ مَا خَلَقَ اللهُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ وَأَجَلٍ مُسَمًّى ...﴾(٤) **وقوله تعالى**﴿ قُلِ انْظُرُوا مَاذَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ...﴾(٥) **وقوله تعالى** :"﴿ فَلْيَنْظُرِ الإِنْسَانُ مِمَّ خُلِقَ * خُلِقَ مِنْ مَاءٍ دَافِقٍ * يَخْرُجُ مِنْ بَيْنِ الصُّلْبِ وَالتَّرَائِبِ﴾(٦) وليست الحرية منحه أو عطاء يقصد بها

---

(١) عبد القادر عودة :"التشريع الجنائى الإسلامى" .
(٢) سورة البقرة ١٦٤ .
(٣) سورة سبأ ٤٦ .
(٤) سورة الروم ٨ .
(٥) سورة يونس ١٠١ .
(٦) سورة الطارق ٥-٧ .

الفوضى والتحلل ، وإنما هى فرض مقرر أكدته الشريعة الإسلامية كما جاء فى القرآن الكريم والسنة المطهرة، وهدفها بناء الشخصية الإسلامية التى تشعر بذاتها وقيمتها الإنسانية بعد أن تأخذ مكانتها بين الجماعات الإسلامية بحيث تُشعِرَ كل إنسان فيهم بانتمائه إليها فيخلص لها ، ويعانى فى سبيل بنائها وبقائها حتى تُصبح من جديد خير أمة أخرجت للناس .

بالإضافة إلى الآيات السابقة التى تؤكد أهمية الحرية الفكرية والتى تنص على استخدام العقل **قوله تعالى** :﴿ أَفَلَا يَنظُرُونَ إِلَى الْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ * وَإِلَى السَّمَاءِ كَيْفَ رُفِعَتْ * وَإِلَى الْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ * وَإِلَى الْأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ ﴾ (١) وكلها تؤكد ضرورة التفكير كوظيفة للعقل تساعد الإنسان على أن ينظر ويرى ويفكر ويتدبر ، لأن العقل هو الميزة الكبرى التى ميز بها الإنسان على غيره من المخلوقات ، فإذا لم يفكر وإذا لم يحسن استغلال عقله ، فسيُضل الطريق ويُصبح تائهًا يتخبط ، ينساق وراء الخرافات والأوهام ، ويقلد غيره فى عاداتهم وتقاليدهم دون وعى أو فهم، بعد أن أصبح له عقل لا يفهم وعين لا تبصر وأذن لا تسمع وقلب لا يعقل ، وبذلك يتساوى مع الأنعام بل هو أضل سبيلا منهم "﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا مَا أَنزَلَ اللَّهُ قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا أَوَلَوْ كَانَ آبَاؤُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ شَيْئًا وَلَا يَهْتَدُونَ * وَمَثَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا كَمَثَلِ الَّذِي يَنْعِقُ بِمَا لَا يَسْمَعُ إِلَّا دُعَاءً وَنِدَاءً صُمٌّ بُكْمٌ عُمْيٌ فَهُمْ لَا يَعْقِلُونَ ﴾(٢) ثم انظر فى **قوله تعالى** "﴿ أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا أَوْ آذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَكِن

(1) سورة الغاشية ١٧-٢٠ .
(2) سورة البقرة ١٧٠-١٧١ .

تَعْمَى القُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ﴾[1] وقوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِنَ الجِنِّ وَالإِنْسِ لَهُمْ قُلُوبٌ لَا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ آذَانٌ لَا يَسْمَعُونَ بِهَا أُولَئِكَ كَالأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُولَئِكَ هُمُ الغَافِلُونَ﴾[2] وقصة اهتداء إبراهيم إلى الحق – فيما تلاها علينا كتاب الله المحكم – بدأت بالحيرة والشك الذى هو مظهر لرشد العقل ، وحرية التفكير ومن الشك طول تأمله فى الكون وإصراره على طلب الهدى والتماس اليقين" (٣) .

قال تعالى :"﴿وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ إِبْرَاهِيمَ * إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ مَا تَعْبُدُونَ * قَالُوا نَعْبُدُ أَصْنَامًا فَنَظَلُّ لَهَا عَاكِفِينَ * قَالَ هَلْ يَسْمَعُونَكُمْ إِذْ تَدْعُونَ * أَوْ يَنْفَعُونَكُمْ أَوْ يَضُرُّونَ * قَالُوا بَلْ وَجَدْنَا آبَاءَنَا كَذَلِكَ يَفْعَلُونَ * قَالَ أَفَرَأَيْتُمْ مَا كُنْتُمْ تَعْبُدُونَ * أَنْتُمْ وَآبَاؤُكُمُ الأَقْدَمُونَ * فَإِنَّهُمْ عَدُوٌّ لِي إِلَّا رَبَّ العَالَمِينَ * الَّذِي خَلَقَنِي فَهُوَ يَهْدِينِ﴾[4] ثم انظر إلى قوله تعالى :﴿فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ اللَّيْلُ رَأَى كَوْكَبًا قَالَ هَذَا رَبِّي فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لَا أُحِبُّ الآفِلِينَ * فَلَمَّا رَأَى القَمَرَ بَازِغًا قَالَ هَذَا رَبِّي فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لَئِنْ لَمْ يَهْدِنِي رَبِّي لَأَكُونَنَّ مِنَ القَوْمِ الضَّالِّينَ * فَلَمَّا رَأَى الشَّمْسَ بَازِغَةً قَالَ هَذَا رَبِّي هَذَا أَكْبَرُ فَلَمَّا أَفَلَتْ قَالَ يَا قَوْمِ إِنِّي بَرِيءٌ مِمَّا تُشْرِكُونَ * إِنِّي وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ حَنِيفًا وَمَا أَنَا مِنَ المُشْرِكِينَ﴾[5].

---

[1] سورة الحج ٤٦ .
[2] سورة الأعراف ١٧٩ .
[3] عائشة عبد الرحمن "مقال فى الإنسان دراسة قرآنية" .
[4] سورة الشعراء ٦٩-٧٨ .
[5] سورة الأنعام ٧٦ – ٧٩ .

وبالرغم من اهتداء إبراهيم إلى فاطر السموات والأرض والمحى والمميت بعد أن طالت حيرته وتشككه – إلا أنه لم يطمئن قلبه ومارس حقه فى السؤال وأراد أن يعرف كيف يحيى الله الموتى وهو المصطفى للنبوه ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِي الْمَوْتَى قَالَ أَوَلَمْ تُؤْمِنْ قَالَ بَلَى وَلَكِنْ لِيَطْمَئِنَّ قَلْبِي قَالَ فَخُذْ أَرْبَعَةً مِنَ الطَّيْرِ فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ ثُمَّ اجْعَلْ عَلَى كُلِّ جَبَلٍ مِنْهُنَّ جُزْءًا ثُمَّ ادْعُهُنَّ يَأْتِينَكَ سَعْيًا وَاعْلَمْ أَنَّ اللهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾(1) .

وهكذا اطمئن قلبه ، واهتدى تفكيره وآمن عقله ، والمؤمن لا يكون مؤمنًا حقا إلا إذا فكر وتدبر وآمن عقله بما فكر ، بعدها يؤمن إيمانًا قويًا صادقًا بما أقره العقل.

وليست الحرية منحة أو عطاء يُقصد بها الفوضى والتحلل ، وإنما فرض مقرر أكدته الشريعة الإسلامية كما جاء فى القرآن الكريم والسنة المطهرة وهدفها بناء الشخصية الإسلامية التى تشعر بذاتها وقيمتها الإنسانية بعد أن تأخذ مكانها بين الجماعات الإسلامية بحيث يشعر كل إنسان منهم بانتمائه إليها فيُخلِصُ لها ويتفانى فى سبيل إنمائها وبنائها حتى تُصبح من جديد خير أمة أخرجت للناس.

---

(1) سورة البقرة ٢٦٠ .

٦- الإسـلام ديـن الإخلاص

الإسلام دين الإخلاص

الإخلاص فى القول والعمل

الإخلاص روح الدين ولُب العبادة وأساس أى داع إلى الله ، فإذا غاب هذا المعنى أو تضاءل لم يبق هناك ما يستحق الإحترام لا فى الدنيا ولا فى الآخرة ، وقد يكون الإخلاص فى أعمال الحياة المعتادة شرطًا لإتقانها وتجويدها وضمان ثمرتها ، ولكن فى ميدان الدين لا يرتفع عمل أبدا ما لم تصحبه نية صالحة ، وما لم تقترن بابتغاء وجه الله وحده ، والإخلاص فريضة على كل عابد ، وهو فى محرابه الخاص ، يتعامل مع ربه فحسب(١) .

والإخلاص هو أن يكون سكون العبد وحركاته لله تعالى ، وقال إبراهيم بن أدهم :"الإخلاص هو صدق النية مع الله" وقال آخر "الإخلاص فى العمل هو أن يريد صاحبه عليه عوضا فى الدارين"(٢) وقال الإمام الغزالى فى حقيقة الإخلاص :"إعلم أن كل شىء يتصور أن يشوبه غيره فإذا صفى عن شوبه وتخلص عنه سُمِّىَ خالصا ، ويسمى الفعل المصفى المخلص إخلاصا"(٣) قال الله تعالى :"نسقيكم مما فى بطونه من بين فرث ودم لبنا خالصا سائغا للشاربين" (٤) .

---

(1) محمد الغزالى "مع الله" .
(2) محمود عوض :"طب القلوب" .
(3) محمد الغزالى :"مختصر إحياء علوم الدين" .
(4) سورة النحل ٦٦ .

من هذه التعريفات يتضح لنا أن مبدأ الإخلاص يُقصد به الإخلاص لله فى القول ، والإخلاص لله فى النية والإخلاص لله فى العمل .

والإخلاص فى القول والعمل هو من أسس الإيمان ومن مقتضيات الإسلام ولا يقبل الله العمل إلا به .

وجاء الأمر بالإخلاص جزما وتأكيدًا فى كتاب الله عز وجل، وعلى لسان نبيه عليه الصلاة والسلام (١) **قال الله تعالى** ﴿ **وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ وَذَلِكَ دِينُ الْقَيِّمَةِ** ﴾(٢).

وقال عليه الصلاة والسلام فيما رواه الشيخان :"**إنما الأعمال بالنيات وإنما لكل امرىء ما نوى**" .

وقال صلوات الله وسلامه عليه فيما رواه أبو داود النسائى :"**إن الله عز وجل لا يقبل من العمل إلا ما كان له خالصا وابتغى به وجهه**" وبذلك تؤكد الشريعة الإسلامية على كل مسلم أن يحرر النية ويَقْصَد بها وجه الله فى كل قول وفى كل عمل يقوم به ليكون عند الله من المقبولين ، وعند الناس من المحبوبين ، وطريق الإخلاص شاق وصعب ويحتاج إلى تنقية القلب وتطهيره ، وتطهير النفس ونقاء الضمير ، بحيث يعمل الإنسان لدنياه كأنه يعيش أبدًا ويعمل لآخرته كأنه يموت غدا ، والقليل من تنبه لذلك وهو من وفقه الله تعالى .

([1]) عبد الله ناصح علوان "تربية الأولاد فى الإسلام" .
([2]) سورة البينه ٥.

ولذلك فإن تطبيق هذا المبدأ الإسلامى الهام يحتاج إلى مجاهدة النفس وترويضها بحيث يُصبح الإنسان شديد النقد والمراقبة لها ، وبذلك يصير من عباد الله المخلصين الذين يعيدون للإسلام سالف مجده ، وتُصبح الأمة الإسلامية من جديد خير أمة أُخرجت للناس .

ويُعَرَّف الإخلاص بأنه "قصد العبد وجه الله عز وجل ، والأعمال إنما يصير معتدا بها إذا كانت بنية خالصة لوجه الله ، والنية هى قصد القلب لا قول اللسان .

والعمل لغير الله أقسام : فتارة يكون رياء محضا بحيث لا يُراد به سوى رؤية الخلق لعمله لغرض دُنْيَوى ، كحالة المنافقين فى صلاتهم **لقوله تعالى** :﴿ يُرَاءُونَ النَّاسَ ﴾ **وقوله** : ﴿ الَّذِينَ هُمْ يُرَاءُونَ * وَيَمْنَعُونَ الْمَاعُونَ ﴾(١) ، ووصف الله الكفار بالرياء المحض **فقال تعالى** :﴿ وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ خَرَجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ بَطَرًا وَرِئَاءَ النَّاسِ ﴾(٢) ، وهذا الرياء المحض لا يكاد يصدر من مؤمن فى فرض الصلاة والصيام ، وقد يصدر فى الصدقة الواجبة والحج وغيرهما من الأعمال الظاهرة والتى يتعدى نفعها فإن الإخلاص فيها عزيز ، وهذا العمل لا يشك مسلم أنه حابط ، وأن صاحبه يستحق المقت من الله والعقوبه " (٣).

وروى الإمام أحمد أنه قال : أصول الإسلام ثلاث أحاديث : حديث إنما الأعمال بالنيات ، وحديث عائشه من أحدث فى أمرنا ما ليس منه فهو ردّ ، وحديث النعمان : إن الحلال بين والحرام بين ، فإن الدين كله يرجع إلى فعل المأمورات

---

(1) سورة الماعة : آية ٦ ، ٧ .
(2) سورة الأنفال : آية ٤٧ .
(3) انظر شرح الأربعين لابن رجب .

وترك المحظورات ، والتوقف عن الشبهات ، وهذا كله تضمنه حديث النعمان ، وإنما يتم ذلك بأمرين : أحدهما أن يكون العمل فى ظاهره على موافقة السنة، وهو الذى تضمنه حديث عائشة ، والثانى أن يكون العمل فى باطنه يقصد به وجه الله وهو الذى تضمنه حديث عمر "**إنما الأعمال بالنيات**" ، فحديث عمر ميزان للأعمال الباطنة وحديث عائشة ميزان للأعمال الظاهرة .

وقال الفضل فى **قول الله تعالى** : ﴿ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ﴾ (١) قال أخلصه وأصوبه ، وقال إن العمل إذا كان خالصا ولن يكن صوابا لم يُقبل ، وإذا كان صوابا ولم يكن خالصا لم يُقبل حتى يكون خالصا وصوابا ، قال والخالص إذا كان لله عز وجل ، والصواب إذا كان على السنة وقد دل على كلام الفضل قوله تعالى :"فمن كان يرجو لقاء ربه فليعمل عملا صالحا لا يشرك بعبادة ربه أحدا" فَيخلص وأن العمل الصالح ما كان خالصا لله متابعا للرسول ﷺ (٢) "وإن صلاح النية وإخلاص الفؤاد لرب العالمين، يرتفعان بمنزلة العمل الدنيوى البحت ، فيجعلانه عبادة متقبلة ، وإن خُبث الطوية يهبط بالطاعات المحضة فيقلبها معاصى شائنه فلا ينال المرء منها بعد التعب فى أدائها إلا الفشل والخسارة" (٣) فطريق الإخلاص شاق وصعب يحتاج إلى تنقية القلب وتطهير النفس ونقاء الضمير بحيث يعمل الإنسان لدنياه كأنه يعيش أبدا ، ويعمل لآخرته كأنه يموت غدًا والقليل من ينتبه لذلك وهم من وفقهم الله تعالى .

---

(1) سورة الملك : آية ٢ .
(2) محمد عثمان القاضى : الحديقة اليانعة والبروق اللامعة .
(3) محمد الغزالى "خلق المسلم" .

ولذلك فإن تطبيق هذا المبدأ الإسلامى المهم يحتاج إلى مجاهدة النفس وترويضها حتى يُصبح الإنسان شديد النقد والمراقبة لها ، وبذلك يصير من عباد الله المخلصين الذين يعيدون للإسلام سالف مجده ، وتصبح خير أمة أخرجت للناس .

إن الطريقة التى يتحصل بها العبد على الإخلاص فى عمله هى كسر حظوظ النفس ، وقطع الطمع عن الدنيا ، والتجرد للآخرة، بحيث يغلب ذلك على قلبه عندما يتيسر الإخلاص ، لأنه لا يرى أمامه إلا الله تعالى ، وما سواه فهو باطل ، فيخلص وتخلص أعماله يتعب فيها العبد ويظن أنها خالصة لوجه الله ، ويكون فيها مغرورا لأنه لا يرى طريق الآفة فيها ، كما حكى عن بعضهم أنه قال : " قضيت صلاة ثلاثين سنه كنت صليتها فى المسجد فى الصف الأول ، وقد تأخرت يوماً لعذر ، فصليت فى الصف الثانى فاعترتنى خجلة من الناس إذ رأونى فى الصف الثانى فعرفت أنى كنت مسروراً بنظر الناس إلى وأنا فى الصف الأول وكان قلبى يستريح لذلك من حيث لا أشعر ، وبذلك ضاع ثواب الثلاثين عاماً(١) .

فمعرفة حقيقة الإخلاص والعمل به بحر عميق ، يغرق فيه الكثير إلا النادر وهو المستثنى فى قوله تعالى : ﴿ إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ ﴾(٢).

أما فضيلة الإخلاص فقد قال الله تعالى : ﴿ وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ ﴾ (٣) وقال جل شأنه : ﴿ إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا وَأَصْلَحُوا وَاعْتَصَمُوا بِاللهِ وَأَخْلَصُوا دِينَهُمْ للهِ فَأُولَئِكَ مَعَ الْمُؤْمِنِينَ وَسَوْفَ يُؤْتِ اللهُ الْمُؤْمِنِينَ أَجْرًا عَظِيمًا ﴾ (٤) وقال مصعب بن سعد عن أبيه ، قال النبى "ﷺ" وقال علىٌّ كرم الله وجهه " لا تهتموا لقلة

---

(1) محمود عوض " طلب القلوب " .
(2) سورة الحجر : آية ٤٠ .
(3) سورة البينة : آية ٥ .
(4) سورة النساء : آية ١٤٦ .

العمل واهتموا للقبول ، فإن النبى ﷺ قال لمعاذ بن جبل أخلص العمل يجزك منه القليل ، وقال : أول من يُسأل يوم القيامة ثلاثة : رجل أتاه الله العلم فيقول الله تعالى ما صنعت فيما علمت ؟ فيقول يا رب كنت أقوم به آناء الليل وأطراف النهار ، فيقول الله تعالى : كذبت ، وتقول الملائكة كذبت بل أردت أن يقال فلان عالم ألا فقد قيل ذلك ، ورجل آتاه الله مالا فيقول الله تعالى : لقد أنعمت عليك فماذا صنعت فيقول يا رب كنت أتصدق به آناء الليل وأطراف النهار ، فيقول الله تعالى كذبت وتقول الملائكة كذبت بل أردت أن تقول الناس فلان جواد ، ألا فقد قيل ذلك ، ورجل قُتل فى سبيل الله تعالى ، فيقول الله تعالى ماذا صنعت ؟ فيقول يا رب أمرت بالجهاد فقاتلت حتى قتلت . فيقول الله تعالى كذبت وتقول الملائكة كذبت بل أردت أن تقول الناس فلان شجاع ، ألا فقد قيل ذلك ، قال أبو هريرة ثم خط رسول الله ﷺ **على فخذى ، وقال : " يا أبا هريرة أولئك أول خلق تُسَّعر نار جهنم بهم يوم القيامة**"(١).

إن مبدأ الإخلاص حبة من حبات عقد ثمين هو عقد المبادئ الإسلامية الذى يزين صدر المجتمعات الإسلامية فيزيد من قيمتها ويرفع شأنها ، وطريق الإخلاص شاق وصعب يحتاج إلى تنقية القلب وتطهير النفس ونقاء الضمير ، بحيث يعمل الإنسان لدنياه كأنه يعيش أبداً ويعمل لآخرته كأنه يموت غداً . والقليل من يتنبه لذلك وهم من وفقهم الله تعالى ، ولذلك فإن تطبيق هذا المبدأ الإسلامى الهام يحتاج إلى مجاهدة النفس وترويضها بحيث يُصبح الإنسان شديد النقد والمراقبة لها وبذلك يصير من عباده المخلصين الذين يعيدون للإسلام سابق مجده وتُصبح الأمة الإسلامية من جديد خير أمة أخرجت للناس .

(١) محمود عوض " طلب القلوب " .

٧- الإسلام دين الشورى

الإسلام دين الشورى

الشورى هى أصل من أصول الحياة فى الإسلام وهى أوسع مدى من دائرة الحكم ، لأنها قاعدة حياة الأمة المسلمة (١) .

والشورى إذن إجتماعية فى نظر الإسلام إليها ، وهى ضرورة للحفاظ على الترابط والتضامن ، وضرورة كذلك للحرص على بقاء المجتمع كمجتمع ، وضرورة ثالثة للالتزام بالطاعة .

ولقد وضع الإسلام مبدأ الشورى فى وصف إقامة الصلاة والإنفاق فى سبيل الله ، وأثرهما فى صفاء النفوس وترابطها ، وجعل مباشرتها وأثر هذه المباشرة على تماسك المجتمع ، كأثر تجنب الإثم والفواحش على بقائه وقوته (٢) .

قال تعالى : ﴿ **وَمَا عِنْدَ اللهِ خَيْرٌ وَأَبْقَى لِلَّذِينَ آمَنُوا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ* وَالَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَائِرَ الإِثْمِ وَالْفَوَاحِشَ وَإِذَا مَا غَضِبُوا هُمْ يَغْفِرُونَ* وَالَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِرَبِّهِمْ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَمْرُهُمْ شُورَى بَيْنَهُمْ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ** ﴾(٣).

وقد روى عن أبى هريرة ﷺ قال : " **لم يكن أحد أكثر مشورة لأصحابه من رسول الله ﷺ ، وقد قيل : أن الله أمر بها نبيه ﷺ لتأليف قلوب الصحابة وليُقتدى**

(1) سيد قطب : العدالة الاجتماعية فى الإسلام .
(2) محمد البهى : الدين والدولة .
(3) سورة الشورى (٣٦ ، ٣٧ ، ٣٨) .

به من بعده ، وليستخرج منهم الرأى فيما لم ينزل فيه وحى من أمر الحروب ، والأمور الجزئية ... وغير ذلك . فغيره أولى بالمشورة(١) .

وحيث أن التربية الإسلامية تحرص على تدعيم الترابط والتضامن بين أفراد المجتمع ، وتحرص على سلامة أبنائه وإنمائه فإن مبدأ الشورى يُعَدُّ من أعظم المبادئ الإنسانية التى نعتمد عليها فى تحقيق أهدافها الإسلامية .

وعندما يُمارس المربى الإسلامى مبدأ الشورى عندما يخطط للتنشئة والتربية الإسلامية فإنه يجعل من نفسه الركن الأول من أركان المشور وهو "المشير" صاحب الرأى والتفكير ، بعد أن يتم إعداده إعداداً إسلامياً بحيث يُصبح صالحاً لتقديم المشورة لمن يطلبها ، بل فى أحيان كثيرة يتقدم هو بالمشورة حتى لو لم تطلب منه ، وذلك عندما يرى أن هناك أخطارا محققه تهدد الفرد أو المجتمع وبذلك يُصبح دوره كمشير معروضاً ومفروضاً فى آن واحد ، مادام هدفه صالح الفرد والمجتمع .

والتربية الإسلامية عندما تُمارس مبدأ الشورى كأحد المبادئ الإسلامية العظيمة وصولا إلى نجاح المربى فى ممارسة العلاج الإسلامى ، تسعى من وراء ممارسته وتطبيقه إلى تحقيق الأهداف الإنسانية العظيمة التى حققها رسول الله ﷺ ، والتى يسعى الدين الإسلامى جاهدا إلى تحقيها .

إن رسول الله ﷺ ، عندما أمر بتطبيق مبدأ الشورى وقام بممارسته ، وهو النبى العظيم الذى أدبه ربه وأحسن تأديبه ، وعلمه وأحسن تعليمه ، كان يهدف من وراء ذلك إلى تحقيق مجموعة من الأهداف الإجتماعية مثل : الحفاظ على الترابط

---

(١) شيخ الإسلام ابن تيميه : السياسة لشرعية فى إصلاح الراعى والرعية .

والتضامن بين أفراد المجتمع ، ولمسوا فوائدها فى اختفاء الاستبداد والتحكم ، وحل محله التعاون ومجموعه من الأهداف التربوية تمثلت فى تربية المسلمين على المشاورة ، واختفى البغى والظلم ، وانتشر العدل والحق والإحسان ، حتى صارت أمة الإسلام خير أمة أخرجت للناس.

وحقق كذلك مجموعة من الأهداف العقلية تمثلت فى التقاء العقول ، وتجميع الآراء ، وارتفاع مستوى التفكير واستخراج الرأى السليم وتعديل الرأى الخاطئ ، واستنباط أفكار جديدة وآراء سديدة .

أما بالنسبة للأهداف النفسية فقد حققها الرسول ﷺ عندما مارس الشورى بنفسه مع أصحابه فحقق تنمية الشعور بالذات وتنمية الثقة بالنفس ، وبذلك يشعر كل فرد فى المجتمع الإسلامى بالعزة والكرامة ، والأمن والطمأنينة وبذلك نمت شخصياتهم وأصبح كل فرد عضوا صالحا فى مجتمع صالح .

وعلى كل مربى يحاول تحقيق هذه الأهداف من خلال إشتراك المربين فى كل خطوات التربية ، يشير عليهم أحياناً ويستشيرهم أحياناً أخرى وبذلك ينتشر الحب والود ، ويجمع الإسلام بين القلوب ، ويثق المستشير فيمن يشير عليه ، فيعم الترابط والتضامن والتعاون ، وتقوى شبكة العلاقات الإجتماعية ، وبذلك يتحقق الهدف التربوى الإجتماعى .

والهدف التربوى يتمثل فى أن المربى يجعل من نفسه قدوة صالحة لكل من يقوم بتربيتهم والتأثير فيهم حتى يخرجوا من تفاعلهم معه عقلياً بنضج أفكارهم ، ونمو شخصياتهم ، وبذلك يُصبح كل منهم عضوا صالحا فى مجتمعه قادراً على

التوافق فيه بعد أن مارس العديد من الخبرات البناءة مع المربى بما يساعده ويعينه على أداء أدواره الإجتماعية التربوية .

أما الأهداف العقلية التى يحققها مبدأ الشورى تتمثل أن المربى يسعى لتحقيق تلك الأهداف مع من يربى فيتفاعل عقله مع عقولهم ، ورأيه مع آرائهم وبذلك يرتفع مستوى تفكرهم فتتعدل أفكارهم الخاطئة ، ويُدَرَّبُون على التفكير السليم ، من خلال البرامج والأنشطة التى يحتويها العلاج الإسلامى .

والأخصائى المربى الذى يُمارس هذا المبدأ الإسلامى العظيم يهدف إلى تنمية الفرد ، وتقوية ثقته بنفسه ، بعد أن كان يئن تحت وطأة الضغوط الداخلية النابعة من ذاته ، التى جعلته ذليلاً مهانا ، مضطربا خائفاً ، فلا عجب أن تشارك المبادئ الإسلامية وعلى رأسها مبدأ الشورى فى نجاح التربية الإسلامية فى علاج اضرابات الشخصية ، بما يؤدى إلى تنمية الشعور بالذات ، والثقة بالنفس ، وعندما يتحول الخوف إلى أمن ، والاضطراب إلى الطمأنينة ، والمهانة إلى العزة والكرامة .

وخير مثال على ذلك ما شاهدناه فى المجتمع الإسلامى الذى بناه رسول اللهﷺ ، ذلك المجتمع الذى لم يكن فيه ذليلاً أو مهاناً، ولا خائفاً أو مضطربا ، بل كان كل فرد فيه آمنا مطمئناً ، عزيزاً ، قويا واثقاً بنفسه.

وذلك ما جعل المجتمع الإسلامى الأول مجتمعا عظيما ، لأن المجتمع ما هو إلا مجموع أفراد .

٨- الإسلام دين المساواة

الإسلام دين المساواة

لقد حرص الإسلام على أن تستند المساواة إلى تحرر وجدانى عميق ، كما تستند إلى التشريع والتنفيذ ، فإن الشعور بالمساواة يكون قوياً عند القوى وعند الضعيف ، إنها تنمى فى الضعيف تسامحاً ، وفى القوى تواضعاً، وتلقى فى النفس بالعقيدة فى الله ، وفى وحدة الأمة وتكافلها (١) ، ولما لمبدأ المساواة من أهمية بالغة فى تحقيق العدالة الإجتماعية كاملة ، جاءت الشريعة الإسلامية من وقت نزولها بنصوص صريحة ، تقرر المساواة وتفرضها فرضاً ، فالقرآن يقررها ويفرضها على الناس جميعاً فى **قوله تعالى** : ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللهِ أَتْقَاكُمْ﴾ (٢) وقد فضل الله سبحانه وتعالى بعضهم على بعض بالتقوى ، وكثرة التقوى ليست بحكم أحد من الناس ، وإنما بعلم الله ذاته وخبرته (٣) . ورسول الله يؤكد هذا المعنى فى قوله : الناس سواسية كأسنان المشط الواحد ، لا فضل لعربى على عجمى إلا بالتقوى .

والتربية الإسلامية لكى تعتمد على العلاج الإسلامى للمشكلات الإجتماعية فإنها تلتزم بمبدأ المساواة وتمارسه مع كل الناس الذين يتعاملون مع المربى أو القائد الذى يعاملهم جميعاً على قدم المساواة ، ويتقبلهم جميعاً كما خلقهم الله ، لا كما يجب أن يكونوا ، فقد خلقهم سواسية كأسنان المشط ، لذلك يحترم كل واحد

---

(1) سيد قطب : العدالة الإجتماعية فى الإسلام .
(2) سورة الحجرات : ١٣ .
(3) محمد البهى : الدين والدولة .

منهم كنفس بشرية ، وكقيمة إنسانية ، باعتبارها أثمن شئ فى الوجود ، كما يقدر الإنسان وكرامته ، باعتباره مخلوقاً آدمياً له كرامته وفرديته ، التى تميزه عن غيره من الناس . وليس معنى المساواة إلغاء الفروق الفردية بل لكل فرد قدراته ، وصفاته الشخصية ، التى خلقه الله بها لتميزه عن الآخرين .

ومبدأ المساواة كمبدأ إسلامى هام يُلْزِم الأخصائى المربى أو القائد بإحترام كل فرد من الأفراد والاهتمام به ، وإبداء الرغبة الصادقة فى مساعدته ، والمحافظة على كرامته ، وقيمته الإنسانية، بغض النظر عن كونه غنياً أم فقيراً ، سليما أم مريضاً ، جميلاً أم قبيحاً ، فكل ذلك ليس له تأثير على من يطبق مبدأ المساواة واحترام المربى أو القائد لمن يؤثر فيهم بهذه الصورة يشبع لديهم عاطفة اعتبار الذات، ويشعر بأنه إنسان له كرامته ، وله كيانه وله قيمته وبذلك يتمكن من امتصاص مشاعره السلبيه ، كالقلق والدونية، والذلة والمهانة التى يئن من قسوة ضغوطها ، وهذه المشاعر تُعتبر من أهم العقبات التى تعترض جهود المربى .

إن هذا المربى الذى إتسع قلبه لحب كل أبناءه من أفراد أو جماعات وأثر فيهم وأحبهم حباً صادقاً واحترمهم وتقبلهم بكل عيوبهم وجميع نوعياتهم ، ما هو إلا بشر كبقية الناس ينفعل مثلهم، ويثور ويغضب ، ويُحِب ويكره ، ويَمَلىْ ويتعب ولكنه مختلفاً عنهم فى مطالب مهمته ، والتزامه بمبادئه الإسلامية التى يُعَدُّ لها ويُدرب على ممارستها ، والتى تجعله عندما ينفعل كبقية البشر يكون حليماً صابراً متحكما فى انفعالاته ومشاعره ، بحيث لا يظهر ضيقة أو تعبه أو غضبه أو ملله لمن

يُقدم إليهم المساعدة ، بل يُقَدِّر مشاعر الآخرين السلبية ، ومواقفهم وانفعالاتهم ، فلا يثور لثورتهم ، ولا يضيق بانفعالهم ، ولا يتحامل عليهم بل يتقبلهم كما خلقهم الله .

وعندما يمارس المعالج الاسلامى سواء كان مربى أو قائد أو طبيب أو أخصائى إجتماعى كل فى مكانه العلاج الإسلامى ويلتزم بمبادئه الإسلامية وعلى رأسها مبدأ المساواة فإنه يتخذ من القرآن دستوره ، ومن الرسول مرشده ومعلمه فيهتدى بهديه ، ويلتزم بسنته ويجعله قدوته ، وأسوته العظيمة فقد مارس الرسولﷺ وطبق كل هذه المبادئ الإسلامية ، فآخى بين المسلمين جمعياً ونشر المودة والمحبة بينهم حتى صار المرء يجب لأخيه المسلم ما يحبه لنفسه ، بل كان يؤثره عليه.

وعندما تسود المحبه والأخوة الصادقة ، وتقوى أخوة الإسلام ، سيعود إليه سالف مجده ، وسابق عظمته وستعود الأمة الإسلامية خير أمة أخرجت للناس .

٩- الإسلام دين الإخاء

الإسلام دين الإخاء

إن مبدأ الإخاء أحد المبادئ الإسلامية بخصائصها الإنسانية التى تهدف إلى بناء الإنسان ، وإنماء شخصيته ، وتدعيم كرامته وتقدير إنسانيته التى هى أثمن شئ فى الوجود .

قال تعالى﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ (١) **وقال تعالى** :﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا﴾(٢).

وقال رسول الله ﷺ " **المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يسلمه ، ومن كان فى حاجة أخيه كان الله فى حاجته ، ومن فَرَّجَ عن مسلم كربة فَرَّجَ الله عنه بها كربة من كرب يوم القيامة ومن ستر مسلماً ستره الله يوم القيامة**".

ومن أجل هذا الهدف العظيم كان لابد على من يمارس دور العلاج الاسلامى كنظام إجتماعى يتساند وظيفياً مع النظم الإجتماعية الأخرى ، ويتعاون معها فى إنماء الشخصيات ، وبناء المجتمعات حتى تعود للأمة الإسلامية قوتها وعظمتها ، التى تعتمد بدرجة كبيرة على سلامة وقوة أفرادها .

ولذلك كان لابد أن تعدل التربية مسيرتها وتغير أساليبها الفنية المستوردة وتعود إلى الأساليب الإسلامية ، لتأخذ مكانها على الطريق السليم حتى تصبح قادرة على بناء المجتمعات وإنماء الشخصيات ، بأساليب علاجية ومبادئ نابعة من دينها ومجتمعها الإسلامية .

---

(1) سورة الحجرات : آية ١٠ .
(2) سورة الحجرات : آية ١٣ .

وكما يمارس المربى المبادئ الإسلامية السابقة يمارس مبدأ الإخاء ، ويعتمد عليه فى بناء علاقة قوية متينة مع من هم تحت تأثيره ومن يقوم بتربيتهم لتساعده وتمكنه من التأثير فيهم بحيث يُصبِح قادراً على تغييرهم ، وخاصة مع الأفراد الذين يلجأون إليه طالبين العون المساعدة ، بعد أن مروا بخبرات سيئة مع الناس الذين تعاملوا معهم فهم لم يتذوقوا طعم الإخوة فى الإسلام ولم يلمسوا قيمتها الإنسانية ، ولذلك شُحِنُوا بشحنة كبيرة من المشاعر السلبية التى جعلتهم ينفرون من الناس وينظرون إليهم كأعداء يكرهونهم لا كإخوان يحبونهم .

إن الإخوة فى الإسلام مبدأ عظيم يستغله المربى الذى يمارس التربية الإسلامية لِيشْبِعَ حاجة الأفراد إلى التقدير لامتصاص مشاعرهم السلبية ، من خلال تشجيعهم وتقديره لهم اثناء تفاعلهم معه ، فيستبدل مشاعرهم السلبية بأخرى إيجابية ، فيحل الحب مكان الكراهية ، والإنتماء مكان النفور والعداء ، ويستبدل اليأس بالأمل ، ويغير التواكل والبطالة إلى عمل وإنتاج .

ولذلك فإن العلاج الإسلامى للمشكلات الإجتماعية يستثمر تلك المبادئ الإسلامية وعلى رأسها مبدأ الإخاء .

ومن أجل ذلك إتجه الباحثون المسلمون إلى العودة إلى الدين بعد أن زادت المشكلات الإجتماعية وانهارت العلاقات الإنسانية ، فى هذه الفترة الحرجة التى تمر بها البشرية حيث يصل فيها الفزع إلى غايته ، والقلق إلى أقصاه ، وظهر لنا واضحاً إلى أى مدى تخبطت البشرية حين شردت عن الله وعن منهجه فى الحياة واختلفوا ما بين عبادة العقل ، وعبادة الجسم ،وعبادة المادة ، وعبادة الحتمية التاريخية ، والحتمية الاقتصادية ، والحتمية الإجتماعية إلى آخر هذه الآلهه المزعومة التى يعبدها الناس فى هذا الزمن العليل ليهربوا بها من عبادة الله !! ...

فكانت الشقوة التى تُفْسِد الأعصاب والنفوس ، وكان العذاب الذى يُدمر الأفراد والجماعات ، وكان الفزع الدائم من الدمار الرهيب .

وليس للبشرية علاج من هذه الشقوة المفسدة ، والعذاب المفزع إلا أن تعود إلى الله لتجد الأمن والرعاية فى حماه ، وتجد التوجه الراشد فى منهجه للحياة .

والعلاج الإسلامى هو المنهج الربانى المناسب للحياة بما فيه من وقاية وعلاج وهو الذى يقدم الأساليب العلاجية المناسبة الفعالة لكل المشكلات ، وفيه النجاة والخلاص فهو المنهج الربانى لتقويم البشرية ، لِتَرْشُد وتتوازن وتسلك رسالتها المستقيمة فى الحياة .

والدين الاسلامى يقول إنه من الممكن تبديل النفس البشرية وتغييرها جوهرياً بإمكانية إخراجها من الظلام إلى النور ، ومن حضيض الشهوات إلى ذروة الكمال الخلقى ، وذلك عن طريق المجاهد والرياضة النفسية .

والإسلام لا يغفل أبداً واقع الطبيعة البشرية ، وما رُكِّب فيها من تنوع الطاقات والإتجاهات والمستويات ، لذلك لا يُلْزِم الناس بصورة مثالية معينة مصبوبة فى قالب لا تتعداه ، إنما هو يطلب من كَل إنسان إن يبلغ حدود الكمال الممكن له بحسب استعداداته وطاقاته واتجاهاته ، وكل ما يفرضه الدين الإسلامى هو المحاولة الدائمة لبلوغ ذلك الكمال الخاص فى حدود الإطار المثالى العام ، وهنا تظهر واقعية الإسلام فى علاج النفس البشرية .

والعلاج الإسلامى بأساليبه المختلفة وبمبادئه الأساسية التى تم عرضها هى محاولة جادة للتأثير فى تلك النفس البشرية بهدف تغييرها من نفس ضالة منحرفة إلى نفس مسلمة مؤمنة ، تؤدى واجبها فى الأرض متوكلة على الله فى السماء ، تسعى للرزق بكل ما أوتيت من قوة تاركه النتيجة لله ، تسير مع الأفراد مؤمنه بأن لا يصيبها إلا ما كتب الله لها .

والطريق الواقعى لتنمية الإنسان ومعالجته هو رسم الصورة المتكاملة أمامه وتدريبه دائماً على الصعود إليها والدنو منها بكل أساليب العلاج الإسلامى وبكل جهد ممكن ومستطاع ، إن هذه المبادئ هى التى اعتمد عليها الدين الإسلامى فكانت الأمة الإسلامية خير أمة أخرجت للناس .

البـــاب الثانـــى



الباب الثانى

التربية الإسلامية :-

الفصل العاشر : التربية الإسلامية بتنمية العقيدة الدينية .

الفصل الحادى عشر : التربية الإسلامية وتنمية القيم الخلقية .

الفصل الثانى عشر : التربية الإسلامية بالتنمية العقلية .

الفصل الثالث عشر : التربية الإسلامية بتنمية القيم الإجتماعية .

الفصل الرابع عشر : التربية الإسلامية بتنمية القيم النفسية .

الفصل الخامس عشر : التربية الإسلامية بالتنمية البدنية .

التربية الإسلامية



مقدمـــة

التربية الإسلامية

التربية الإسلامية هى تنشئة الطفل وتكوينه إنسانا من جميع نواحيه المختلفة ، من الناحية الجسمية ، والعقلية ، والروحية ، والأخلاقية ، فى ضوء المبادىء التى جاء بها الإسلام ، وفى ضوء وأساليب وطرق التربية التى تبنيها (١) .

من هذا التعريف للتربية الإسلامية وغيره من التعريفات الأخرى ، نرى أن الإسلام يقدم لنا منهجا تربويا متكاملا ، تجد فيه الإنسانية علاجا شافيا لمشكلاتها ، تنتشلها من طريق البؤس والتيه والشقاء ، وتنتقل بها إلى طريق العزة والكرامة والمحبة والهناء ، فهو يهدف إلى تربية النشىء على الإيمان بالله وطاعته والخضوع له وحده ، وهو الذى يربى الإنسان على أن يُحَكِّم شريعة الله فى جميع أعماله وتصرفاته ، ثم لا يجد حرجا فيما حكم الله ورسوله ، بل ينقاد مطيعا لأمر الله ورسوله ، **قال تعالى** :﴿ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجًا مِمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴾ (٢) .

ولما كان الإسلام هو المنهج الربانى المتكامل المواتى لفطرة الإنسان، والذى أنزله الله لتربية وتنمية الشخصية الإنسانية حتى تصبح شخصيته متزنة كاملة ، لِتُصْبِح خير نموذج على الأرض ، يحقق العدالة الإلهية فى المجتمع الإسلامى ، وذلك

---

(1) مقداد يالجن "التربية الأخلاقية الإسلامية" القاهرة ، مكتبة الخانجى ١٩٧٣ ، صـ ٥٤ .
(2) سورة النساء : ٦٥ .

عن طريق التربية الإسلامية التى تغرس فى الإنسان العزة والكرامة ، بل الاستماتة فى سبيلها ، مهما أحاطت به الشدائد ، أو أبعدته عنها المغريات : ﴿ وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ ﴾(١).

وحيث أن الدين الإسلامى هو دين التربية فإنه يهتم بتنشئة الأطفال وتكوينهم تكوينا متكاملا عن طريق بناء شخصياتهم وتنميتها ، وذلك بإكسابهم خبرات جديدة من خلال التربية الإسلامية التى تساعدهم على تعديل سلوكهم ، وتقويم إنحرافهم وانتشالهم من الهوان والضياع ، بعد أن ضيعتهم فلسفات التربية الغربية التى كان من نتيجتها ما نسمعه من جرائم الأحداث وتعاطيهم المخدرات ، ومن تدخين جماعى فى معسكرات الأطفال فى بعض دول أوربا ومقاطعات أمريكا ، ومن جرائم جنسية يندى لها الجبين .

"ولنسأل أنفسنا أى ضياع للأطفال والطفولة يفوق هذا الضياع ؟ اللهم أن يكون ضياع الأطفال غير الشرعيين ، وهو بلاء آخر من ثمرات هذا العصر ، فقد بلغ عدد هؤلاء فى أوائل الخمسينات نصف مليون طفل فى إنجلترا وحدها .. نصف مليون طفل غير شرعى من الناقمين على الحياة وعلى المجتمع الذى تركهم قلقين تائهين ، لا يعرفون لهم أصلا ، ولا إنتماءً، ولا أهلاً(٢) .

إن المؤسسات التربوية عندما خذلتها وسائل العلاج التقليدية بأساليبها المستوردة من المجتمعات الغربية ؛ بدأت تبحث لنفسها عن أساليب مؤثرة تسعفها فى علاج المشكلات بشتى أنواعها إلى أن وجدت ضالتها لمنشودة واقتنعت

---

(1) سورة المنافقون : ٨ .
(2) عبد الرحمن النحلاوى ، مصدر سابق ، صـــ٧ .

بالمنهج الإسلامى ، الذى يعتمد على التربية الإسلامية ، فهى الوسيلة الوحيدة القادرة على إعادة التوازن إلى المجتمع الذى إضطرب واهتز فهى تنمى فكر الإنسان، وتنظم سلوكه وتُعَدِّله ، وتُحَرِّك فى نفسه الأحاسيس والمشاعر الإيجابية وتغرس العواطف الجديرة بأنه تدفعه إلى السلوك الذى نظمت الشريعة الإسلامية قواعده وضوابطه ، وعن طريقه تصل إلى تنمية شخصية الإنسان من جميع جوانبها فى إنسجام وتكامل .

والمؤسسات التربوية عندما تمارس التربية الإسلامية فى التنشئة الإجتماعية فإنها بذلك تحمينا من أساليب المنهج الغربى الذى لا يناسب مجتمعاتنا الإسلامية فأساليب المنهج الإسلامى الشرقى النابع من الدين الإسلامى تعتمد فى ذلك على مصدرين هامين هما القرآن والسنة وهما مصدرا الدين الإسلامى نفسه .

وقد حاول المؤلف تصنيف أساليب المنهج الإسلامى الذى نقصد به التربية الإسلامية إلى مجموعة أساليب تنموية مناسبة لشخصية الإنسان بمكوناتها البنائية والوظيفية يوجزها فيما يلى :-

١- الإسلام وتنمية العقيدة الدينية .

٢- الإسلام وتنمية القيم الخلقية .

٣- الإسلام وتنمية الفكر والعقل .

٤- الإسلام وتنمية العلاقات والقيم الإجتماعية .

٥- الإسلام وتنمية الجوانب والإتجاهات النفسية .

٦- الإسلام وتنمية الجوانب الصحية والجسمية .

وفى الصفحات التالية يوضح المؤلف بالتفصيل كل نوع من هذه الأنواع بأساليبه الفرعية المختلفة ..

١- الإسلام وتنمية العقيدة الدينية

أ- التربية الإسلامية بالقرآن الكريم .

ب- التربية الإسلامية بإتباع الرسول (ﷺ) .

ج- التربية الإسلامية بدروس التوحيد .

د- تنمية العقيدة الدينية عن طريق دروس الفقه .

١- التربية الإسلام وتنمية العقيدة الدينية

المقصود بتنمية العقيدة الدينية التسامى بروح الإنسان إلى الأفق الأعلى من خلال القرآن ، والتوحيد ، والفقه ، والتفسير ، والسيرة النبوية ، والثقافة الإسلامية حتى نربى الأجيال على الإسلام وعلى تحقيق العبودية لله جل جلاله بكل ما فى هذه الغاية من معنى ومدلول ، وبكل ما تؤدى إليه من نتائج فى الحياة والعقيدة والعقل والتفكير...

العبودية لله هى التلقى من الله وحده فى أمر الدنيا والآخرة ، ثم هى الصلة الدائمة بالله فى هذا كله ، وهذه الصلة فى الحقيقة هى منهج التربية كله ، تتفرع منه جمع التفريعات وتعود فى النهاية كلها إليه ... والعبودية لله والصلة الدائمة به تتم عن طريق العبادة ... والعبادة لا تقتصر على اللحظات القصيرة التى تُشغلها مناسك التعبد ، وما كان هذا هو القصد من الآية الكريمة ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ (١) . وإلا فما قيمة لحظات عابرة فى صفحة النفس وفى صفحة الكون ، ولا تترك لها أثرا وتضيع فى الفضاء ، إنما قيمتها أن تكون منهج حياة يشمل كل الحياة قيمتها أن تكون خطة سلوك ، وخطة عمل ، وخطة فكر ، وخطة شعور ، قائمة كلها على منهج واضح ، يتبين فيه – فى كل لحظة – ما ينبغى ومالا ينبغى أن يكون (٢) .

---

(1) سورة الذاريات : ٥٦ .
(2) محمد قطب . منهج التربية الإسلامية ، مصدر سابق ، صـ ٣٨ .

وفيما يلى أساليب تنمية العقيدة الدينية التى تمثل القاعدة الرئيسية للتربية الإسلامية :-

أ- التربية الإسلامية بالقرآن الكريم :

العلاج بالقرآن غايته القريبة تلاوته ، وحسن فهمه ، وتطبيق أساليبه وهذا فيه العبودية والطاعة لله ، والإهتداء بكلامه ، والخوف منه وتنفيذ أوامره ، والخشوع له .

ويقول الإمام الفخر الرازى (١) : " إعلم أن القرآن شفاء من الأمراض الروحانية ، وشفاء أيضا من الأمراض الجسمية ، أما كونه شفاء من الأمراض الروحانية فظاهر ، ذلك لأن الأمراض الروحانية نوعان : الاعتقادات الباطلة والعادات المذمومة ، وأما الأخلاق المذمومة فالقرآن مشتمل على تفصيلها وتعريف ما فيها من المفاسد والإرشاد إلى الأخلاق الفاضلة الكاملة والأعمال المحمودة فكان القرآن شفاء من هذا النوع من المرض ، فثبت أن القرآن شفاء لهذه الأمراض أن قراءته على المريض أو تعليق المكتوب من الآيات عليه ، وما أشبه ذلك ليس شفاءً كما يفهم ذلك بعض الجهال ، وإنما معنى الشفاء أنه جاء فيه من المبادىء التى تكفى لوقاية الإنسان من تلك الأمراض إذا ألتزم بها الناس ظاهرا وباطنا (٢) .

أى أن دروس القرآن لو حققت غاياتها لكانت من أفضل الوسائل لتحقيق الهدف الأسمى للعلاج الإسلامى (٣) .

والمربى الإسلامى الذى يُطبق المنهج الإسلامى بالتربية القرآنية للنشىء يستطيع أن يُحَبِّبْ إليهم دراسة القرآن ، ويسُاعدهم على فهمه ، عن طريق الأنشطة

---

(1) تفسير الكبير ، الإمام الفخر الرازى ، الطبعة البهية المصرية ، القاهرة ٣٤/٢١ .
(2) د. مقداد بالجن – التربية الأخلاقية ، مصدر سابق ، صـ ١١١ .
(3) عبد الرحمن النحلاوى : أصول التربية الإسلامية ، مصدر سابق ، صـ ١١٥ .

والبرامج الدينية التى يستعين فيها بمن يختارهم من رجال الدين المتخصصين المثقفين القادرين على أداء هذه المهمة الجليلة ، على أن يراعى فى هذه الأنشطة مناسبتها لأعمارهم ومستوياتهم العقلية حيث يتم ذلك بصورة سهلة مبسطة وبطريقة جذابة شيقة ، حيث أن التربية بالقرآن أنسب أساليب العلاج الإسلامى للإنحرافات المختلفة ، وبذلك يهتدون إلى الطريق المستقيم فيعبدون الله ويطيعونه ويهتدون بكلامه ، ويخافون منه ، ويخشعون له ، وَيُنْفِذُون أوامره ، وبعد ذلك يتم علاج إنحرافهم وُيّقَّومْ سلوكهم ، ويعتدل تفكيرهم عندما يسمعون **قوله تعالى**: ﴿ وَلَا تَقْرَبُوا الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ ﴾ (١) وسيعرفون أن إرتكاب الفواحش وهى الجرائم الإجتماعية ، من شأنه أن يثير الإضطراب ، والحقد فى العلاقات الإجتماعية من أشد العوامل فتكافى فى تقويض المجتمع (٢) .

ب- التربية الإسلامية بإتباع الرسول ﷺ :

أما طريقة التربية بإتباع الرسول ﷺ فهى التى تُعلِّم الطفل القيام بالعبادات والمعاملات وكل شئون الحياة : على هدى هذا الرسول الذى أرسله ربه ليطُاع بإذن الله ، فدروس الحديث والسيرة ،غايتها إتباع الرسول ﷺ لأنه مُبَيِّنٌ للقرآن ولتفاصيل شريعة الله عزوجل .

لقد كان رسول الله ﷺ أقدر الناس على تنمية العواطف الربانية والإعتماد عليها عند الضرورة ، فقد كان بشخصه وشمائله وسلوكه وتعامله مع الناس ، ترجمة

(1) سورة الأنعام آية ١٥١ .
(2) د / محمد البهى "نحو القرآن" القاهرة ، مكتبة وهبة ، ١٩٧٩ ، صـ ١١٣ .

عملية بشرية حية لحقائق القرآن وتعاليمه وآدابه وتشريعاته ، ولذلك بعثه الله ليكون قدوة الناس يحقق المنهج التربوى الإسلامى، ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ﴾ (١) .

إن كل من يشترك فى عملية التنشئة ويطبق المنهج الإسلامى فى تربية النشىء يحاول تغييرهم وتربيتهم من خلال أنشطة دينية تحتوى على دروس الحديث والسيرة النبوية التى يُعِدُّها لهم ، مستعينا فى ذلك برجل من رجال الدين ، يُساعده فى تصميم وتنفيذ تلك الأنشطة والبرامج الدينية التى تمكن الأطفال من فهم السيرة النبوية ، ودراسة وفهم الأحاديث سواء كان ذلك من خلال قصة أو تمثيلية تُعد خصيصا لذلك ، أو من خلال زيارات للمساجد فى مواعيد الصلاة ، والدروس ، وبذلك يُتيح لهم الفرصة للإستماع لتلك الدروس والأحاديث وهو معهم يُشجعهم ويعُاونهم ويُبسِّط لهم بعض المعانى التى يصعب عليهم فهمها ، وبذلك يُدَعِّم حب الرسول فى قلوبهم فيهتدون بَهدْية ويَتَّبعُونْ تربيته بعد أن أحبوا الله واهتدوا بقرآنه .

(١) سورة الأحزاب آية ٢١ .

ج- التربية الإسلامية بدروس التوحيد :

بعد أن تُحقق التربية الإسلامية بإتباع الرسول أهدافها ، يأتى دور تنمية العقيدة الإسلامية عن طريق دروس التوحيد ، وهى تبدأ من توضيح الهدف الأسمى منها ، أى من توضيح معنى الألوهية والربوبية ، ومعنى عبودية الإنسان لله وحده وما هى الصفات الإلهية التى لا يجوز إسنادها لغير الله .

ومن خلال دروس التوحيد تُرَبِّى العقيدة الإسلامية التى تتغلغل إلى أعماق الحدث وترتبط بكيانه وتكون مقوما ضروريًا لطبيعته ... وليس فى مقدوره أن ينفصل بفكره ووجوده عن رباطها الوثيق وصلتها العميقة بالنفس، ... وعندئذ يستشعر المرء فى نفسه بالخضوع والإذعان لأوامرها ، والوقوع تحت تأثيرها بمقدار ما يتجلى له من حقيقتها ، وما ينكشف له من معانيها ، وأيضا بمقدار ما ينطبع عنها فى ذهنه من آثار ، وما يكون لها فى وجدانه من إنفعال ، ثم ما يقوم لها فى قلبه من قداسة واعتبار(١) .

ولكى تنج دروس التوحيد فى تربية فى تربية العقيدة الإسلامية للناشئين والمنحرفين فلابد أولا أن يستخدم كل مشترك فى عمليات التربية كل قدراته وأساليبه المهنية فى تكوين الرغبة فى الاعتقاد والاقتناع بكل جانب من جوانب العقيدة ، لأن الأفراد العاديين والمنحرفين لن يؤثر فيهم ذكر أدلة الاعتقاد قبل أن تتكون لديهم الرغبة فى الإعتقاد والإقتناع الكامل بكل جوانبه ، حيث أن من لا يرغب أولا فى الاعتقاد لا يعتقد ، ولو ذكرت له جميع الأدلة العقلية والعلمية ، ولهذا

([1]) د/ محمد بيصار ، "العقيدة والأخلاق وأثرها فى حياة الفرد والمجتمع " ، مكتبة الأنجلو المصرية ، الطبعة الثالثة ، ١٩٧٢ ، صـ١٤ .



لما تكلم الله تعالى عن هؤلاء الذين لا يريدون أن يؤمنوا لا لعدم وجود الأدلة وإنما لعدم رغبتهم (١) **فقال تعالى** : ﴿ وَلَوْ أَنَّنَا نَزَّلْنَا إِلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةَ وَكَلَّمَهُمُ الْمَوْتَى وَحَشَرْنَا عَلَيْهِمْ كُلَّ شَيْءٍ قُبُلًا مَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا ﴾ (٢) ، كما قال سبحانه وتعالى: ﴿ وَإِنْ يَرَوْا كُلَّ آيَةٍ لَا يُؤْمِنُوا بِهَا ﴾ (٣) ، وهذا ما يقرره الفيلسوف بسكال بقوله :"عن معرفة الإنسان لله تابعة لإرادة الإنسان لا لعقله (٤)" ويقول (وليم جيمس) مقررا ذلك أيضا : "فالرغبة فى نوع معين من الحقيقة هى التى توجد لنا ذلك النوع المعين منها(٥) " ذلك أن الأمر كما يرى وليم جيمس أن القوة الإرادية فوق القوة الإدراكية ولا تعمل إلا بمساعدة هذه القوة الإرادية (٦) ويقول وليم جيمس فى مكان آخر حول هذه الفكرة :"إن الرغبة فى شىء ما تخلق وجود ذلك الشىء وإن الرغبة فى حقيقة معينة معناها وجود لهذه الحقيقة، والإعتقاد فى واقعة ما يساعد على خلق هذه الواقعة(٧).

والعقيدة الإسلامية هى إخلاص العبودية لله وحده ، فهى تُعَرِّفُ الإنسان بكل مقاصد العبادة والسلوك فى الحياة وتُعرِّفه بما يجب أن يحذره من كل مظاهر الشرك وعقائده .

هذا الجانب الاعتقادى من دروس الدين الإسلامى ، هو أهم وأول ما يجب الاهتمام به ، على أن تكون ثمراته ونتائج فهمه مطبقة على جميع جوانب الحياة ، فيعرف

---

(1) التربية الأخلاقية الإسلامية : مصدر سابق ، ١٩١ .
(2) سورة الأنعام : ١١١ .
(3) سورة الأنعام : ٢٥ .
(4) بسكال بقلم د/ نجيب بدوى ،دار المعارف ، الطبعة الثانية ، القاهرة ، صـ ١٥٥ .
(5) العقل والدين ، وليم جيمس، ترجمة د/ محمود حسب الله ، عيسى البابلى الحلمى ، القاهرة ، ١٩٤٩ ، صـ ٢٦ .
(6) نفس المصدر ، صـ١٠٧ .
(7) وليم جيمس ، مرجع سابق ، دار المعارف القاهرة ، ١٩٥٨ ، ١٤٠ .

الناشىء أنه يتعلم القرآن وُيَعظِّمُه لأنه كلام الله ، ووسيلة لمناجاته ومعرفته والخضوع له وتحقيق أوامره .

والمؤسسات التربوية التى تطبق المنهج الإسلامى لتقويم السلوك عن طريق تنمية العقيدة الدينية يستعين بأهل الخبرة والمتفقهين فى الدين ، ليقدموا للناشىء دروس التوحيد اللازمة لتنمية إيمانهم ، وأخصائى التنمية دائما معهم فى جميع هذه الأنشطة الدينية حتى يشجعهم على إستمرار الاستفادة منها ، ويُبَسطٍّ لهم ما يصعب عليهم فهمه وبذلك يستفيدون من هذه الفرص التى تساعد على تنمية شخصياتهم وتقويم إنحرافهم وتعديل سلوكهم .

د- تنمية العقيدة الدينية عن طريق دروس الفقه :

أما دروس الفقه فهى أسلوب آخر من أساليب تنمية العقيدة ، فهى التى تربى السلوك الإسلامى الفردى والإجتماعى ، بما تقدمه للنشىء من قواعد تفصيلية ، مستقاة من القرآن والسنة ، لبيان أساليب العبادة والسلوك التى يرضاها الله فى جميع شئون الحياة ، ولبيان نظم العلاقات الاجتماعي ، كما يأمرنا الله أن نحققها فى كل إتصالاتنا بالآخرين ، فيجب ربطها دائما بهدفها الأسمى ، طاعة الله والاهتداء بهدى رسوله ، وتحقيق الخضوع والعبودية لله ، كما يريد الله .

ولكى تُحَقِّقْ دروس الفقه أهدافها التنْموية المطلوبة فإن أخصائى التنمية الذى يطبق المنهج الإسلامى لتقويم وتنمية الشخصية فإنه يختار لهم من يُقَدِّم لهم دروس الفقه ويوضحها ويبسطها لهم ، ويوصلها إليهم بطريقة محببة حتى يستفيدون منها أحسن إستفادة ممكنة ، وعندما يختار أحد المتخصصين فى دروس الفقه فإنه

يخطط لهم ويرسم معه أحسن البرامج وأنسب الأنشطة الدينية التى توصل لهم المطلوب من دروس الفقه بصورة سهلة ومبسطة .

وهكذا تُصبح العقيدة الدينية الأساس الذى تُبنى عليه تربية حياة الناشىء المسلم من كل جوانبها ، لأنها تنمى عنده الحد الأدنى فى التصورات العقلية للإسلام عن الكون والحياة ، والعادات السلوكية ، والعواطف الإسلامية الربانية ، وعقيدة التوحيد ، وقواعد الشريعة ، وكلام الرسول ﷺ وبذلك تتحقق الغاية النهائية للمنهج الإسلامى ، وهى إنشاء جيل مسلم مطمئنا مقتنعا ، راغبا فى عبادة الله وحده وتوحيده شاعرا بعظمة شريعته وعدالتها الحقيقة التى لا عدالة بدونها ولا سعادة بغيرها ، وفى ذلك أعظم وقاية من الإنحراف وأعظم تنمية وتدعيم للشخصية.
والتربية الإسلامية عندما تطبق المنهج الإسلامى مع النشىء فإنها تسعى إلى هدفين متكاملين فى آن واحد : أحدهما على المدى القريب وهو تقويم سلوك المنحرفين وعلاج إنحرافهم ، والهدف الثانى على المدى الأبعد وهو بناء الجيل المسلم الذى يبنى حياته على تحقيق عبادة الله وهو الهدف الأسمى للمنهج الإسلامى .
ومن الممكن إيجاز الأهداف التى يمكن للتربية الإسلامية تحقيقها عندما تُطبق المنهج الإسلامى عن طريق تنمية العقيدة الدينية فيما يلى :

إيقاظ إحساس النشىء بقدرة الله خالق الكون كما يلى(١) :

أ- تشجيع ميلهم التلقائى إلى استطلاع عجائب الكون التى تدل على عظمة الله وبديع خلقه .

(١) د/ عواطف إبراهيم محمد ، "وحدة لتنمية الشعور الدينى عند الأطفال" طنطا ، دار سماح طنطا ، القاهرة ، ١٩٧٩ صـ ٥٢ .

ب- الإجابة عن أسئلتهم بصدق وأمانة بأسلوب يتفق مع سنهم.

ج- تشجيعهم على تربية الدواجن والحيوانات الأليفة حتى تتاح لهم الفرص لملاحظتها وهى تتكاثر وتنمو وتموت.

د- كما تشجعهم على زراعة بعض النباتات ورعايتها لملاحظة تدرج نموها وتنوع محاصيلها.

والأخصائى الممارس للتربية الإسلامية يُتيح لهم هذه الفرص من خلال الأنشطة المختلفة التى يُخططها ويصممها لتحقيق الهدف، وبذلك يكتسبون الكثير من الخبرات التى توقظ إحساسهم بقدرة الله الخالق لهذا الكون.

بالإضافة إلى تغذية النزعة الجمالية لدى الناشىء كما يلى[1]:

أ- إتاحة الفرصة لاستمتاعهم بمشاهدات الطبيعية ومخلوقات الله التى تملأ قلوبهم إيمانا بالله خالق الجمال.

ب- تذوقهم الفنون المختلفة التى تثير فيهم إحساسا بالخالق لكل البشر.

ج- تعبيرهم الحر - (بالقصة والحركة والإيقاع والرسم والتمثيل والأناشيد والأدعية والتشكيل والموسيقى) - عما يختلج فى نفوسهم من مشاعر ورغبات.

والأخصائى الممارس للتربية الإسلامية عندما يُطبق المنهج الإسلامى على النشىء فإنه يتعاون معهم فى وضع الأنشطة والبرامج المختلفة التى تساعدهم فى ذلك، فعن طريق برنامج الرحلات يستمتعون بعجائب خلق الله التى يُلْفتِ

([1]) وحدة لتنمية الشعور الدينى عند الأطفال، المصدر السابق، صـ ٥٣.

الأخصائى أنظارهم إليها أثناء هذا النشاط الحر، وعن طريق البرامج الترفيهية يتخير لهم الأناشيد الدينية الممتعة ، ومن خلال التمثيليات المختارة يُدَعِّم الكثير من الإتجاهات الدينية ، ومن خلال المسابقات والمعارض المختلفة فى الرسم والتشكيل والموسيقى يُغذى لديهم النزعة الجمالية ، فيحبون الجمال وتمتلىء قلوبهم إيمانا بخالق هذا الجمال ، ومن خلال الاحتفالات والمناسبات الدينية تتفتح قلوبهم للعقيدة الدينية .

تنمية الإيمان بالله خالق الكون كما يلى (1) :

أولاً : أ- تعويدهم على دعاء الله كل صباح لشكره على نعمه عليهم.

ب- تحفيظهم بعض السور القرآنية التى تناسب أعمارهم وتفكيرهم.

ج- إمتاعهم بقصص للأنبياء والرسل وبطولات المسلمين .

د- إحتفالهم بالمناسبات الدينية مثل غزوة رمضان ، ليلة القدر ، العيدين ، هجرة الرسول ﷺ ... إلخ.

وأخصائى التنمية يستطيع تحقيق ذلك بالاتفاق مع المشرفين الموجودين بالمؤسسة سواء كانوا مشرفين ليليين أو نهاريين ، وكذلك بالاشتراك مع كل من يُنَفِّذ برامج التربية الإسلامية وخاصة من لهم صلة بالبرامج والأنشطة الدينية .

---

(1) وحدة لتنمية الشعور الدينى عند الأطفال ، المصدر السابق ، صـ٥٣ .

ثانيًا : استثارة عاطفة التراحم والشفقة نحو الفقراء والضعفاء كما يلى :

أ- باستماعهم إلى قصص الرسل والأنبياء وأبطال العرب التى تعطى العظمة والعبرة .

ب- بزيارتهم لبعض المؤسسات الاجتماعية مثل المستشفيات والسجون ومؤسسات رعاية الطفولة المختلفة وتقديم الهدايا لنزلائها.

ج- بالتصدق بالمال والأطعمة والملابس فى المناسبات .

د- بمساعدة من يطلب منهم عونا يستطيعون أدائه ، واستضافة بعض نزلاء مؤسسات رعاية الطفولة للتعرف عليهم والإحساس بمشاعرهم (١) .

والتربية الإسلامية قادرة على تصميم البرامج والأنشطة الكثيرة التى تحقق تلك الأهداف ، حيث أن الأخصائى المختص يتمتع باحترام وثقة العملاء الذين يهتم بتربيتهم فهم يستجيبون لكل توجيهاته ويحترمون تعليماته وإرشاداته ، ويقبلون على تلك البرامج والأنشطة بحماس كبير ورغبة صادقة ، فيقضون معه وقتا ممتعا يستغله الأخصائى لتدعيم هذه الإتجاهات بعد أن أصبح الجو مهيئا للتأثير فيهم ، وعندئذ يُصبح قادرا على تحقيق أهداف المنهج الإسلامى الذى يحيق أهداف التربية الإسلامية .

وأخصائى التنمية الذى يطبق المنهج الإسلامى مع الأطفال والمنحرفين يحاول إكسابهم خبرات تعليمية جديدة تهدف إلى تدعيم القيم والمبادىء الإسلامية، وتنمية المهارات ، وتكوين الإتجاهات السلوكية المرغوبة ، وبذلك يتمكن من إحداث التغييرات المطلوبة فى سلوكهم وصولا لتدعيم وتنمية شخصياتهم .

وهكذا تحقق تنمية العقيدة الدينية الأهداف العلاجية المطلوبة حيث أنها تعتبر أهم أساليب التربية الإسلامية المنشودة .

---

(١) نفس المصدر ، صـ ٥٣ .

٢- التربية الإسلامية وتنمية القيم الخلقية .

أ- التنميـــة الخلقيـــة بتكـــوين العـــادة .

ب- التنميـــة الخلقيـــة بالقـدوة الحسنـــــة.

ج- التنمية الخلقية عن طريق الترغيب والترهيب .

د- التنميـــــة الخلقيـــة بالمضـادات الخلقيـة .

التربية الإسلامية بتنمية القيم الخلقية

التنمية الخلقية هى التدريب على السلوك الرشيد ، وتكوين الخلق الحميد... وهى المصباح الكاشف لمسالك الرشد والهداية ، وهى المعيار الذى تُوزن به نوايا العاملين وبواعثهم ، وهى التوجيه المستمر لأعمال الإنسان على طريق الإستقامة .

ولا نبالغ إذا قلنا أن التنمية الخلقية هى الوصول إلى المثل العالى من الخلق الكامل فى العادات ، والأحوال ، والآداب فى هذه الحياة ... وقد اتفق المربون والمصلحون على أن سعادة الأمم لا تتوقف على كثرة دخلها ، ولا على قوة حصونها ، أو جمال مبانيها، ولكنها تتوقف على عدد المهذبين من أبنائها ، وعلى رجال التربية والعلم والأخلاق فيها ، فهنا تكون سعادتها وقوتها ومقدرتها الحقة (١) .

والتنمية الخلقية كما جاءت فى الإسلام لها هدفان أحدهما على المدى القريب والآخر على المدى البعيد .

أما الهدف القريب فهو تكوين الإنسان الخير الذى حدد الرسول ﷺ شخصيته بأنه يُصبح مفاتيح للخير مغاليق للشر (٢) ، يتميز بالإنفتاح للخير عن حب للخير ، والإسراع إليه عن رغبة فيه ، وإجتناب المعاصى عن كره لها لا إتباعًا للعادة ، ولا خوفًا من عقاب القوانين أو تعيير المجتمع، يحبون الفضيلة ويؤثرون مصلحة غيرهم على أنفسهم كما جاء فى **قوله تعالى** : ﴿ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا

([1]) محمد عطية الإبراشى :"روح الإسلام" دار إحياء الكتب العربية ، القاهرة ، ١٩٦٩ ، صـ٦٩ .
([2]) المقاصد الحسنة صـ ١٢٩ رواه ابن ماجة والطلياليس .

يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ﴾ ([1]) ثم إلى جانب هذه الصفات الخيرة النيرة يتسابقون فى عمل الخيرات ﴿أُولَئِكَ يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَهُمْ لَهَا سَابِقُونَ﴾ ([2]) .

من هذا كله يتبين لنا أن تكوين إنسان خير يتضمن من المعانى أكثر من مجرد إنسان كامل يراه بعض المربين (٣) ، أو الوصول بالإنسان إلى نبالة الخلق كما يراه البعض الآخر (٤) ، أو تكوين إنسان تام كما يراه آخرون (٥) ، لأن هذه الكلمات قد تفيد التخلق الظاهرى فحسب ولا تفيد التخلق الباطنى أو روح التخلق، لأن الإنسان قد يتخلق بمظاهر الأخلاق ولا يتخلق بروح الأخلاق ومظاهرها معا هو الذى يجعل الإنسان خيرا ، أى يجعله يسعى للخير أينما كان ويفتح أبوابه إذا وجدها مقفولة ، ولا يكتفى بالكف عن الشرور ، وإنما يسعى باستمرار للحيلولة دون وقوع الشر كما يسعى لقفل أبوابها ونوافذها أينما وجدها مفتوحة (٦) .

أما الغاية البعيدة للتنمية الخلقية كما أرادها الإسلام فهى الوصول بالإنسانية إلى سعادة الدنيا ونعيم الآخرة ، وقد أكد الرسول ﷺ صراحة أن حسن الأخلاق طريق سعادة الإنسان ، وسوء الأخلاق طريق شقائه ، فقال ﷺ :**"من سعادة المرء حسن الخُلُق ومن شقاوته سوء الخلق"** (٧) ، تلك حقيقة واضحة إذا

([1]) سورة الحشر : ٩ .
([2]) سورة المؤمنون : ٦١ .
([3]) تهذيب الأخلاق صـ ٤٠ ، ابن مكسوية .
([4]) الأخلاق والسلوك فى الحياة ، وليم ماكدوجل ، ترجمة جبران سليم إبراهيم ، مكتبة مصر ، ١٩٦١ ، صـ ١٣٣ .
([5]) تهذيب الأخلاق وينسب إلى أبى زكريا يحيى بن عدى ، صـ ٥٦ .
([6]) التربية الأخلاقية / مصدر سابق ، صـ ١٠٩ .
([7]) مسند الإمام أحمد ، الإمام أحمد بن حنبل ، المكتب الإسلامى للطباعة للنشر ، بيروت ، ١٠١٩٩ / ١٢٢ .

أمعنا النظر فى حكمة الأخلاق الإسلامية والقيم التى تحملها ، وكذلك نجدها واضحة وصريحة فى كثير من النصوص القرآنية والسنة النبوية .. لما فيها من قيم صحيحة ، إقتصادية وإنسانية وإبداعية ومادية ومعنوية وفردية وإجتماعية ، الأمر الذى يجعلنى أقول بكل تأكيد بأنه لا يمكن تحقيق السعادة بدون إتخاذ هذه الأخلاق طريقا ومنهجا فى الحياة الفردية والإجتماعية معا (١) .

ويعلل الإسلام لماذا كانت الأخلاق الحسنة طريق السعادة ، والأخلاق السيئة طريق الشقاوة ، بأن مبادىء الأخلاق الحسنة تحمل فى طياتها أسباب السعادة ، وسوء الأخلاق تحمل أسباب الشقاوة ، فمن أسباب السعادة وجود الصحة الكاملة من الناحية النفسية والجسمية ، وإنعدام هذه الصحة يؤدى إلى التعاسة والشقاوة، وهناك علاقة بين الأمراض النفسية والجسمية ، فإن كثيرا من الأمراض النفسية تؤدى مثلا إلى أمراض بيولوجية والعكس صحيح ، ويقرر ذلك كثير من العلماء الغربيين (٢) وإذا كان معظم الأمراض النفسية أسبابها الإنحرافات الأخلاقية كما يقرر ذلك العلماء النفسيون ومنهم (هادفيك) الذى يقول فى هذا الصدد "كل مرض نفسى ينطوى على نقص خلقى" (٣) فإن الإسلام قد قرر ذلك قبل هؤلاء ، وبين العلاقة بين الإنحراف الأخلاقى والأمراض النفسية ثم بين الأمراض النفسية بشكل واضح وصريح فقال الرسول ﷺ " **من ساء خلقه عذب نفسه ومن كثر همه سقم بدنه** (٤) " .

(1) الاتجاه الأخلاقى فى الإسلام : مقداد بالجن ، مصدر سابق مكتبة الخانجى ، القاهرة ، ١٩٧٣ ، صـ ٣٠٧ ، صـ٣٥١.
(2) حامد عبد القادر : العلاج النفسى قديما وحديثا ، دار أحياء الكتب العربية ، القاهرة ١٩٤٧ ، صـ١٣٨ .
(3) توفيق الطويل " الفلسفة الخلقية " دار النهضة ، ١٩٦٧ ، صـ٤٦٨ .
(4) منتخب كنز العمال فى هامش مسند أحمد ٢٥٨/١ .

ولذلك فإن العلاج الإسلامى الشافى لكل هذه الأمراض جاء واضحا صريحا فى القرآن الكريم بمبادئه العظيمة التى لا شفاء بدونها ، **فقال سبحانه وتعالى** : ﴿ **وَنُنَزِّلُ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ وَلَا يَزِيدُ الظَّالِمِينَ إِلَّا خَسَارًا** ﴾(1).

وبعد أن عرفنا هدفى التنمية الخلقية البعيد والقريب فإنه يمكن القول أن هناك علاقة وثيقة بين غايتها القريبة والبعيدة ، ذلك أنه إذا كانت غايتها القريبة تكوين إنسان خير ، فإن تكوين إنسان خير الوسيلة الوحيدة للوصول بالإنسانية إلى السعادة . إذن فإن هدف التنمية الأخلاقية الإسلامية القريبة طريق وحيد لتحقيق غايتها البعيدة وهى تحقيق السعادة للمجتمع الإنسانى (٢) .

إن التربية الإسلامية توجب علينا أن نذكر دائماً أننا لسنا فى حاجة إلى العلم فحسب ولكننا فى حاجة إلى التنمية الخلقية ، فى حاجة إلى الأخلاق الفاضلة فقال الرسول ﷺ " **إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق** " وقد خاطب الله الرسول " ﷺ بقوله " ﴿ **وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ** ﴾ (3) وقد قال أبو بكر الصديق ﷺ للرسول والكريم " لقد طفت العرب ، وسمعت فصحاءهم ، فما رأيت ولا سمعت مثلك أحداً، فمن أدبك ؟ قال الرسول ﷺ : " **أدبنى ربى فأحسن تأديبى** " (4).

إن روح الإسلام هى الأخلاق الفاضلة الكاملة التى تستدعى من المسلم أن يخاف الله فى السر والعلانية ، فى كل عمل يفكر فيه، أو يُقْدم عليه ويتقى الله حق تقاته ،

---

(1) سورة الإسراء : ٨٢ .
(2) التربية الأخلاقية الإسلامية ، مصدر سابق ، صـ١٢٤ .
(3) سورة القلم آية ٤ .
(4) رواه ابن السمعانى فى أدب الإسلام عن ابن مسعود رضى الله عنه .

وُيفكر دائما فى النواحى الإنسانية ، والأغراض النبيلة الإسلامية ، ويبغى كل عمل إرضاء لله ، ويدعو إلى الخير ، ويستنكر كل شر ويُحب أخاه المسلم ، ويتعاون معه على البر والتقوى ، ولا يتعاون على الإثم والعدوان ، ويخلص فى أفعاله الإخلاص كله(1) .

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ ﴾ (2) .

إن روح الإسلام تتطلب الإيمان الكامل بالله ، والإتجاه إلى الله بالقلب واللسان ، والعمل الصالح ، وتطهر النفس ، وترك الأمور كلها لله ، والثقة التامة به **فقال سبحانه وتعالى** : ﴿ بَلَى مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ للهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَلَهُ أَجْرُهُ عِنْدَ رَبِّهِ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾ (3) . كما قال **سبحانه وتعالى** :﴿ مَنْ يَعْمَلْ سُوءًا يُجْزَ بِهِ وَلَا يَجِدْ لَهُ مِنْ دُونِ اللهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا * وَمَنْ يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ وَلَا يُظْلَمُونَ نَقِيرًا ﴾ (4).

﴿ وَمَنْ أَحْسَنُ دِينًا مِمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ للهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ وَاتَّبَعَ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَاتَّخَذَ اللهُ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلًا ﴾ (5) .

وهكذا نرى أن الاسلام يوجب علينا تربية الخُلق ، وحسن السلوك وتهذيب الإرادة وتمييز الغس من الثمين ، والحسن من القبيح ، واختيار الفضيلة وتجنب الرذيلة ، حتى يُربى رجالا كريمى الخلاق ، أقوياء العزيمة ، مهذبين فى

(1) روح الإسلام ، مصدر سابق ، صـ71 .
(2) سورة آل عمران : 102 .
(3) سورة البقرة : 112 .
(4) سورة النساء : آية 123 ، 124 .
(5) سورة النساء : 125 .

أقوالهم وأفعالهم ، نبلاء فى تصرفاتهم وخلقهم ، صفاتهم الحكمة والفضيلة والأدب والإخلاص والطهارة .

الأخصائى الممارس للتربية الإسلامية الذى يطبق المنهج الإسلامى لتربية الناشئين وعلاج المنحرفين الذين انحرفت أخلاقهم، وفسدت طباعهم ، يحاول إصلاح ما فسد وتقويم ما انحرف ، عن طريق التنمية الخلقية التى تسعى إلى تثبيت القيم الأخلاقية الأصلية التى توارثتها الأمة الإسلامية جيلا بعد جيل مهتدية بكتاب ربها وسنة نبيها ، الذى بعثه الله لِيتُم مكارم الأخلاق، وإزالة ما تركم عليها من رواسب عصور التخلف ، وما دخل عليها من تقليد الأمم الأخرى قديما وحديثاً ، فالسخاء والإيثار ، والحياء ، والصبر على المكارم ، والثبات فى الشدائد ، والتعاون على البر والتقوى ، والدعوة إلى الخير ، والأمر بالمعروف والنهى عن المنكر ، وبر الوالدين ، وصلة الأرحام ، والإحسان إلى الجار ، وإكرام الضيف، وإغاثة الملهوف ، والصدق فى القول ، والأمانة فى العمل ، والعدل فى الحكم والشهادة بالحق ، ورحمة الصغير ، وتوقير الكبير ، وإعطاء كل ذى حق حقه ، وخفض الجناح ، وعزة النفس ، والقصد والاعتدال فى كل شئ ... إلى غير ذلك من فضائلنا العظيمة الإصيلة التى يجب أن تسود وتبقى وتعمق جذورها وتمد فروعها (١) .

والتربية الإجتماعية تسعى لتحقيق ذلك من خلال تطبيقها للعلاج الإسلامى عن طريق القدوة الصالحة ، التى يلمسها النشئ فى أخصائى التنمية الذى يحاول تنمية أخلاقهم ، ويحرص على إكتساب ثقتهم ومحبتهم ، ويُخطط

(١) يوسف القرضاوى : الحل الإسلامى فريضة وضرورة ، مكتبة وهبه ، القاهرة ، الطبعة الثالثة ، ١٩٧٧ ، صـ٤٧ .

ويصمم لهم البرامج والأنشطة التى تدعم تلك الفضائل ، كما يُهيئ لهم الفرص للإشتراك فى بعض الندوات وحضور بعض المحاضرات ، وأداء بعض التمثليات أو مشاهدتها ، ومن خلال القصص والحكايات يستطيع أخصائى التنمية إبراز تلك القيم الأخلاقية ، وإكسابها لهؤلاء الناشئين المنحرفين ، وبذلك يُحيى قلوبهم ، ويُوقظ ضمائرهم ، وهى أعظم رادع عن الشر ، وأكبر حافز إلى الخير وأقوى مدد لمكارم الأخلاق .

ويرى المؤلف أن التنمية الأخلاقية كأهم أسلوب من أساليب المنهج الإسلامى **يمكن تحقيقها عن طريق عدة أساليب فرعية يقترحها المؤلف كما يلى :**

أ- التنمية الخلقية بتكوين العادة :

يتكون الخلق بالممارسة والاعتياد وبكثرة تكرار الفعل والمواظبة عليه ، ولعل ذلك هو الملاحظ عند هؤلاء الذين عَرَّفُوا الخلق بأنه (عادة الإرادة) فعندما يُراد تحويل الإنسان من خلق دميم إلى خلق آخر حميد ، أو يُراد تكوين خلق معين له لم يكن موجودا من قبل نساعد الطفل على تكرار هذا العمل وفعله باستمرار ، مع إستعمال وسائل الإغراء والترغيب ، التى من شأنها أن تحبب إليه إتيان هذا الفعل الحميد ، والإقبال على ممارسته برغبة صادقة وميل أكيد ، واستخدام وسائل التنفير من ضده ، بحيث تصير نفرته منه وإبتعاده عنه ميلا ورغبة ، بل طبيعة وخُلقًا وبالمواظبة على هذا التكرار ، والمداومة على هذا الفعل الحميد ، يُصبح إتيانه وممارسته عادة لازمة ، وطبعا دائما ، أى يصير خلقاً له (١) .

---

(١) العقيدة والأخلاق ، مصدر سابق صـ٢٠٩

وبعد ذلك نرى هذا الخلق الحميد الذى واظب عليه وتَعَوَّد عليه يصدر عنه تلقائيًا غير أن يسبقه تفكير وتقدير بحيث يكون انطباعا من انطباعات النفس وحالاتها ، تحملها على الفعل من غير حاجة إلى تأمل أو روية (١) .

والإسلام يستخدم العادة وسيلة من وسائل التربية ، فَيُحَوِّلَ الخير كله إلى عادة تقوم بها النفس بغير جهد ، وبغير كد ، وبغير مقاومة (٢) .

ويتضح ذلك من قول الإمام الغزالى فى تعريفات الخلق : (هيئة للنفس راسخة عنها ، تُصْدِرُ الأفعال بسهولة من غير حاجة إلى فكر أو روية (٣) كما عرفها ابن مسكويه بأنها "حال للنفس داعية لها أفعالها من غير فكر ولا روية (٤) ".

وقد بدأ الإسلام – وهو ينشأ فى الجاهلية – بإزالة العادات السيئة التى وجدها سائدة فى البيئة العربية ، واتخذ لذلك إحدى وسيلتين : إما القطع الحاسم الفاصل وإما التدرج البطئ ، حسب نوع العادة التى يعالجها ، وطريقة تمكينها من النفس(٥) .

فالقطع الحاسم استخدمه الإسلام بالنسبة للعادات التى تتصل بالعقيد والارتباط المباشر بالله مثل : الشرك بكل عاداته لأنه لا يمكن أن يستقيم إيمان وشـــرك وعبادة لله وعبادة لغيره من كائنات، وكذلك بالنسبة لوأد البنات ، أو بعض العادات النفسية من كذب وغيبة ونميمة وغمز ولمز وكبر ... إلخ من مثل هذه الأمور

([1]) العقيدة والأخلاق . مصدر سابق ، صـ٢٠٩ .
([2]) منهج التربية الإسلامية . مصدر سابق ، صـ٤٢٦ .
([3]) أحياء علوم الدين . . الأمام الغزالى . جـ٣ صـ٢٠ .
([4]) منهج التربية الإسلامية مصدر سابق ، صـ ٢٤٧ .
([5]) منهج التربية الإسلامية مصدر سابق ، صـ٢٤٧ .

التى تُشبه الأورام الخبيثة التى لا علاج لها بالحسم والبتر من أول لحظة، بضربة قاطعة حاسمة .

أما وسيلة التدريج البطئ فقد استخدمها الإسلام مع بعض العادات الإجتماعية التى لم تكن عادات فردية بقدر ما كانت عادات منتشرة فى المجتمع ومن أمثلتها : الخمر والزنا والرق والربا .... إلخ وكلها عادات لا يمكن منعها دفعة واحدة ، ولا تستطيع أى نفس أن تحسم موقفها منها فى لحظة .

لذلك استخدم الإسلام معها التدريج إلى مراحل ودرجات ، أو تأخير تحريمها حتى يكتمل نمو المجتمع الإسلامى ، وقد اتضح لنا ذلك جليا عندما عالج القرآن عادة شرب الخمر التى كانت من أكثر عادات الجاهلية انتشاراً وتمكنا من نفوس العرب ، ولم يكن من الممكن استخدام الحسم القاطع معها ولنتدبر قول الله سبحانه وتعالى وتدرجه فى الآيات التالية ﴿تَتَّخِذُونَ مِنْهُ سَكَرًا وَرِزْقًا حَسَنًا﴾ (١) ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ قُلْ فِيهِمَا إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ وَإِثْمُهُمَا أَكْبَرُ مِنْ نَفْعِهِمَا﴾(٢)﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقْرَبُوا الصَّلَاةَ وَأَنْتُمْ سُكَارَى﴾(٣) ﴿إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالْأَنْصَابُ وَالْأَزْلَامُ رِجْسٌ مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾(٤) .

من هذه الآيات الكريمة نرى كيف تدرج الإسلام فى علاج هذه المشكلة الإجتماعية الخطيرة ، فبدأ بإشارة ذكية لتحريم الخمر، فصل فيها بين السُّكْر والرزق

---

(1) سورة النحل : ٦٧ .
(2) سورة البقرة : ٢١٩ .
(3) سورة النساء : ٤٣ .
(4) سورة المائدة ٩٠ .

الحسن ، ثم كانت مرحلة التفاعل الوجدانى والاقتناع العقلى التى تزحزح النفس عما تحبه ، وُتحوِّلُها عما تألفه من عادات ، ثم جاءت المرحلة الثالثة التى حرمت السكر فى أوقات الصلاة ، وأخيراً كانت المرحلة الحاسمة التى تحتاج إلى التحريم القاطع بعد أن تم تهيئة العقول وإقناعها وتنقية النفوس وتنظيفها واستحياء القلوب وتطهيرها .

وبنفس الطريق تم علاج الزنا ، حيث بدأ بالنصيحة ثم تدرج إلى التهديد بالعقوبة ، ثم تطور تقرير عقوبة مجملة ، وأخيراً قرر عقوبة مفصلة محددة .

كما تدرج فى عدم إكراه الفتيات على البغاء ، إلى إباحة زواج المتعة، إلى تحريم البغاء وتحريم زواج كليهما ، والخلوص إلى إغلاق كل الطرق فيما عدا الزواج المؤبد الدائم المعقود باسم الله وبنية الدوام (١) .

أما بَذْر العادات الصالحة فله كذلك عدة طرق وعدة مراحل: فمثلا بالنسبة للعادات النفسية كالصدق " والوفاء ، والمحبة ، والعطف ، والبذل والإيثار .. فقد لجأ الإسلام فى ذلك أولاً إلى إثارة الوجدان وإنشاء الرغبة فى العمل ، ثم يُحَوِّل الرغبة إلى عمل واقعى ذى صورة محددة واضحة السمات ، فليتقى الظاهر والباطن ويتطابقان ويتكافآن : رغبة وسلوكا ، ثم يحول الرغبة والعمل من مسألة فردية إلى رباط اجتماعى (٢) .

هكذا بعد أن رأينا تدرج الإسلام فى منع العادات المذمومة نرى كيف يتدرج فى تكوين العادات الصالحة كوسيلة من وسائل العلاج الإسلامى ، التى تبدأ

(1)منهج التربية الإسلامية مصدر سابق ، صـ٢٤٩ .
(2) منهج التربية الإسلامية مصدر سابق ، صـ٢٥٠ .

بإثارة الوجدان وتحريك المشاعر ، بهزات وجدانية محببة ، تهز النفس وتنقلها من شعور إلى شعور ، ومن حالة إلى حالة ، بحيث تُصبح على إستعداد للتغيير ، وعندئذ يعمل الإسلام على إنشاء الرغبة فى العمل التى يُسارع إلى تحويلها إلى عمل فعلى يرتبط به الإنسان بواقعه الإجتماعى ، ثم تُصْبِح عادة من عادة الإسلام .

فالصلاة رغبة فى الإتصال بالله والدعاء إليه وطلب المعونة منه ، فُيحول هذه الرغبة إلى عمل محدد ذى مراسم وحدود ثم ينظمها فى أوقات محددة . ثم يدعو إلى الجماعة ويحبب إليها .

والزكاة رغبة فى التحرير من الشح ، والعطف على المحتاج والتعاون مع الجماعة ، فتتحول الرغبة إلى عمل ظاهر محدد ، ذى نسبة معينة فى المال وأوقات معينة فى الأداء ، ثم يُحَوِّل العمل الفردى إلى نظام تقوم عليه الدولة والمجتمع (١) .

والأخصائى التنموى الذى يستخدم المنهج الإسلامى فى تعديل سلوك الأطفال يسعى جاهدا لتنمية أخلاقهم عن طريق مساعدتهم على ممارسة الفضائل الأخلاقية بصفة مستمرة ، بعد أن يستثير مشاعرهم ، ويُحرك وجدانهم ، ويوجد الرغبة لديهم ، ثم يحُول هذه الرغبة إلى عمل يمارسونه فعلا عن طريق أنشطة وبرامج يصممها خصيصا لذلك ، فمثلاً إذا أراد أن يُكَوِّن عادة الأمانة للطفل فإنه يساعده على ممارستها من خلال بعض الأدوار فى تمثيلية معينة رسم فيها دور الأمين بصور متقنة ، ويُحاول تكرارها يومياً ، ثم بعد ذلك يعطيه مكانة معينة بين زملائه يكون من صفاتها الأمانة مثل أمين صندوق جماعة من جماعات النشاط

---

(١) نفس المصدر . صـ ٢٥١ .

فى النادى أو المدرسة ويُبح أمينا على أموالها أو يقف بجانبه الأخصائى مشجعاً تارة ومعلما تارة أخرى ، حتى تصبح الأمانة عادة من عادته تكونت بالممارسة والاعتياد ، بكثرة التكرار ، والمداومة على هذا الفعل الحميد ، إلى أن تصير الأمانة خُلُقاً له يَصْدُرْ عنه تلقائياً من غير أن يسبقه تفكير وتقدير.

كما أن الأخصائى المهتم بالتنمية قد يطلب من أحد الأطفال أن يُلقى كلمة الصدق فى برنامج ثقافى بالمؤسسة بين مجموعة من زملائه ، ثم يجعله يكررها باستمرار بين المجوعات الأخرى ، أو يُلْقيها كل صباح بين زملائه .. ثم يعطيه بعد ذلك دورا فى تمثيله مختارة يكون فيها الصادق الذى لا يكذب ، ويكرر هذا الدور بصفة مستمرة أثناء الإعداد ثم أثناء الاحتفال .. ثم يختار له بعض القصص التى تهدف إلى تدعيم الصدق والترغيب فيه ، وهكذا يطبق الأخصائى التنموى تكوين العادة على الفضائل الأخلاقية كلها بنفس الطريقة وبذلك يصل إلى هدف تُحَسِّن التنشئة ونبنى شخصية الطفل وننميها .

ب- التنمية الخلقية عن طريق القدوة الحسنة :

تُعتبر من الأساليب الهامة فى المنهج الإسلامى الذى يهدف إلى إزالة الخلق السيئ(١) ويرى الإمام الغزالى أن تغيير الخلق ممكن ويقول ذلك تطبيقا لقوله عليه الصلاة والسلام " **حسنوا أخلاقكم** " لو لم يكن ممكنا لما أمرنا الرسولﷺ به ، ولو امتنع ذلك لبطلت الوصايا والمواعظ والترغيب والترهيب ، فإن الأفعال نتائج الأخلاق فمن حسن خلقه اعترف ، ومن ساء خلقه إنحرف .

والتربية الإسلامية بالقدوة الحسنة هى التى غرست أخلاق الإسلام فى النفوس عندما اقتدوا برسول الله ﷺ ، وكم فشل فلاسفة ومفكرون تخيلوا التربية وخططوا مدنا فاضلة ، فبقيت مناهجهم ومدنهم خيالا هائما ، وتصوراً عقلياً ، لم يتحول إلى واقع أبداً .. ، وحين أنزل الله كتابه لم يرد أن يكون نظرية تحفظ ، وإنما أراد أن يكون سلوكا يُترجم فى واقع الحياة ، فاختار من بين الناس محمداً ﷺ ليكون السراج المنير والمثل الأعلى والقدوة العظيمة للإنسانية كلها (٢) .

فقد اختار الله الرسول ﷺ عن علم كما قال سبحانه ﴿ **اللهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ** ﴾(٣) واختياره بعد أن رباه وأدبه .. "**أدبنى ربى وأحسن تأديبى**"(٤) ولذلك كانت حياته مُشرقة مُضيئة لا يخفى منها شئ حتى يكون الإقتداء به على

(1) الأخلاق عند الغزالى . د. زكى مبارك المكتبة الرحمانية بمصر ، بدون صـ١٦٥ .
(2) عبد الفتاح " منهج القرآن فى تربية المجتمع " مكتبة الخانجى بمصر ١٩٧٩ ، صـ ٢٣٧ .
(3) الأنعام : ١٢٥
(4) رواه ابن السمعانى فى أدب الإسلام عن ابن مسعود رضى الله عنه .

أتم وجه وأكمله ﴿ لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُو اللهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللهَ كَثِيرًا ﴾ (١).

يقول سليمان الندى فى كتابه الرسالة المحمدية " إذا كنت غنيا ثريا فاقتد بالرسول ﷺ عندما كان تاجرا يسير بسلعته بين الحجاز والشام ، وحين ملك خزائن البحرين ... وإذا كنت معدما فلتكن لك أسوة به وهو محصورى شعب أبى طالب ، وحين قدم إلى المدينة مهاجرا إليها من وطنه وهو لا يحمل من حطام الدنيا شيئا .. وإذا كنت ملكا فاقتد بسنته وأعماله حين ملك العرب وغلب على آفاقهم ، ودان لطاعته عظاؤهم .... وإذا كنت رعية ضعيفا فلك فى رسول الله أسوة حسنة أيام كان محكوما بمكة فى نظام المشركين ... وإن كنت فاتحا غالبا فلك فى حياته نصيب أيام ظفر بعدوه فى بدر وحنين ومكة ... وإن كنت مهزوماً لا قدر الله فاعتبر به فى يوم أحد وهو بين أصحابه فى المسجد ... وإن كنت تلميذ متعلماً فتصور مقعده بين يدى الروح الأمين جاثيا مسترشدا ... ، وإن كنت واعظا ناصحا ومرشداً أميناً فاستمع إليه وهو يعظ الناس على أعود المسجد النبوى .. ، وإن أردت أن تقيم الحق وتصدع بالمعروف وأنت لا ناصر لك ولا معين فانظر إليه وهو ضعيف لا ناصر ينصره ، ولا معين يعينه ، وضح ذلك فهو يدعو إلى الحق ويعلن به (٢).

(١) الأحزاب : ٢١ .
(٢) سليمان الندى . الرسالة المحمدية ، صـ ٩٣ ، صـ ٩٥ .

"وأيا ما كنت وفى أى شأن كأنه شأنك فإنك مهما أصبحت وأمسيت على أى حال بت أو أضحيت فلك فى حياة " محمد ﷺ هداية حسنة وقدوة صالحة ، تضئ لك بنورها الحياة ويتجلى لك بضوئها ظلام العيش (١) .

هذا المثل الرفيع الذى تمثل فى كتاب الله وهدية شعَّ نورا فى القلوب فارتبطت به ، وأحبته ﷺ أكبر من نفسها ، وضحت بما تملك فداء لرسالته ، مما يبين أثر القدوة الحسنة فى النفوس ، وكيف كانت دعامة قوية فى تربية المجتمع على مبادئ الإسلام حتى صار المسلمون خير أمة أخرجت للناس .

إن أسلوب التربية الخلقية بالقدوة الحسنة كأسلوب هام من أساليب العلاج الإسلامى هو الذى عالج أمة كادت تموت فأحياها " رسول الله ﷺ بروح القرآن فإذا هى تُبعث من جديد ، تنفض غبار الزمن وتصنع الحياة والأحياء على خير زاد وأجمل طريق وأروع مسلك ، وصدق قول الله فى رسوله الحبيب ، ﴿هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الكِتَابَ وَالحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾(٢) .

لقد زكاهم هذا الرسول وطهر أخلاقهم وسلوكهم وعقائدهم ورفعهم من الهوة الهابطة والضياع القاتل إلى القمة العالية ، فإذا بالأمة رائدة وقائدة ، تفيض حكمة تابعة من الكتاب الخالد ... الذى بعثها وأحياها وقد كانوا من قبل فى ضلال مبين (٣) .

(1) سليمان الندى . نفس المصدر ، صـ٩٥ .
(2) سور الجمعة : ٢ .
(3) منهج القرآن فى تربية المجتمع مصدر سابق ، صـ٢٤٦ .

هذا العلاج الإسلامى الذى تحاول التربية الإسلامية تطبيقه وتنشئة الأطفال المنحرفين منهم ، يهدف إلى تعديل سلوكهم ، وتقويم إنحرافهم وتنمية شخصياتهم عن طريق التنمية الخلقية ، بتكوين العادات الخلقية الصالحة تارة ، وبالقدوة الحسنة أخرى ، لا يستطيع تطبيقه إلا الأخصائى التربوى الذى يعرف الآثار والأسس التربوية للقدوة الحسنة ، وعندئذ يعرف جيدا أن حياة الأخصائى التربوى المسلم – الذى يطبق العلاج الإسلامى لحل مشكلات المجتمع – هى حياة الداعية إلى الله ، بحيث يكون قدوة أمام الناس، فيتحلى بأفضل الأخلاق التى يستلهمها من القرآن ، ومن سيرة الرسول ﷺ ويصبر على تطبيقها والتحلى بها ، وقد جعلها الإسلام القدوة الدائمة لجميع المشتركين فى ممارسة التربية الإسلامية قدوة متجددة على مر الأجيال ، متجددة فى واقع الناس .

والإسلام لا يعرض هذه القدوة للإعجاب السالب ، والتأمل التجريدى فى سبحات الخيال ، بل يعرضها عليهم ليحققوها فى ذوات أنفسهم : كل بقدر ما يستطيع أن يقتبس ، وكل بقدر ما يستطيع أن يطبق وكل بقدر ما يصبر على الصعود (١) .

وبذلك يُصبح الأخصائى التربوى بما تعلمه من أخلاق الرسول قدوة أمام الأحداث الذين يشارك فى تنشئتهم ، فإن كان صادا فسيتعلمون الصدق وإن كان مؤمنا صادقا سيتعلمون الصلاح والإيمان ، فالأخصائى التربوى المسلم يجب أن يكون خلقه القرآن وغناءه الآذان ، وصفاته التقوى والإيمان ، وبذلك ينجح فى آداء

---

(١) أصول التربية الإسلامية ، مصدر سابق ، صـ٢٣١ .

رسالته فى التربية الإسلامية ، كما ينجح فى تحقيق أهداف التربية التى تبنى أجيال صالحة مؤمنه قوية قادرة إلى إعادة الأمة الإسلامية لسالف مجدها حيث كانت خير أمة أخرجت للناس .

والأخصائى التربوى المسلم عندما يقتدى بالرسول ﷺ ويُصبح مثلا طيبا وقدوة صالحة أمام الناس سُيصبح من الداعين إلى الله والداعون إلى الله أينما كانوا محفوظون – كما وعد الله – برعايته وعنايته ، فليعتصموا بحبله ، وليثقوا بنصره(١) والله غالب على أمره " .

ج- التنمية الخلقية بالترغيب والترهيب :

إن الترغيب كأحد أساليب التنمية الخلقية قد لجأت إليه كل الأديان السماوية فى دعوتها ، فرغبت بالثواب بالجنة ، ورهبت وخوفت من العقاب بالنار، والخوف من العقاب المؤجل ، والطمع فى الثواب المؤجل ، أرقى من الخوف والطمع فى الأشياء العاجلة، لأنه يعتمد على مبادئ عقلية وفضائل نفسية وخصائص إنسانية، فالعاقل لا يبيع الحاضر بالغائب ، والمصلحة العاجلة بالمصلحة الآجلة إلا إذا فكر فى عواقب الأمور ، وكانت له عقيدة ثابتة ، وكانت ثقته بما عند الله أشد من ثقته بما فى يده ، وكان له من قوة الضمير ، وضبط النفس ما يدفع عنه منتظر المغريات (٢) .

إن القدوة الصالحة قد لا ترتقى إليها بعض النفوس ، فتظل غافلة جاهلة لا تتأدب بأدب ، ولا تنتهى عند فكر ... فهل من مُحَرِّك يُثير هذه النفوس الراكدة

---

(1) الإمام محمود شلتوت . من توجيهات الإسلام ، دار القلم ، بيروت ، ١٩٦٦ ، صـ٢٤ .
(2) دراسات إسلامية فى العلاقات الإجتماعية . مصدر سابق ، صـ ٧٢ .

ويدفعها إلى التخلق بأجمل الصفات ؟ هنا تأتى الموعظة التى تطرق القلب ، وتشد رغائب الإنسان ، وترتقى به إلى أعلى منزلة ، وتهديه إلى الخير ، وتبين له مزاياه وتقرع مشاعره ، وتضعه فى موقف الخوف والرهبة وتُصهره بكل ألوان لتعذيب والتضييق والتنكيل ، وتُذكِّره بما ينتظره فى يوم آت قريب ، إذا ما وقع فى الشر وأصر عليه ، فتتطابق القدوة بما ترسمه فى شخص القائد من الإلتزام بالخير والبعد عن الشر ، وما تبدو عليه من شارات الهداية والنور ، مع التربية بالمواعظ والتذكير ، وإسشارة العزائم ودفعها بالخوف والرجاء ، وبالقدوة والموعظة يتربى الإنسان على الأخلاق الفاضلة (١) . وكتاب الله حافل بهذا اللون من التنمية الخلقية فقد **قال تعالى** : ﴿ وَهُدًى وَمَوْعِظَةٌ لِلْمُتَّقِينَ ﴾(٢) . ﴿ هدى وذكرى لأولى الألباب ﴾ (٣) والرسول - ﷺ - مأمور بهذا التذكير فقد **قال تعالى** :﴿ وَذَكِّرْ فَإِنَّ الذِّكْرَى تَنْفَعُ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ (٤) ﴿ فَذَكِّرْ إِنَّمَا أَنْتَ مُذَكِّرٌ ﴾ (٥) لذلك لا تجد خلقا حميدا إلا وحث عليه القرآن ، و تلقى خلقاً سيئا إلا نهى عنه ، وفى كل ذلك لا ينسى قاعدته الكبرى التى قام عليها كل أوامره ونواهيه ألا وهى الإيمان بالله وباليوم الآخر ، وبين الجنات ، والخلود ، والأمان والرضا ، والسلام والنعيم ، والنار الموقدة ، والعذاب والهوان ، والشقاء فى الدنيا ، والتعاسة فى الآخرة ... وبين هذا وذاك يضرب القرآن على أوتار القلب المشدود من هنا بالخوف ، ومن هناك بالرجاء، فتصدر عنه أنغاما متناسقة ليس فيها نغمة نشاز ، إنما هو الإحكام فى كل تصرف ، والارتباط بكل خير ، والابتعاد عن كل شر(٦) .

---

(1) منهج القرآن فى تربية المجتمع مصدر سابق ، صـ٧٢ .
(2) آل عمران : ١٣٨ .
(3) سورة غافر : ٥٥ .
(4) الذاريات : ٥٥ .
(5) الغاشية : ٢١ .
(6) منهج القرآن فى تربية المجتمع ، نفس المصدر السابق ، صـ٢٥٠ .

٣- التنمية الخلقية عن طريق الترغيب والترهيب

قد تنجح فى تعديل الأخلاق الفاسدة وتغييرها ، إلا أنها تعتبر أضعف أنواع العلاج أثرا ، وأسرعها تقلبا ، وأفلها ولكنها مؤكدة التأثير فى النشئ الصغير عندما نبنى شخصية الطفل فى الخمسة سنوات الأولى من عمره .

ولذلك فإن هذا الأسلوب العلاجى لا يُستخدم إلا بعد محاولات متكررة بشتى الأساليب الأخرى ، وعندئذ يُصبح هذا الأسلوب مناسبا لتلك الفئة التى لم تستجب لأساليب التنمية الخلقية الأخرى ، لأن هنالك درجات متفاوتة بين الناس ، فمن الناس من تكفيه الإشارة البعيدة فيرتجف قلبه ويهتز وجدانه ، ويعدل عما هو مقدم عليه من إنحراف ، ومنهم من لا يردعه إلا الغضب الجاهر الصريح . ومنهم من يكفيه التهديد بعذاب مؤجل التنفيذ ، ومنهم من لابد من تقريب العصا منه حتى يراها على مقربة منه ، ومنهم بعد ذلك فريق لابد أن يحس لذع العقوبة على جسمه لكى يستقيم (١) .

والإسلام يَتَّبِع جميع الوسائل العلاجية فلا يترك منفذا فى النفس لا يصل إليه ، إنه يستخدم القدوة والموعظة ، والترغيب والثواب ، ولكنه كذلك يستخدم التخويف والترهيب بجميع درجاته من أول التهديد إلى التنفيذ ، فهو مرة يهدد بعدم رضا الله ، وذلك أيسر التهديد ، وإن كان له فعله الشديد فى نفوس المؤمنين : ﴿ أَلَمْ يَأْنِ

(١) منهج التربية الإسلامية ، مصدر سابق ، صـ ٢٣٦ .

لِلَّذِينَ آمَنُوا أَنْ تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ الْحَقِّ وَلَا يَكُونُوا كَالَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلُ فَطَالَ عَلَيْهِمُ الْأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ فَاسِقُونَ﴾[1].

ومرة يهدد بغضب الله صراحة (كما جاء فى حديث الإفك) وتلك درجة أشد:

﴿وَلَوْلَا فَضْلُ اللهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ لَمَسَّكُمْ فِي مَا أَفَضْتُمْ فِيهِ عَذَابٌ عَظِيمٌ * إِذْ تَلَقَّوْنَهُ بِأَلْسِنَتِكُمْ وَتَقُولُونَ بِأَفْوَاهِكُمْ مَا لَيْسَ لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ وَتَحْسَبُونَهُ هَيِّنًا وَهُوَ عِنْدَ اللهِ عَظِيمٌ * وَلَوْلَا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ قُلْتُمْ مَا يَكُونُ لَنَا أَنْ نَتَكَلَّمَ بِهَذَا سُبْحَانَكَ هَذَا بُهْتَانٌ عَظِيمٌ * يَعِظُكُمُ اللهُ أَنْ تَعُودُوا لِمِثْلِهِ أَبَدًا إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ [2]

ومرة يهدد بحرب الله ورسوله : ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللهَ وَذَرُوا مَا بَقِيَ مِنَ الرِّبَا إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ * فَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا فَأْذَنُوا بِحَرْبٍ مِنَ اللهِ وَرَسُولِهِ﴾[3].

ودروا ما بقى من الربا إن كنتم مؤمنين فإن لم تفعلوا فأذنوا بحرب من الله ورسوله[4] .

ومرة يهدد بعقاب الآخرة :﴿وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللهِ إِلَهًا آخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ يَلْقَ أَثَامًا * يُضَاعَفْ لَهُ الْعَذَابُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَيَخْلُدْ فِيهِ مُهَانًا﴾[5] .

ثم يهدد بالعقاب فى الدنيا : ﴿إِلَّا تَنْفِرُوا يُعَذِّبْكُمْ عَذَابًا أَلِيمًا وَيَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُم﴾[6]﴿وَإِنْ تَتَوَلَّوْا كَمَا تَوَلَّيْتُمْ مِنْ قَبْلُ يُعَذِّبْكُمْ عَذَابًا أَلِيمًا﴾[1]

---

(1) سورة الحديد : ١٦ .
(2) سورة النور (١٤- ١٧) .
(3) سورة البقرة : آية ٢٧٨ ، ٢٧٩ .
(4) سورة البقرة : ٢٧٨ – ٢٧٩ .
(5) سورة الفرقان ٦٨ – ٦٩ .
(6) سورة التوبة : ٣٩ .

﴿ وَإِنْ يَتَوَلَّوْا يُعَذِّبْهُمُ اللهُ عَذَابًا أَلِيمًا فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ ﴾(2) ﴿ إِنَّمَا يُرِيدُ اللهُ لِيُعَذِّبَهُمْ بِهَا فِي الحَيَاةِ الدُّنْيَا ﴾(3) ثم يوقع الله العقاب ﴿ الزَّانِيَةُ وَالزَّانِي فَاجْلِدُوا كُلَّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا مِئَةَ جَلْدَةٍ ﴾(4)، ﴿ وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُوا أَيْدِيَهُمَا جَزَاءً بِمَا كَسَبَا ﴾(5).

وهكذا يعالج الإسلام بالعقاب فى الحالات التى لا تُعالج إلا بالعقاب، والقرآن قد أوضح لنا الخطة المحكمة للتنمية الأخلاقية حتى تتكون العادات الخلقية الصالحة.

والأخصائى التربوى الذى يُطبق العلاج الإسلامى عند تنشئة الأطفال وعند تعديل سلوك الأحداث المنحرفين قد يلجأ أحيانا إلى هذا الأسلوب كمحاولة أخيرة لتقويم الإنحراف وتنمية الأخلاق، وخاصة وأن هناك صنف منهم لا ينصلح حاله إلا عن طريق الرغبة حينا والرهبة أحيانا أخرى، وأنه لابد فى إصلاحه من استعمال وسائل الترغيب والترهيب، والأخصائى عندما يطبق هذه الأساليب العلاجية المختلفة لعلاج الأحداث المنحرفين فإنه يطبقها بما يناسب فرديتهم الخاصة، وذلك بعد دراسة صفاتهم الشخصية ويعرف قدراتهم وإمكانياتهم ومدى استعدادهم وطرق التربية التى شبوا عليها، وعندئذ يختار الأسلوب العلاجى المناسب لكل فرد منهم فليس من الضرورى أن يطبق كل أساليب التنمية الخلقية على الجميع وليس من الضرورى أن يطبق كل أساليب العلاج الإسلامى عليهم، بل

---

(1) سورة الفتح : ١٦ .
(2) سورة التوبة : ٧٤ .
(3) سورة التوبة: ٥٥ .
(4) سورة النور : ٢ .
(5) سورة المائدة : ٣٨ .

يختار منها ما يراه مناسبا للتأثير فى كل فرد على حدة حتى ينجح فى تغييرهم ويتمكن من تعديل سلوكهم ، ويصل إلى تقويم إنحرافهم ، ثم يعمل على تكوين العادات الأخلاقية الصالحة ، التى تنمى الشخصية وتستمر فى إنمائها .

والتنمية الخلقية ما هى إلا أحد أساليب العلاج الإسلامى ، والترغيب والترهيب ما هى إلا أحد أساليب التنمية الخلقية ، وكل هذه الأساليب تتعاون وتتفاعل وتتكامل لتحقيق أهداف التربية الإسلامية فى تنشئة الطفولة .

والتربية الإسلامية تحرص على تطبيق كل هذه الأساليب فى علاج الأحداث المنحرفين حيث أنها اقتنعت بالعلاج الإسلامى ، فقد يكون فيه الأمل والرجاء لينجح هذا الأسلوب فى علاج المشكلات الاجتماعية وستكون المحاولة الأولى فى مؤسسات الأحداث المنحرفين فى محاولة لتقويم إنحرافهم وتعديل سلوكهم (١) .

(١) أنظر : محمد سلامة غبارى : العلاج الإسلامى للأحداث المنحرفين ـ المكتب الجامعى الحديث ، الإسكندرية .

د- التنمية الأخلاقية بالأضداد : (المضادات الخلقية)

إن طريق التنمية الأخلاقية وتهذيبها عن طريق المضادات الخلقية هو أحد أساليب العلاج الإسلامى لكثير من الإنحرافات والمفاسد الخلقية ، وقد نجح هذه الأسلوب فى علاج الأجسام عندما تُعَالَجَ الحرارة بالبرودة ، والبرودة بالحرارة ... إلخ .

فإن الأخلاق تُنَمَى أيضًا بأسلوب الأضداد ، وقد أشار إلى هذا الأسلوب العلاجى الإمام الغزالى عندما قال : " وكما أن العلة المغيرة لاعتدال البدن الموجبة للمرض لا تُعَالَجُ إلا بضدها ، فإن كانت من حرارة فبالبرودة ، وإن كانت من برودة فبالحرارة ، فكذلك الرذيلة التى هى مرض القلب ، علاجها بضدها فَيُعاَلج مرض الجهل بالتعلم ، ومرض البخل بالتسخى ، ومرض الكبر بالتواضع ، ومرض الشره بالكف عن المشتهى تكلفا ، وكما أنه لابد من إحتمال مرارة الدواء ، وشدة الصبر عن المشتهيات لعلاج الأبدان المريضة ، فكذلك لابد من إحتمال مرارة المجاهدة والصبر لمداواة مرض القلب ، لأن مرض البدن يَخْلُص المرء منه بالموت، بخلاف مرض القلب فإنه يدوم ، كما أن كل مُبَرِّد لا يصلح لعلة سببها الحرارة إلا إذا كان على حد مخصوص ، ويختلف ذلك بالشدة والضعف ، والدوام وعدمه ، وبالكثرة والقلة ، ولابد من معيار يُعْرفَ به مقدار النافع منه ، فإنه أن لم يحفظ معياره زاد الفساد ، فكذلك الأضداد التى تُعاَلَجُ بها الأخلاق لابد لها من معيار(١) "وكما أن الطبيب البشرى لا يستطيع أن يُعالج المريض بالسخونة إلا إذا عرف درجة حرارته ويفحص سائر بدنه ، كما أن عليه أن يعرف بيئته وعمله ...فربما ارتفاع حرارته أو انخفاضها

(١) أحياء علوم الدين ، مصدر سابق ، صـ ٦٤ ،٦٥ .

راجع إلى طبيعة صناعية، أو مناخ بيئته ، أو نواح إجتماعية ، فبالمثل بالنسبة للعلاج الإسلامى فلا يقتصر على نمط واحد من الرياضة النفسية ، يُعمم على كل طالبى العلاج ، وربما إتبع المعالج طريقا مميتا كان من أسبابه تلف نفسية طالب العلاج ، وماتت فى نفسه الرغبة فى العلاج ، وذلك من كثرة الأوامر والنواهى ، إذ يجب أن ينظر المعالج إلى حال المريض وسنه ومزاجه وعمله ، وما يمكن أن يحتمله وما لا يحتمله من تجارب ، وهذا رهن بقدراته واستعداداته قبل أن يبدأ فى العلاج (١) .

والنفس طبيعة لا تصْدُق فى طلبها ، وإنما غايتها أن تحق ما فيه لذتها ، وما يستجلب – فى زعمها – منافعها ... لذلك فإن العمل بضدها هو الطريق إلى الصحة النفسية .

والحب من خصائص النفس البشرية ، وربما نُحب شيئًا وفيه شرها ، وربما تكره شيئًا وفيه خيرها ، وما أحبت النفس شيئًا إلا كان صاحبها عبدا له ، ينقاد إليه ، ويعمل لإرضائه ، إلا أن الله تعالى لا يُحِبُّ أن يُحبَّ غيره ، ولا يرضى عن الغافل عنه ، الذى غرته الأمانى ، وغره بالله الغرور ، وفى ذلك يقول (الجنيد) :"إنك لن تكون على الحقيقة عبدًا لله ... وفيك شىء مازال مسترق (عابد) لغيره ، وإنك لن تصل إلى الحرية ، وعليك حقوق الله فى عبوديتك، فالمدين مدينا ما بقى عليه درهم، ومحبة الشىء تلزمه العبودية له ، فاجعل محبتك خالصة لمن تلزمك عبوديته.

والأخصائى الاجتماعى الذى يطبق العلاج الإسلامى لعلاج المنحرفين (٢) عن طريق تربية الأخلاق وتهذيبها بأسلوب المضادات الخلقية ، فإنه يسعى إلى

---

(1) عبد المجيد الشرنوبى ، شرح الحكم العطائية ، صـ ٨٢ .
(2) أنظر : محمد سلامة غبارى : الخدمة الاجتماعية الإسلامية ، المكتب الجامعى الحديث ، الإسكندرية .

تعديل سلوكهم وتقويم أخلاقهم ، ورد إنحرافاتهم عن طريق هذا الأسلوب ، فالحدث المتهم بالسرقة يعالجه بالأمانة ، وذلك بأن يطلب منه الاحتفاظ له ببعض الأشياء ويأتمنه عليها ، ثم يحمّله مسئولية أمانة صندوق إحدى جماعات الأنشطة بالمؤسسة، أو يحمل مسئولية الإنفاق على رحلة من الرحلات والتصرف فى ميزانيتها فى ميزانيتها ، أو يؤمنه على عهدة المؤسسة ، ويكلفه برعايتها ، أو يشركه فى بعض الأنشطة الفنية مثل التمثيل إن كان لديه استعداد لذلك ، ويسند إليه دور الأمين الذى يثق فيه الناس فى تمثيلية مختارة رسم أدوارها بدقة وعناية ، وكل ذلك والأخصائى الإجتماعى بجانبه يساعده تارة ويشجعه أخرى ، حتى تُصبح الأمانة عادة خلقية وباستمرارها تصير جزء من تكوينه وصفه من صفات شخصيته .

وهكذا يُعالج الأخصائى الإجتماعى مفاسد الأخلاق بأضدادها، فالجبان الخائف يُعالج بتعريضه لمواقف تتطلب الشجاعة، والكاذب يُعالج بالصدق ، والذى يشعر بالاضطهاد والظلم فى حاجة إلى الأمن والطمأنينة ، من خلال علاقة المحبة الصادقة التى تكونت بينه وبين الأخصائى الاجتماعى ، ومن خلال المحبة الصادقة التى يساعده الأخصائى الاجتماعى على تكوينها مع زملائه ورؤسائه بالمؤسسة وبذلك يستبدل الخوف بالأمن ، والكراهية بالحب ، والسلبية بالإيجابية ، والشر بالخير ، والإلحاد بالإيمان ، وعندئذ تتغير أخلاقه وتُهَذَّب ويُصبح الحدث المنحرف حسن الطباع طيب الأخلاق ويعود إلى فطرته السليمة التى خلقه الله بها ، وتنجح التربية الإسلامية فى الأخذ بأيدى الناشئين والمنحرفين، وتوجهم إلى الطريق المستقيم ، طريق الهداية والحب والإيمان .

٣- التربية الإسلامية بالتنمية العقلية

٣- التربية الإسلامية بالتنمية العقلية

التنمية العقلية أسلوب آخر من أساليب العلاج الإسلامى ، حيث إن العقل البشرى طاقة من أكبر طاقاته ، ونعمة من أكبر نعم الله عليه : ﴿ قُلْ هُوَ الَّذِي أَنشَأَكُمْ وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالأَبْصَارَ وَالأَفْئِدَةَ قَلِيلًا مَا تَشْكُرُونَ ﴾(١).

(والفؤاد) يُستخدم فى القرآن بمعنى العقل أو القوة الواعية فى الإنسان أو القوة المدركة على وجه العموم (٢) ولذلك كرم الله الإنسان بهذا العقل وما أودعه فيه من قدرات كثيرة : منها القدرة على التعلم ، تثقيفا لهذا العقل وتسديدا لتفكيره وأحكامه ، ولهذا جاء الإسلام يحض على النظر العقلى والتفكير حتى جعل التفكير ، والتعلم فريضتين إسلاميتين (٣) ، ولذلك كان الدين الإسلامى دين علم ونور ، لا دين جهالة وظلمة ، فأول آية نزل بها الوحى ، فيها أمر الرسول بالقراءة وتكرير لذلك الأمر ، وتنويه بشأن العلم والتعليم الذى تم إسناده إلى الله : ﴿ اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ * خَلَقَ الإِنسَانَ مِنْ عَلَقٍ * اقْرَأْ وَرَبُّكَ الأَكْرَمُ * الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ * عَلَّمَ الإِنسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ﴾ (٤) .

---

(1) سورة الملك : ٢٣ .
(2) منهج التربية الإسلامية ، مصدر سابق ، صـ ٨٩ .
(3) الحل الإسلامى ضرورة وفريضة ، مصدر سابق ، صـ٥٠ .
(4) سورة العلق : ١ ـ ٥ .

الإسلام دين الفطرة الذى يحترم الطاقات البشرية كلها ، ومن ثم فهو يحترم الطاقة العقلية ويُشجعها ، ويربيها لتتجه فى طريق الخير، ويبدأ الإسلام التنمية العقلية بتحديد مجال النظر العقلى ، فيصون الطاقة العقلية أن تتبدد وراء الغيبيات التى لا سبيل للعقل البشرى أن يحكم فيها ، وهو يُعطى الإنسان نصيبه من هذه الغيبيات ، بالقدر الذى يلى ميله للمجهول ، ولكنه يَكلُ أمر ذلك إلى الروح فهى القادرة على ذلك ، المزودة بوسائل الوصول ، أما العقل فوسيلته إلى الله وإلى معرفه الحق ، هى تدبر الظاهر بالحس، والمدرك بالعقل ، ومن ثم يحدد الإسلام مجاله بهذا النطاق، ولا يتركه يغرق فى التيه الذى غرقت فيه الفلسفة واللاهوتيات، ثم بعد ذلك يأخذ فى تدريب الطاقة العقلية على طريقة الاستدلال المثمر ، والتعرف على الحقيقة ، فيتخذ إلى ذلك وسيلتين : الوسيلة الأولى هى وضع المنهج الصحيح للنظر العقلى ، والوسيلة الثانية هى تدبر نواميس الكون وتأمل ما فيها من دقة وارتباط (١).

وبعد أن أعطى الإسلام كل هذا الاهتمام للتنمية العقلية اهتم أيضًا بتثقيف هذا العقل ، وتسديد تفكيره عن طريق العلم ، والعلم فى نظر الرسول - ﷺ - قوام الدنيا وقوام الدين حيث قال :"**من أراد الدنيا فعليه بالعلم ، ومن أراد الآخرة فعليه بالعلم ، ومن أردهما معا فعليه بالعلم**" ، كما دعا "الرسول" إلى التعليم ، والبحث والإطلاع فقال :"**لا يزال الرجل عالما ما طلب العلم فإذا ظن أنه قد عَلِمَ فقد جهل**" ، ولذلك صار طلب العلم فريضة على كل مسلم

(١) منهج التربية الإسلامية ، المصدر السابق ، صـ ٩٢ .

ومسلمة وقال تعالى :﴿ هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الكِتَابَ وَالحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ ﴾(١) .

فالعلم خير أنيس لمن كان وحيدا ، وأحسن صديق فى الوحدة ، يُعَوِّد الإنسان الصبر على السراء والضراء ، والغنى والفقر ، والصحة والمرض ، والسعادة والشقاء ، ويساعده على نيل ما يريد ، ويجعل البعيد قريبا ، والقريب صديقا ، يُحيى القلوب ويُنير الأبصار ، وقد قال الرسول - ﷺ - "**إن الحكمة تزيد الشريف شرفا، وترفع المملوك حتى يدرك مدارك الملوك**" وكفى العلم رفعة قول الله جلت حكمته :﴿ وَقَالَ الَّذِينَ أُوتُوا العِلْمَ وَيْلَكُمْ ثَوَابُ الله خَيْرٌ لِمَنْ آمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا وَلَا يُلَقَّاهَا إِلَّا الصَّابِرُونَ ﴾ (٢). والتعليم الحق يؤدى إلى رجاحة فى العقل ، وإضاءة فى الفكر ، وتفهم حقائق الأمور ، والأخذ بأحسن الأعمال ، والعادات ، والتحلى بأكمل الأخلاق ، ويُعَوِّدُ المتعلم التفكير العميق ، ويقوده إلى الإبتكار والإختراع والنظر فى الكائنات والمخلوقات

﴿ أَفَلَا يَنْظُرُونَ إِلَى الإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ * وَإِلَى السَّمَاءِ كَيْفَ رُفِعَتْ * وَإِلَى الجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ * وَإِلَى الأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ ﴾ (٣) .

---

(1) سورة الجمعة : ٢ .
(2) سورة القصص : ٨٠ .
(3) سورة الغاشية : ١٧ - ٢٠ .

وقد أوضح النمر القرطبى فوائد العلم فى قوله :"أطلب العلم فإنه عون فى الدين ، وفرك للقريحة ، وصاحب لدى المحنة ، ومفيد للمجالس وجالب للمال" .

أما فوائد العلم فى نظر إخوان الصفا :"العلم يُكْسبْ صاحبه عشر خصال محمودة : أولها الشرف وإن كان دَنِيًا ، والعز وإن كان مَهَينًا ، والغَنى وإن كان فقيرا، والقوة وإن كان ضعيفا ، والنبل وإن كان حقيرا ، والقرب وإن كان بعيدا ، والجود وإن كان بخيلا ، والحياء وإن كان صلفا ، والمهابة وإن كان وضيعا ، والسلامة وإن كان سفيها" .

واهتمام العلاج الإسلامى هذا الاهتمام الكبير بالتنمية العقلية يرجع إلى قول كثير من العلماء بأن العامل المؤثر فى تكوين العقيدة هو العقل ، فما دام الارتباط بين العقل والعقيدة قائما على أوثق وجه ، كان لابد من إرجاع العقيدة فى تكوينها وتكيفها وأوجه التأثير فيها إلى عامل العقل (١) والعقيدة الدينية لشدة فاعليتها وقوة سلطانها على الأفراد والجماعات احتلت المكانة الأولى فى دائرة النفوذ بين غيرها من العقائد ، خاصة إذا كانت راسخة ثابتة تقوم على إدراك واضح وعلم يقينى .

وإهتمام العلاج الإسلامى بالتنمية العقلية يرجع لما لها من تأثير كبير فى تكوين شخصية الفرد ، وذلك عن طريق العناية بقيادته الفكرية (العقل) وصيانتها من كل ما يلحق بها ، أو يؤثر فيها تأثيرا ولو طفيفا فى قدرتها على التمييز بين

---

(1) العقدية والأخلاق ، مصدر سابق ، صـ٥٦ .

الحق والباطل فى المعتقدات ، والخطأ والصواب ، أو الضار والنافع ، فى التصرفات، قوليه كانت أو فعلية .

ولهذا كله لجأت الخدمة الاجتماعية إلى العلاج الإسلامى لتقويم المنحرفين ، وتعديل سلوكهم متبعة فى ذلك كل أساليب العلاج الإسلامى ومنها التنمية العقلية، حيث أن هؤلاء المنحرفين، قد اضطرب تفكيرهم وعجزت عقولهم عن التمييز بين الحق والباطل فى المعتقدات ، والخطأ والصواب ، ولذلك إنحرفوا ، وعندئذ ظهرت الحاجة الملحة إلى تنمية عقولهم والعناية بها وصيانتها حتى يستقيم تفكيرها .

ولذلك يحاول الأخصائى الذى يطبق العلاج الإسلامى مساعدة هؤلاء المنحرفين على الاستفادة من الفرص التعليمية إن كانت موجودة بأكبر قدر ممكن ، أو يحثهم على إستكمال تعليمهم إن كانوا توقفوا عن التعليم ، مستعينا فى إقناعهم بعلاقة الحب والمودة التى كونها معهم ، كما أنه يستطيع تنظيم بعض البرامج والأنشطة لمحو أمية الأميين منهم ، والإستعانة ببعض الخبرات الكثيرة التى تساعد على تعديل السلوك المنحرف .

ولكى يُحقق الأخصائى الاجتماعى الهدف من التنمية العقلية فى علاج المنحرفين فإنه يمارس معهم عمليات تعليمية وتربوية ، وخاصة وأن العميل العربى يحتاج لهذا النوع من العلاج لأميته ، وهو فى حاجة إلى المعرفة والوعى ، ولذلك فإن الأخصائى الاجتماعى يتحمل مسئولية تزويد هؤلاء العملاء ببعض الخبرات التى تؤدى إلى تعديل السلوك بطريقة مباشرة بحيث تنصهر تلك الخبرات فى ذات

العميل فتتعدل عاداته ، وإلا أصبح التعلم مجرد تلقين سطحى لا يلبث العميل أن يتجاهله عند زوال الموقف .

وأساليب الأخصائى لتعليم هؤلاء المنحرفين يمكن حصرها فيما يلى(١) :-

١- أسلوب التنبيه :

" التنبيه هو الأسلوب الذى يُمارسه الأخصائى الاجتماعى لإيجاد الدافع للتعلم ، فوجود الدافع شرط أساسى لتحرير طاقة العميل وتوجيهها وجهة خاصة ، ويتم التنبيه بوسائل مختلفة أهمها: توضيح فوائد التعلم ، ثم توضيح أخطار عدم التعلم ، ثم إتاحة فرصة التعلم ، وتتم هذه العمليات تصريحا أو تلميحا حسب درجة نضج العميل ودرجة فاعليته (٢) .

٢- أسلوب التوضيح :

أسلوب التوضيح يعقب أسلوب التنبيه ، حيث يتطلع العميل إلى الخبرة والمعرفة تلقائيا ، سواء كانت خبرة خاصة بالمؤسسة أو بالأخصائى الاجتماعى أو بالموقف ، أو بجوانب عامة مرتبطة بالتنشئة الاجتماعية ، وللتوضيح ثلاث مناطق رئيسية هى : تزويد العميل بمعلومات جديدة ، كتعريف الحدث طريقة الإستفادة من خدمات المؤسسة، أو تفسير لأسباب موقف معين ، أو توضيح أسباب حرمان الحدث من الخروج من المؤسسة ، أو تصحيح معلومات خاطئة لدى العميل ، أو كتصحيح معلومات الحدث وتفهيمه بأن إخلاء سبيله ليس رهنا بقضاء مدة

---

(١) عبد الفتاح عثمان : خدمة الفرد فى المجتمع النام ، مكتبة الانجلو المصرية ، الطبعة الأولى ، ١٩٨٠ ، صـ ٣٧٨ .
(٢) خدمة الفرد فى المجتمع النامى ، د /عبد الفتاح عثمان ، المرجع السابق ، صـ ٣٧٩ .

العقوبة ، بل يتحسن سلوكه حسب تقدير المؤسسة ، أو توضيح ما يَغْمُضَ عليه من أساليب التنبيه السابقة التى يصعب على الحدث فهمها وتكون سببًا فى مقاومة عملية التعلم .

٣- أسلوب الإقناع :

الإقناع هو تأثير عقل على عقل آخر ، وهذا الأسلوب يمارسه الأخصائى الاجتماعى عندما تلْقى الخبرة المعرفية مقاومة من العميل ، مع مراعاة أن يكون هذا التأثير معتمدا على المنطق والواقعية وحسن التقدير ، وهذا الأسلوب يتطلب من الأخصائى الاجتماعى رحابة الصدر، واللباقة عند مناقشة العميل فى المعتقدات الخاطئة ونواحى عدم صوابها ، كما أنه يمارس مع العميل الذى يتمتع بقدر مناسب من الذكاء وتكامل الشخصية .

٤- أسلوب التدعيم :

إن استجابة العميل لأساليب التوضيح والإقناع يتحدد بناء على ما يعقبها من تدعيم أو ما يعقبها من تثبيط ، والمقصود بالتدعيم هو مكافأة الفعل أو الثواب الذى يعقب الاستجابة .

٥- أسلوب التعميم :

والتعميم هو العملية النفسية المسئولة عن نقل ما اكتسبه العميل من عادات جديدة فى موقف معين إلى غيره من المواقف المتشابهه ، والأخصائى الاجتماعى لا يهدف إلى إكساب العميل عادات معينة فحسب ، بل يتطلع إلى

إنتقال أثر السلوك إلى العديد من المواقف سواء واجهته أو واجهت آخرين من المحيطين به (١).

والأخصائى الاجتماعى الذى يُطبق العلاج الإسلامى للمنحرفين بالتنمية العقلية يحاول مساعدتهم على دراسة القرآن الكريم ، والأحاديث ، والأخبار ، وحفظ الشعر ، وهى وجهة نظر الإمام الغزالى فى التنمية العقلية للطفل ، والأخصائى الاجتماعى يستخدم فى ذلك أساليب التعلم السابق ذكرها فعن طريق (التنبيه) يحاول إيجاد الدوافع إلى دراسة القرآن والأحاديث وذلك (بتوضيح) فوائد تعلم هذه الأمور ، بعد توضيح خطورة عدم التعلم ، ثم يتيح لهم الفرص المناسبة للتعلم ، من خلال الأنشطة المختلفة التى يُخططها ويُنفذها ، مستعينا فى ذلك بالخبراء والمختصين فى تعليم هذه الأمور الهامة ، وبذلك يُحرر طاقة هؤلاء الأحداث ، ويُوجهها الوجهة التى تثقف عقولهم ، وتوسع مداركهم ، وتسدد أحكامهم وأفكارهم ، وبذلك يُعَّدل سلوكهم ، ويُقَوِّم إنحرافهم .

وبعد أن تتم عملية (التنبيه) يقوم الأخصائى الاجتماعى بتوضيح وتبسيط كل ما يراه المنحرفون غامضا ، سواء بالنسبة للمؤسسة ، أو بالنسبة للموقف ، أو بالنسبة للجوانب المرتبطة بالتنشئة الاجتماعية ، وبذلك يزودهم بكثير من المعلومات الجديدة التى يحتاجون إليها ، أو يصحح لهم بعض الأفكار والمعلومات الخاطئة ، وبذلك يساعدهم على إكتساب خبرات جديدة ، تساعدهم على تعديل السلوك المنحرف .

---

(١) خدمة الفرد فى المجتمع النامى ، نفس المرجع ، صـ ٣٨١ .

وبعد أن تتم عملية التوضيح يقوم الأخصائى بعملية الإقناع ، مستغلا ثقتهم فيه ، ومحبتهم له ، ويحاول التأثير فى عقولهم حتى لا يُقاوموا تلك الخبرات الجديدة ، وخاصة إذا كانت متصلة بتصحيح معتقدات خاطئة ، أو بتدعيم المعتقدات الدينية ، أو فى تكوين اتجاهات جديدة ، وهو فى كل ذلك معتمدا فى إقناعه على المنطق والواقعية وحسن التقدير ، وهكذا ينجح فى تنمية عقولهم وتثقيفها ، وعندئذ يسْهُل تقويم الإنحراف وتعديل السلوك .

وبعد أن يقوم الأخصائى الإجتماعى بعمليات التنبيه والتوضيح والإقناع ، يقوم بالعمليات التدعيمية اللازمة التى من خلالها يكافىء من يستحق المكافأة ، عن طريق التشجيع والتقدير أو بعض المكافآت المادية ، عندما يلاحظ أى تقدم فى العملية التعليمية ، ثم بعد ذلك تتم العملية الأخيرة وهى التعميم الذى عن طريقه يساعد الأخصائى الاجتماعى كل منحرف على الإستفادة من الخبرات الجديدة ونقلها وتعميمها إلى المواقف المتشابهة ، وعندما ينتقل أثر السلوك إلى العديد من المواقف المتشابه التى تواجه العميل سواء فى المؤسسة أو فى البيئة ، سيصبح قادرا على التوافق مع المجتمع بعد أن تم علاجه ونمت شخصيته .

وبذلك يتضح لنا أن التنمية العقلية كأسلوب هام من أساليب العلاج الإسلامى ترتبط إرتباطا وثيقا بالتنمية الخلقية ، وكلاهما مرتبط بدرجة كبيرة بتنمية العقيدة الدينية ، وكلها أساليب هامة من أساليب العلاج الإسلامى الذى تستعين به الخدمة الاجتماعية فى علاج الإنحراف وعلاج أى مشكلات أخرى .

٤- العلاج الإسلامي بتنمية القيم الإجتماعية :

أ- العلاج الإسلامى بالحب .

ب- العلاج الإسلامى بالتعاون .

ج- العلاج الإسلامى بالأمر بالمعروف والنهى عن المنكر.

د- العلاج الإسلامى بتطبيق الحدود الشرعية .

٤- العلاج الإسلامى بتنمية القيم الاجتماعية

بجانب ما للدين من وظائف فردية تجعل منه غذاءً ضروريا لقوى النفس وعصارة مقوية لحيويتها ، توجد له وظائف إجتماعية لا يكون موضوعه الفرد وحده وإنما يكون موضوعها المجتمع ككل ، ويكون لها شأن كبير وأثر خطير فى حياة الجماعة، لا يقل عن أثرها النفسى على الفرد ذاته أن لم يَفُقْه (١) .

والإسلام كما إهتم بالتنمية الخلقية والعقلية والدينية ، إهتم أيضا بالتنمية الإجتماعية إهتماما كبيرًا لما لها من أثر على الفرد والمجتمع ، وقد أوضح لنا الإسلام مجموعة من الأساليب العلاجية التى عن طريقها يتم العلاج بالتنمية الاجتماعية نوردها فيما يلى :

أ- العلاج الإسلامى بالحب :

تُبنى التنمية الاجتماعية على أساس عواطف إجتماعية أهمها المحبة كإحتياج أساسى لكل إنسان ولابد من إشباعه ، وبذلك يُصبح الإنسان على إستعداد لمحبة الآخرين ، حتى تبعده عن الضيق منهم، والتبرم والسخط عليهم وحتى لا يصير عدوانيا ، يصب عداونه على المجتمع بصفة عامة ، وعلى نفسه فى أحيان كثيرة ، فيَعَوجَّ سلوكه ويُصبَح إنسانا منحرفا ، فالحب هو الحصن المنيع الذى يحمى الإنسان من أى إنحّراف أو إدمان ، ففيه الوقاية ، وفيه العلاج .

(١) العقيدة والأخلاق ، مرجع سابق ، صـ ٨٦ .

ولذلك إهتم العلاج الإسلامي بإشباع تلك العاطفة السامية التى إن صَلُحَتْ صلُح كل شيء ، وإن طلحت فسد كل شيء ، فبدأ بالتأكيد على محبة الوالدين لما لها من أثر على الصحة النفسية للفرد ، ثم أضافت عليه ينبوعا لا ينضب من ينابيع العاطفة الصادقة ، وهو محبة الله الذى أنعم علينا ، والذى يرحمنا فى المحن ، عندما نلجأ إليه وندعوه فيكشف السوء ، وعلى أساس محبة الله يُحب المؤمن كل من يشاركه الولاء ، لله ومحبة الله وطاعته ، والإنقياد لشريعته ، والإعتزاز بالسير تحت لوائه ، وهذا ما يسمى بالحب فى الله ، وله فى النفس أثر عظيم وسعادة نفسية كبيرة ، قال فيها بعض الزهاد "لو يعلم الملوك ما نحن فيه لحاربونا عليه" وهذا إقتباس لطيف وتصديق واقعى لما رواه أنس رضى الله عنه عن النبى ﷺ إنه قال :"**ثلاث من كن فيه وجد بهن حلاوة الإيمان : أن يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما ، وأن يُحِبَّ المرء لا يحبه إلا لله ، وأن يكره أن يعود إلى الكفر بعد أن أنقذه الله منه كما يكره أن يُقذف فى النار**(١).

وقد جعل رسول الله ﷺ محبة قوم ثبتت نصرتهم لله ورسوله من علامات الإيمان ، وبغضهم من علامات النفاق ، عن البراء بن عازب رضى الله عنه عن النبىﷺ أنه قال "**قال فى الأنصار :لا يحبهم إلا مؤمن ولا يبغضهم إلا منافق ، من أحبهم أحبه الله ومن أبغضهم أبغضه الله**" (٢) . كما جعل مصير الإنسان يوم القيامة مرتبطا بمصير من يُحِبهم ويتعلق بهم ، ويرتبط بهم برباط إجتماعى فى

---

(1) الإمام يحيى ابن شرف النووى ، رياض الصالحين ، صـ ٨٧ ، جـ ٣ .
(2) نفس المرجع ، صـ٧٨ ، جـ٣ .

الدنيا ، ويعمل بعملهم ويبذل من أجلهم ، ولذلك لن ينحرف أبدا من يربط الحب بينه وبين أسرته ومجتمعه وربه .

عن أبى هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ **"إن من عباد الله ليسوا بأنبياء ، يغبطهم الأنبياء والشهداء ، قيل من هم لعلنا نحبهم ؟ قال هم قوم تحابوا بنور الله من غير أرحام ولا أنساب، ولا يحزنون إذا حزن الناس " ثم قرأ"** ﴿ أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾(١)، رواه النسائى وابن حبان فى صحيحه .

وعن أنس رضى الله عنه أن رجلا سأل رسول الله ﷺ متى الساعة ؟ ، **قال "وما أعددت لها؟ قال لا شىء إلا أنى أُحِبُّ الله ورسوله قال :" أنت مع من أحببت"** ورواه البخارى ومسلم (٢).

إن الحب فى الإسلام يستمد وجوده من الحب الإلهى ، فإذا تحققت منه لذة فهى وسيلة لغاية مرادة لله ، وليست اللذة من أجل اللذة ، إنما هى ثمرة لإتباع أمر الله ، كما أنه إذا بغض شيئا ، فإنما يبغضه بأمر الله ، لأن فيه إسراف أو إفساد أو خيانة أو إثم أو اعتداء أو ظلم ، فالبغض ما يبغضه الله وينهى عن فعله ، كما ورد فى كتابه الكريم ، والحق أن الإنسان إذا تجنب الآفات من غرور ونفاق وعدوان وشهوات ، واعتدل مزاجه ، واستقامت حياته وصفت نفسه ، وسمت روحه ، فيُصْبِح كالنبع الصافى ، يستمد من حوله منه النضرة والحياة ، وبدون المحبة تُصبح

---

(1) سورة يونس : ٦٢ .
(2) الترغيب والترهيب ، جـ٣ ، صـ٢٦٢ .

النفس ظالمة مظلومة ، تفسد أخلاقها ، وتزداد أحقادها ، وتصاب بالأمراض والأوجاع ، ويتصدع بناؤها ، لذلك كان الطريق الذى رسمه الله تعالى للصحة النفسية يتحقق بالمحبة التى غايتها الإعراض عن السيئات ، وإتباع الحسنات وفعل الطيبات من أمر بمعروف ونهى عن منكر (١) .

﴿ خُذِ العَفْوَ وَأْمُرْ بِالعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الجَاهِلِينَ ﴾ (٢) ولن يتحقق ذلك كما أشار الرسول ﷺ إلا بأن يصل الإنسان من قطعه ، ويُعطى من حرمه ويعفو عمن ظلمه.

والأخصائى الإجتماعى الذى يُطبق العلاج الإسلامى مع المشكلين والمنحرفين عن طريق التربية الاجتماعية بالحب ، فإنه يبدأ بنفسه أولا ، فعمله معهم وتأثيره فيهم يرتبط ارتباط وثيقا بحبه لهم وحبهم له ، فهو يُحبهم فى الله ولذلك يشقى ويتعب من أجلهم، ويبذل الجهد ويضحى بالوقت فى سبيل علاج مشكلاتهم ، وهو لا ينتظر من وراء ذلك جزاءً أو شكورًا ، فأجره على الله وجزاءه من الله ، وحبه فى الله ولله .

وعندما ينجح الأخصائى الاجتماعى فى اكتساب حبهم فسيصبح القدوة الحسنة أمامهم ، فيتعلمون منه الحب ، ويبدأون بحبه ، ثم يحبون بعضهم البعض ثم ينتشر الحب حتى يشمل كل الناس ويعم المجتمع ، وعندئذ تصفوا قلوبهم وتتطهر نفوسهم ، ويُقَوِّم انحرافهم ويتعدل سلوكهم.

---

(1) نحو علم نفسى إسلامى ، مصدر سابق ، صـ٢٠٧ .
(2) سورة الأعراف : ١٩٩ .

فالغاية من المحبة تحقيق صحة الإنسان النفسية فى الدنيا والآخرة وذلك برد الكراهية بالمودة ، ومقابلة الإعتداء بالصفح الجميل ، ومجابهة الظلم بالعفو وإذا وصل الإنسان إلى هذه الدرجة من السمو الأخلاقى ، والصفاء النفسى ، يستطيع أن يحيل الظلام نورًا ، والشر خيرًا ، إن الحب قوة سحرية تُمزق غيوم الأحقاد فَتُزالَ الغمة عن القلوب ، ويهتدى الإنسان إلى سبيل الخير والرحمة ، فيُعين الضعيف ، ويعود المريض ، ويُزكّى النفس بأعمال البر والمعروف ، فيبتعد عن غواية الشيطان ، ويأمن من مكائده ودسائسه ، ويغالب أهواء النفس الأمارة ، وهنا يرضى عنه الله ويحبه "﴿ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ ﴾ (١) ، "رضى الله عنهم ورضوا عنه"(٢) .

فالمحبة إذن إرتفاع عن الشهوة ، وارتقاء فوق الحاجات المادية ، وهى نقله من الحب الضيق إلى حب الله ، ومن الله وبالله، ولله (٣) .

ب - العلاج الإسلامى بالتعاون :

من المقرر أن الحياة فى أى جماعة من الجماعات لا تقوم دون أن يتحقق التعاون بين أفرادها ، وهذا التعاون لابد من أن يُنَظَّم وتُوضع له الروابط والضوابط التى تجعل منه عملا نافعا مثمرا ، وتقيمه على أساس من العدل والمحبة والإخاء (٤) .

قال الله تعالى :﴿ وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ ﴾(٥) فالله يأمر بالتعاون على البر ، وعمل الخير ، ومعاونة المعوزين

---

(1) سورة المائدة ٥٤ .
(2) سورة المائدة ١١٩ .
(3) نحو علم نفس الإسلامى ، مرجع سابق ، صـ٢٠٨ .
(4) العقيدة والأخلاق ، مرجع سابق ، صـ٨٦ .
(5) سورة المائدة : آية ٢ .

والعاجزين والمساكين ، كما يأمر بالتعاون على التقوى والعمل الصالح ، وينهى عن التعاون على الإثم والشر والعدوان .

وقال سبحانه وتعالى :﴿ وَالعَصْرِ * إِنَّ الإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ * إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ ﴾ (١).

فمن تمسك بالإيمان وفعل الخير ، والتزم بالحق والصبر نجح فى حياته وعمله ، ولن تهلك أمة يتواصى أفرادها بالإيمان ويتناهون عن الباطل ، وكثيرا ما سقطت الأمم لأن أبناءها كانوا لا يجدون من يرشدهم إلى الطريق المستقيم وينهاهم عن الشرور التى يرتكبونها ، والآثام التى يقترفونها .

وقد صح عن رسول الله ﷺ أنه قال "**والله فى عون العبد ما كان العبد فى عون أخيه**" .

إن الفطرة البشرية قد جعلت تحقيق الخيرات لا يمكن أن يستقل به إنسان، ينفرد بها بنفسه ويكون فى معزل عن الناس ، فلقد كان من مقتضيات الطبيعة البشرية والفطرة الإنسانية أن يتعاون الناس على تحقيق خيراتهم مجتمعين ، كلٌّ يقوم بما يختص به من فروعها ونواحيها ، لذلك كان من المحتم ، بل ومن أوجب الواجبات على الناس أن يُحِبَّ بعضهم بعضا ، وبدون تلك المحبة ينفرط عقد المجتمع وتذهب كثير من الخيرات (٢) .

---

(1) سورة العصر .
(2) العقيدة والأخلاق ، نفس المرجع ، صـ٢٤٩ .

وفى القرآن الكريم آيات كثيرة تحمل وعد الله لعباده المؤمنين بالنصر والتأييد ، وعلو الكلمة ونفوذ السلطان ، ولكنها لم تجعل هذا الوعد منحة تنزل عليهم من السماء لمجرد أن يقولوا ربنا الله ، أو لمجرد أنهم ينتسبون إلى دين أو كتاب أو رسول ، وإنما جعلها لمن عرف واجب الإيمان فى حق نفسه ، وحق جماعته ، ثم أخلص فى القيام بهذا الواجب ، فزكى نفسه ، وعاون جماعته بما رسم الله فى كتابه، وعندئذ يكون قد أوفى بعهده لله فيوفى الله بعهده له (١) .

﴿أَوْفُوا بِعَهْدِي أُوفِ بِعَهْدِكُمْ﴾(٢) وهكذا يكون النصر حليف التعاون .

وقد سمعنا وقرأنا كثيرًا كيف أثمرت التنمية الاجتماعية بالتعاون فى صدر الإسلام ، عندما كان المسلمون كالجسد الواحد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى ، فقد كانوا متعاونين متحابين ، ولذلك لم يقف فى طريقهم شىء ، واندفعوا رافعين راية الإسلام حتى صاروا خير أمة أخرجت للناس.

وقد ربط الله واجب الإيمان فى النفس والجماعة بأسس من واقع الإنسان وهو : أن للإنسان شخصيتين : شخصية أنفرادية بها يُخَاطَبَ ، وبها يُكَلَّف ، وبها يتصرف فى شئونه الخاصة فى دائرة أحكام الله وإرشاده ، وبها يُسأل عن نفسه أين وضعها ؟ وعن عمله ماذا قصد به ، وعن ماله فيم أُنفْق؟ وعن عمره فيما أفناه وإذا ما أدى الإنسان واجب الإيمان بإعتبار شخصيته الإنفرادية ، فقويت عقيدته

([1]) من توجيهات الإسلام ، مرجع سابق ، صـ ٢٩٤ .
([2]) سورة البقرة : ٤٠ .

فى الله وزكت نفسه بالخلق الفاضل ، أُعِدَّت لتكون عنصرا إيجابيا فى الشخصية الإجتماعية والإعلاء من كلمته وسلطانه (١) .

والأخصائى الاجتماعى الذى يعالج المنحرفين عن طريق بعض الألعاب الرياضية التى تتطلب روح الفريق ، والتى لابد أن يتعاون فيها العضو مع بقية أعضاء الفريق ، وعندئذ يعرف قيمة التعاون بالممارسة ، ثم يدربه على التعاون عن طريق تحمل بعض المسئوليات الجماعية ، مثل مسئولية الإعداد لرحلة بعد تقسيم المسئوليات ومعرفة كل عضو لمسئوليته التى تُكَمِّل المسئولية الجماعية ، أو توزيع مسئوليات الإشتراك فى حفله والإعداد لها ، وفى كل ذلك يُوضح لهم الأخصائى الإجتماعى قيمة التعاون وآثاره الإيجابية ونتائجه الطيبة على الفرد والجماعة وبعد ذلك يتدرج معهم الأخصائى فى إسناد بعض المسئوليات إليهم خارج المؤسسة على أن تكون مكملة لمسئوليات أخرى فى مكان آخر ، وعندئذ يعرف الفرد قيمة التعاون خارج المؤسسة كما عرفها داخل المؤسسة ! وبالتالى يعرف قيمة التعاون بالنسبة للمجتمع ككل . وبعد ذلك نجده يُقلع عن السلوك المنحرف ويبعده عنه ويتجه إلى البناء بدلا من الهدم ، والنماء بدلا من الضياع ، والإيجابية بدلا من السلبية ، ويُصبح إنسانا صالحا متعاونا فى حقوقه وواجباته ، ويصير لبنة من لبنات المجتمع .

---

(١) من توجيهات الإسلام ، نفس المرجع ، صـ٢٩٥ .

وهكذا نرى كيف يهتم العلاج الإسلامى ببناء الشخصية الإجتماعية للإنسان التى تجعله يتبادل والجماعة الحقوق والواجبات، خاصة إذا كانت تلك الجماعة كالأسرة ، وبيئة العمل ، أم عامة كالمجتمع الوطنى والإنسانى ، وفى سبيل تنمية الشخصية الإجتماعية للإنسان قرر الإسلام العدل والمساواة والتعاون والتواصى بالحق والتواصى بالصبر ، وقرر فى كل ذلك مسئولية الجماعة عن الفرد ومسئولية الفرد من الجماعة (١) .

ج- العلاج الإسلامى بالأمر بالمعروف والنهى عن المنكر :

بعد أن أكد الإسلام أهمية التعاون كأسلوب هام من أساليب تنمية الشخصية الإجتماعية ، الذى يهدف إلى ضبط السلوك الإجتماعى وتعديله ، أكد على أسلوب آخر وهو أسلوب الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر ، فالأمر بالمعروف وسيلة إصلاح الأفراد والجماعات والمجتمع ، كما أن النهى عن المنكر وسيلة يستطيع بها من أتى منكرا أن يجد من ينهاه عنه ، ويُرشده إلى الصواب ، ويأمره بالمعروف ، فيعتدل ويفيق إلى الحق ، وهو أسلوب رائع جميل فيه المحبة للناس وفيه المحبة للفضائل ، وفيه الكراهية للرذائل ، ومَنْعِ الناس من أدائها ، وقد ورد الحديث الشريف " من رأى منكم منكرًا فليغيره" وهذا الأسلوب لو أهمله المسلمون لعمهم البلاء ولفسد المجتمع ، فقد قال الرسول ﷺ "**ما أقر قوم المنكرين أظهرهم إلا عمهم الله بعذاب محتضر**" وهذا الأسلوب (الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر) يشترك فى أدائه الأفراد فى المجتمع فى المجال الفرد والهيئة الحاكمة فى المجال

---

(1) من توجيهات الإسلام ، مرجع سابق ، صـ١٠١ .

الجماعى وقال الرسول ﷺ : **"لتأمرن بالمعروف ، ولتنهون عن المنكر ، أو ليسلطن الله عليكم شراركم ، فيدعو خياركم فلا يُستجاب لهم "** (١) .

وقال الله سبحانه وتعالى :﴿ وَلْتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾(٢) فالله أمر بالدعوة إلى الإسلام وفعل الخير من صدقة، وإيثار وترابط وتضامن ، وأمر بالمعروف وهو ما إستحسنه الشرع : كالتواصى بالحق ، والحرمة ، والإحسان ، والصبر ، والنهى عن المنكر، وهو ما استقبحه الشرع : كالظلم، وعدم إخراج الزكاة ، وكالخيانة والغدر والكذب .

د- العلاج الإسلامى بتطبيق الحدود الشرعية :

المرحلة الاجتماعية الأخيرة فى ضبط السلوك وعلاج الإنحراف هى الحدود الشرعية ، فمن الناس من لا ينفع معه وازع العقل ، ولا وازع الضمير ، ولا وازع الترهيب ، ولا وازع الكفارات ، والمحاسبة الشخصية على الأخطاء المستورة ، وكان سلوكه مُعْوَجًا حتى احتاج إلى من ينهاه عن المنكر ويأمره بالمعروف ، فلم يرتدع ، وأصبح مصدر عدوان على نفسه وعلى المجتمع ، فلابد هنا من حدود وقائية وعلاجية تُشرَّع ، لإكراهه بالقوة إلى اتخاذ المسالك الحسنة ، فيُقَام عليه الحد ، وأسلوب الحدود الشرعية هو أسلوب الحاكم وحده ، وإن الله يزع بالسلطان ما لا يزع بالقرآن، فأعطى الله السلطان تنفيذ حدود الله وقد قال تعالى :"ولكم فى القصاص حياة يا أولى الألباب لعلكم ﴿ وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾ (٣) .

---

(١) روح الإسلام ، مصدر سابق ، صـ ٢٥٤ .
(٢) سورة آل عمران : ١٠٤ .
(٣) سورة البقرة : ١٧٩ .

فمن قتل يُقتل ، ومن سرق يُقطع يده ، ومن كان متزوجا وزنى يُرجم ، ومن شرب الخمر يُجلد .. وهكذا باقى الحدود، فالحدود تطهير للشخص مما ارتكب من الذنب ، وحفظ المجتمع من الفساد والرذيلة ، إذ أن الحدود جوابر ، أى تجبر ما حصل من الإنسان ، وتكون داعية للاعتبار بها ، كما أنها زاواجر للناس ، فمن فضل الله أنها جوابر لمن يرتكبها ، وزواجر لمن يفكر فى الإتيان بها ، وبذلك يُحْفَظْ المجتمع من الفساد والإفساد . وهكذا يُصبحُ الفرد رقيبا على نفسه وعلى المجتمع ويُصبح المجتمع رقيبا على الأفراد (١) .

والأخصائى الاجتماعى الذى يُطبق العلاج الإسلامى فى علاج الأحداث المنحرفين يجد فى تنمية الشخصية الإجتماعية أسلوب مؤثرا فى العلاج ، فأسلوب التنمية الإجتماعية بالتعاون يستطيع الأخصائى من خلاله تربية الحدث على تحقيق الخير والبر والعدل ، دون تعصب ، وقضاء حاجات الناس ، والتفريج عنهم وستر عيوبهم ، ونصحهم على إنفراد ، إن كانت من العيوب التى يمكن تركها وهكذا يتربى الحدث فى مجتمع قائم على الإيثار ، بعيدا عن الأثرة ، مبنى على مساعدة الآخرين من أجل الحق والخير ، والأخصائى الاجتماعى هو القدوة والمثل الأعلى الموجود أمامهم فيتقمصون منه هذه الصفات .

أما أسلوب التنمية الإجتماعية عن طريق الحب ، فالأخصائى الإجتماعى يعتمد فى عمله كله على العلاقة الطيبة التى يكونها بينه وبين هؤلاء الأحداث وهى علاقة حب صادق ، ومودة خالصة والتى يلمسها الأحداث ويحسون بها بل

([1]) السلوك الاجتماعى بين علم النفس والدين ، مصدر سابق ، صـ ٢٠٤ .

ويعيشونها ، وعندئذ يعممون الحب الآخرين الذين يتعاملون معهم ، بعد أن افتقدوا الحب وحُرِمُوا من المودة ، وكان ذلك من أسباب انحرافهم . ثم يتدرج هذا الحب إلى أن يصل إلى أعظم درجاته ، وهى المحبة الصادقة لكل الناس ، تقربا إلى الله واكتسابا لمحبته .

ويستطيع الأخصائى الاجتماعى تحقيق ذلك عن طريق بعض الأنشطة والبرامج المختلفة التى تُحقق هذه الأهداف ، فمثلا يصطحب الأخصائى مجموعة من الأحداث لزيارة أخ لهم فى الله ، أو عيادة مريض ، أو اجتماع على ذكر الله أو طلب العلم .. والأخصائى يخطط العديد من الأنشطة التى تدور حول هذا المعنى وتُحقق تلك الأهداف ، وبهذا يُرَبِّى عند الأحداث عاطفة الحب فى الله فيجريون لَذّتها ، ويستمتعون بممارستها ، ولا يستطيعون تركها ، والحب الصادق ، والمودة الخالصة لله والناس من أنسب الأساليب العلاجية وأنجحها لتقويم الإنحراف ، وتعديل السلوك ، وتنمية الشخصية .

أما التربية الاجتماعية عن طريق الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر ، فإن الأخصائى يمارس هذا الأسلوب معهم ، ويستغله ليعيد المنحرفين إلى فطرتهم الطاهرة ، ويصونها عن التدنس ، والأخصائى الإجتماعى يستغل هذا الأسلوب ليغرس فى قلوبهم معانى الإيمان بشتى الطرق ، وفى مختلف المناسبات ، فهو يلفت أنظارهم إلى كل ظاهرة من ظواهر الكون الدالة على قدرة الله وعظمته ووحدانيته ، وبعد ذلك يوجه سلوكهم لآداب الإسلام ، ويعلمهم كيف يعبدون الله

وكيف يتقربون إليه ، وينصحهم بالإرتباط بالمساجد ، ويوجههم إلى الفوائد العظيمة التى تعود عليهم من ذلك .

والأخصائى الإجتماعى يستطيع ذلك من خلال الأنشطة والبرامج الدينية التى يعدها لهم ، مثل الندوات والمحاضرات ، التى يدعو إليها الخبراء والمختصون من رجال الدين الذين يوضحون لهم ويشرحون لهم تلك الأمور والجوانب الدينية ، ثم عن طريق التمثيليات الدينية الهادفة ، والأمثلة الدينية ، والقصص القرآنية التى يستخلصون منها الدروس والمواعظ ، بالإضافة إلى إصطحابهم إلى الصلاة فى المسجد وخاصة صلاة الجمعة ، والإستماع إلى خطبها ، ومناقشتهم فى موضوعها وتفسيرها وتبسيطها لهم ، ثم يحذرهم وينهاهم عن جليس السوء ، ورفقاء الإنحراف ويختار لهم مجالس الصالحين ، والرفقة المؤمنة ، والأتراب والأنداد الذين ربُّوا تربية صالحة ، مع إنشغال مجالسهم ومجتمعاتهم بما يرضى الله ، وبذلك يزكى نفوسهم مما يُدَنِّسها أو مما يُضَيِّع أوقاتهم فى غير طاعة أو فائدة عملية ، أو كسب دنيوى حلال ، عملا بقوله تعالى : ﴿ **لَا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِنْ نَجْوَاهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَاحٍ بَيْنَ النَّاسِ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ ابْتِغَاءَ مَرْضَاةِ اللهِ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا** ﴾ (١) .

---

(١) سورة النساء ١١٤ .

أما عن التنمية الاجتماعية عن طريق الحدود الشرعية فإن الأخصائى الإجتماعى ما هو إلا ممثلا للمجتمع ، يطبق آدابه ، ويرتبط بقيمه ، ويرجع إلى أمر الله ، ويُحَكِّم شرعه فى تنظيم المجتمع ، حيث أن ذلك يُعتبر من أهم مصادر الروابط والأهداف الإجتماعية ، لأنه يهدف إلى تنمية الأفراد وتأديبهم بطلب مرضاة الله فإذا إنحرف الفرد عن هذا الهدف أدانه المجتمع ، وأصبح من حق الأخصائى الاجتماعى أن يتخذ معه شتى الأساليب التربوية كمحاولة أخيره للتأثير فيه أو تغييره ، وإذا لم تُجْدِ معه كل هذه الأساليب ، أصبح من حق الأخصائى الإجتماعى تسليمه للسلطة التى تنفذ أوامر الله لتطبق عليه أى نوع من أنواع الحدود الشرعية حتى يعود الأفراد إلى حظيرة الإيمان والتوبة والندم ، ويرجعون إلى العمل بمقتضى الشريعة وآدابها .

والأخصائى الاجتماعى ، وهو يطبق هذا الأسلوب فإنه يهدف إلى الوقاية والعلاج فى آن واحد ، وذلك عن طريق إصطحاب مجموعة من المنحرفين لمشاهدة بعض الأفراد الذين أدانهم المجتمع ويُطَبَّقُ عليهم حدا من حدود الشريعة الإسلامية، أو يقص عليهم قصص من طبقت عليهم حدود الله ، أو يريهم بعض الأفلام السينمائية ، وبعض التمثيليات التى تشاهدون فيها تطبيق حدود الله ، وبذلك يُوضح لهم الدروس والعظات المستفادة من هذه الأنشطة حتى يُعالِجَ عن طريقها إنحراف سلوكهم ، ويجعل منها وقاية لمن لديه إستعداد للإنحراف .

وهكذا يحاول الأخصائى الإجتماعى حماية المجتمع من الفساد عن طريق تطبيق العلاج الإسلامى على المنحرفين ، بشتى أساليبه المتنوعة ، وعلى رأسها التنمية الاجتماعية عن طريق التعاون تارة وعن طريق الحب تارة أخرى ، ثم عن طريق الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر تارة أخرى ، أو عن طريق تطبيق حدود الله بحيث يختار الأخصائى الإجتماعى من هذه الأساليب ما يناسب فردية كل منحرف ، حيث أن بعض هذه الأساليب يفيد مع بعض المنحرفين ، وقد لا يفيد مع البعض الآخر، كل ذلك يعتمد على مهارة الأخصائى الإجتماعى فى تطبيق العلاج الإسلامى ، بعد أن يدرس مشكلة كل منحرف ، ويوضح أسبابها بدقة ، ثم بعد أن يختار لها أنجح هذه الأساليب العلاجية ، حيث أن العلاج الإسلامى بأساليبه المتعددة فيه الدواء لكل داء ، وفيه الهداية وفيه الشفاء ، والله متم أمره كيف شاء وعندما شاء .

التربية الإسلامية بتنمية القيم النفسية

مقدمة

أ- التنمية النفسية بتنمية الإرادة عن طريق

١- تنمية الإرادة بالتحكم فى المشاعر.

٢- تنمية الإرادة بممارسة الحب .

٣- تنمية الإرادة بالصبر والتنفيس عن المشاعر.

٤- تنمية الإرادة بتحويل اتجاه بعض الغرائز.

٥- تنمية الإرادة بالإيحاء .

٦- تنمية الإرادة بالزهد فى الدنيا .

٧- تنمية الإرادة بالتأمل والتفكر.

ب- التنمية النفسية بتنمية الضمير .

ج- التنمية النفسية برياضة النفس ومجاهدتها .

التربية الإسلامية بالتنمية النفسية

مقدمة

من نظر فى تعاليم الدين الإسلامى وتأمل مقاصده فسُيدرِك أنه يرمى إلى غرض واحد هو توفير الكمال النفسى للإنسان ، وتيسير أسباب السعادة له فى دنياه وآخرته ، متمثلا فى تنظيم سلوكه وضبطه (١) ، وعندما يتوفر الكمال النفسى يتوفر الجو الآمن المطمئن الذى يساعد على تنمية الشخصية التى تساعد على جهاد النفس وترويضها ليعيش الإنسان متزن النفس ، كريم الأخلاق، عظيم الصفات .

وقد قرر الإسلام بصراحة أن حُسْن الأخلاق طريق سعادة الإنسان ، وسوء الأخلاق طريق شقاوته ، فقال رسول الله ﷺ: **من سعادة المرء حسن الخُلُق ومن شقاوته سوء الخلق"** (٢) .

وإذا كانت معظم الأمراض النفسية أسبابها الإنحرافات الأخلاقية كما يقرر ذلك العلماء النفسيون ومنهم (هادفيك) الذى يقول : "كل مرض نفسى ينطوى على نقص خلقى" (٣) .

([1]) السلوك الاجتماعى بين علم النفس والدين – مصدر سابق – صـ ٨ .
([2]) منتخب كنز العمل فى هامش مسند الإمام أحمد ١٣٢/١ .
([3]) توفيق الطويل ، الفلسفة الخلقة ، صـ٤٦٨ ، مصدر سابق .

فإن الإسلام قد قرر ذلك قبل هؤلاء وبَيَّن العلاقة بين الإنحراف الأخلاقى والأمراض النفسية ، وبين الأمراض الجسمية بشكل واضح وصريح ، فقال الرسول ﷺ **"من ساء خلقه عذب نفسه ومن كثر همه سقم بدنه"** (١) .

ثم إن المرض النفسى قد يكون أشد تعذيبا للإنسان من المرض الجسمى وخاصة الأمراض الناشئة أساسا من سوء الأخلاق "أما عذاب الوجدان (العذاب النفسى) أو وخز الضمير وتأنيبه فهو ألم معنوى .. إنه هو الذكرى التى تعض قلب المجرم ولا تفارقه ليل نهار" (٢) .

ولذلك اهتم الإسلام بعلاج مثل هذه الأمراض النفسية ، كما جاء القرآن الكريم "﴿ **وَنُنَزِّلُ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ وَلَا يَزِيدُ الظَّالِمِينَ إِلَّا خَسَارًا** ﴾(٣) .

ويقول الإمام الفخر الرازى (إعلم أن القرآن شفاء من الأمراض الروحانية كما هو شفاء أيضًا من الأمراض الجسمية ، أما كونه شفاء من الأمراض الروحانية فظاهر، وذلك لأن الأمراض الروحانية نوعان الاعتقادات الباطلة ، والعادات المذمومة، وأما الأخلاق المذمومة فالقرآن مشتمل على تفصيلها ، وتعريف ما فيها من المفاسد ، والإرشاد إلى الأخلاق الفاضلة الكاملة ، والأعمال المحمودة ، فكان

---

(1) منتخب كنز العمل فى هامش مسند الإمام أحمد ، مرجع سابق ، صـ ٢٥٨ .
(2) د . عادل العوا : الوجدان ، مطبعة جامعة دمشق ، بدون، صـ٥٧ .
(3) سورة الإسراء : آية ٨٢ .

القرآن شفاء من هذا النوع من المرض ، وثبت أن القرآن شفاء من جميع الأمراض الروحانية"(١).

وإذا كان الجسم يتخلص من سمومه بطريقة ما ، ويمرض إذا تراكمت السموم بداخله ، فإن النفس كذلك ينبغى لها أن تطرد سمومها ، وليس هناك شىء يزيل سموم النفس كما يزيلها الحب ، الحب على نطاقة الواسع ، الحب لكل شىء ولكل موجود ، وهذا هو الذى يصنعه الإسلام ويصنعه القرآن .. إن العبادة الدائمة لله والحياة الدائمة فى كنفه ، والتطلع إلى رضاه ، تُحْدِثُ هذا الشعور الوثيق بالحب لبنى الإنسان (٢) .

إن الإسلام يُقدم بتعاليمه الكاملة السليمة أفضل العون للنفوس، وما العبادات فى الإسلام إلا وسائل ربانية لتربية النفس وتنظيم طاقتها ، وهو إذ يحصنها بهذه العبادات لا يقتل حيويتها ، ولا يُضعف منها أبدا ، حتى تلك الغرائز الجنسية الشهوية لا يقف منها موقف العداء ، وإنما يعمل على تنظيمها ، فتتحول بذلك إلى طاقة بناءة للحياة ، وكذلك الإنحرافات السلوكية الأخرى فإن الارتباط بالدين فيه العلاج وفيه الوقاية .

إن القرآن أسلوبا رائعا للتنمية النفسية ، فهو يُربى المرء على الإيمان بوحدانية الله وباليوم الآخر ، ويقول "محمد إقبال" فى كتابه إعادة بناء الفكر الإسلامى .. ما يأتى به الدين من علم ، وإيمان به هو تجربة نفسيه تُخْضِع الممارسة

---

(1) تفسير الفخر الرازى ، مصدر سابق ، صـ ٢١/ ٣٤ .
(2) نحو القرآن ، مصدر سابق ، صـ١٤٩ .

الداخلية للإنسان ، أى تُخْضِع جهاد النفس ، وترويضها ، فكلما جاهد الإنسان شهوات نفسه ، ووقف فى سبيل هواها ، كلما زاد إدراكه وضوحا وعمقا للطريق السوى فى الحياة ، وكلما زاد إيمانه قوة بالله وبرسالته ، ونهاية هذه التجربة النفسية يتجلى فى الصفاء النفسى (١) .

إن أسلوب القرآن فى تربية النفس ، يفرض الإقناع العقلى مقترنا بإثارة العواطف والإنفعالات النفسية ، فهو بذلك يُربى العقل والعاطفة معا متمشيا مع فطرة الإنسان فى البساطة وعدم التكلف ، وطرق باب العقل مع القلب مباشرة .

يبدأ القرآن من المحسوس المُسلَّم به : كالمطر والرياح ، والنبات ، والرعد ، والبرق ... ثم ينتقل إلى استلزام وجود الله ، وعظمته وقدرته وسائر صفات الله مع اتخاذ أسلوب الإستفهام أحيانا ، إما للتفريغ وإما للتنمية وإما للتحبيب والتذكير بالجميل .. أو نحو ذلك . مما يثير فى النفس الإنفعالات الربانية : كالخضوع والشكر ، ومحبة الله ، والخشوع له ، ثم تأتى العبادات والسلوك المثالى تطبيقا عمليا للأخلاق الربانية (٢) .

إن الدين الإسلامى يعتمد فى إصلاحه على تهذيب النفس الإنسانية ويُكرس جهودا ضخمة للتغلغل فى أعماقها ، وغرس التعاليم الدينية فى جوهرها فالنفس الإنسانية هى موضوع عمله ومحور نشاطه ، لأن الإسلام دين الفطرة

([1]) نحو القرآن ، مصدر سابق ، صـ ١٤٩ .
([2]) التربية الإسلامية ، مصدر سابق ، صـ ٢١ .

قال تعالى: ﴿ فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَةَ اللهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللهِ ذَلِكَ الدِّينُ القَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴾(١) .

والنفس المنحرفة تُثير الفوضى فى أحكام النظم ، وتستطيع النفاذ منها إلى أغراضها الدنيئة ، والنفس الكريمة تُرَقِّع الفتوق ، وتُحْسِن التصرف فى الأمور وتسير وسط الزوابع والأعاصير (٢).

وأسلوب القرآن فى تربية النفس عن طريق إثارة الإنفعالات الربانية كالخضوع والشكر ومحبة الله .. هى أفضل طريقة إهتدى إليها علم النفس لتربية العاطفة ، إنها مصحوبة بموضوع معين ، حتى تُصبح عند المرء استعدادًا لاستيقاظ هذه الإنفعالات كلما أثير هذا الموضوع .

فتجربة أى انحراف مثلا تحتاج إلى إثارة انفعالات المنحرف بشحنة إنفعالات إيجابية ، نركز فيها على الخشوع والخضوع لله وشكره على نعمه ، فقد يمس ذلك أوتار قلبه ، فيعود إلى فطرته السليمة ، وعندئذ تنجح الوقاية ، وينجح العلاج .

وهل العاطفة إلا ذلك الإستعداد الوجدانى الإنفعالى ؟ فإذا رُبِىَّ مع العاطفة سلوك مثالى تتطلبه تلك العاطفة ، فقد بلغت التربية الإسلامية ذروتها فى تربية النفس وإستنفاد طاقتها فى خير الإنسانية ، ولعل أوضح مثل على ذلك عمليا هو تحلية النفس بالأوصاف المحمودة ، وتخليتها من الأوصاف المذمومة ، والمَنْطَلَقَ الذى تنطلق منه مناهج التربية يقوم على ركيزة مستقاة من القرآن الكريم وهى أن الإنسان فُطِرَ على الحق ثم ينساه ، فإذا لم يُذَكَّر بصفة مستمرة إنحرف عن جادة

---

(1) سورة الروم ٣٠ .
(2) السلوك الإجتماعى بين علم النفسى والدين ، مصدر سابق ، صـ ٧٩ .

الصواب ، وركن إلى الخمول والبلادة فيقتله الشيطان ويوسوس له ، ويُحَسِّن له باطل عمله ، وبذلك تميل النفس عن طبيعتها ، فتنحرف إلى الأهواء والأماني الكاذبة ، وتندفع إلى الغفلة والضياع ، ومن هنا كانت أهمية الرياضة النفسية لتقوية العزيمة وباب للصحة النفسية(١) .

والمنحرف فى مسيس الحاجة لتقوية عزيمته وتنمية إرادته حتى يُصبح قادرا على مجاهدة نفسه ، وإنقاذها من الغفلة والضياع والدمار .

(١) نحو علم نفس إسلامى ، مصدر سابق ، صـ ٢٧١ .

أ- التنمية النفسية بتنمية الإرادة عن طريق :

١- تنمية الإرادة بالتحكم فى المشاعر.

٢- تنمية الإرادة بممارسة الحب .

٣- تنمية الإرادة بالصبر والتنفيس عن المشاعر.

٤- تنمية الإرادة بتحويل اتجاه بعض الغرائز.

٥- تنمية الإرادة بالإيحاء .

٦- تنمية الإرادة بالزهد فى الدنيا .

٧- تنمية الإرادة بالتأمل والتفكر.

والتنمية النفسية كأسلوب هام من أساليب العلاج الإسلامى يمكن تحقيقها بالأساليب التالية :-

أ- التنمية النفسية بتنمية الإرادة :

وردت كلمة الإرادة فى كتب الإمام الغزالى لأغراض متعددة : فتارة يُريد بها السلوك فى طريق الله ، وتارة يُريد بها البحث عن المعرفة وتسخير القدرة ، ونراه حينا يسميها القوة العاملة ، ونراه حينا آخر يسميها النية ، ثم نراه يقول "أن النية ، والإرادة ، والقصد ، عبارات متواردة على معنى واحد وهو حالة وصفة للقلب ، ويكتنفها أمران : علم وعمل ... وكل عمل لا يتم إلا بثلاثة أمور : علم ، وإرادة ، وقدرة ، لأنه لا يريد الإنسان مالا يعلمه ، فلابد وأن يعلم ، ولا يعمل ما لم يُرْدَ ، فلا بد من الإرادة ، والعلم يُهَيِّج الإرادة ، والإرادة باعثة للقدرة والقدرة خادمة للإرادة(١) .

ومعنى الإرادة إنبعاث القلب إلى ما يراه موافقا هذا الأسلوب التربوى القرآنى الذى يتضح فى سورة الرحمن حيث يذكرنا الله عز وجل جلاله بنعمه ودلائل قدرته ، بادئا من الإنسان وقدرته على التعلم ، إلى ما سخر الله له الشمس والقمر والنجم والشجر ، والفاكهة والثمر ، وما خلق من السماء والأرض .. وعند كل آية عدة آيات علامات استفهام يضع الإنسان فيها أمام الحس الوجدانى وصوت القلب ، والضمير فلا يستطيع أن يُنْكر ما يُحس به ، ويستجيب له عقله وقلبه ، وقد

---

(١) الإمام الغزالى ، "الأربعين فى أصول الدين" ، القاهرة مكتبة الجندى ، ١٩٧٥ .

تكرر هذا الإستفهام ﴿فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾ إحدى وثلاثين مرة فى هذه السورة ، وفى كل مرة يُثير إنفعالات تختلف بحسب الآية التى تسبقه .

وهكذا تستطيع التربية الإسلامية تربية النفس البشرية وتهذيبها ، وإن الله تعالى أقسم إحدى عشر قسما ليقرر أن النفس الإنسانية قابلة للتغير والتزكية والتسامى (١) .

والعلاج الإسلامى لكى يصل إلى تحقيق أهدافه فى التربية النفسية فإنه ينطلق من محركين أساسين محرك ترغيب ... ومحرك ترهيب ، فالنفس تنزع بفطرتها إلى الهوى ، وتميل إلى الشهوة ، وتركن إلى تحقيق ذلك ركونا عظيما ، بما أودع فى جبلتها من صفات مذمومة .. يمكن أن تُحِدث لها العطب والفساد والإنحراف ... لذلك وجب تحريك محرك الترهيب للقضاء على هذه الآفات أولا بأول حتى لا تعتاد عليها النفس .. ، كما تقوم التربية الإسلامية على محرك الترغيب فيما يتعلق بالأفعال المحمودة والعلوم النافعة ، والقدوة الحسنة ، حتى يتحلى بهت باطن الإنسان فَتُصْبِح هذه الأفعال غاية سلوكية .. لكى يتم الغرض إما فى الحال وإما فى المآل (٢) .

---

(1) أنظر سورة (الشمس وضحاها ...) إلى قوله تعالى قد أفلح من زكها وقد خاب من دساها .

(2) الإمام الغزالى "إحياء علوم الدين" مرجع سابق ذكره .

أما وجهة نظر علماء النفس فى طبيعة الإرادة فقال بعضهم: الإرادة هى العملية النفسية التى ترمى إلى تكيف الإستجابة التى كانت قد أدى الصراع القائم بين مجموعتين من الميول إلى إرجائها وذلك بترجيح كفة الميول التى تبدو فى نظر الشخص أنها أسمى من غيرها (١) .

وأهم ما يميز الإتجاه السلوكى فى فهم طبيعة الإرادة أن الإرادة سابقة على الفكرة ، وأن منبع الإرادة هو الميول المتنازعة، وتنشأ الإرادة عندما يتغلب ميل واحد منها على الميول الأخرى(٢).

والإرادة عند الإمام القشيرى هى "نهوض القلب فى طلب الحق سبحانه" (٣) .

ويقول الواسطى "أول مقام المريد إرادة الحق بإسقاط إرادته (٤) ، والإرادة الحقيقة من وجه نظر المتصوفين بصفة عامة هى الإرادة المتجردة من البواعث النفسية والميول الطبيعية وتخضع لإرادة الحق .

ويقول الفارابى "النزوع إلى ما أدركه الإنسان بالجملة هو الإرادة (٥) ، ولا ريب أن الإرادة العاقلة هى أثمن شىء فى وجودنا، فهى التى يتميز بها ، إنها الملكة القادرة على أن تركزنا فى ذواتنا ، وعلى حين أن الحواس والغرائز تُبَعثرنا خارجها فهى إذن مخصصة ليمنحها الخالق حق السيادة ودور المبدأ الأعظم (٦) .

---

(1) يوسف مراد "مبادىء علم النفس" مرجع سابق ذكره .
(2) عبد الكريم عثمان "الدراسات النفسية عند المسلمين" القاهرة ، مكتبة وهبة ، مرجع سابق ذكره .
(3) الإمام القشيرة "الرسالة القشيرية" القاهرة ، مطبعة صبيح ، ١٩٦٦ ، صـ ١٥٧ .
(4) التهانوى "كشف إصطلاحات الفنون" .
(5) الفارابى "آراء أهل المدينة الفاضلة القاهرة ، صبيح وأولاده ، صـ ٦٠ .
(6) عبد الصبور شاهين ، دستور الأخلاق فى القرآن ، بيروت ، مؤسسة الرسالة ، طبعة أولى ، صـ ٤٠٥ ، ١٩٧٣ .

ويرى الإمام الغزالى "أن تربية الإرادة بتكرار طاعة الميل المحمود وتكرار مجاهدة الميل المذموم ، والإمام الغزالى لا يرى للعمل قيمة بغير النية وإن شئت الإرادة ، وإن كانت النية هى التى تُقَوِّم العمل فمن الخير أن تكون قوية ، ولأنه كما تكون الرغبة فى عمل طيب ، أو النفرة من عمل خبيث ، يكون جزاء العامل ، فيكثر أجره أو يقوى حبه للخير ، وقد نص فى عدة مواطن من كتبه بأنه الْمَعَّول على القلوب ، حتى لنجده يذكر أن الصغيرة تنقلب إلى كبيرة بالإصرار والمواظبة ، أو بالاستهانة بما لها من خطر ، وأن الكبيرة إذا وقعت بغتة واستعظمها المرء ولن يعود إليها كانت مرجوة العفو (١) .

وفى ذلك يقول الغزالى : فإن الذنب كلما استعظمه العبد من نفسه صغر عند الله ، وكلما استصغره كبر عند الله لأن استعظامه يصدر عن نفور القلب منه وكراهيته له ، وذلك النفور يمنع من شدة تأثره ، واستصغاره يصدر عن الألفة به وذلك يوجب شدة الأثر فى القلب ، والقلب هو المطلوب تنويره بالطاعات والمحظور تسويده بالسيئات (٢) .

ونحن محاسبون على النية والقصد من سلوكنا وأفعالنا ، والنتيجة الطبيعية للإيمان أن يكون الباعث على سلوك المؤمنين هو الطمع فى ثواب الله والخوف من عقابه ، والعزيمة والإرادة هى وسيلة التنفيذ وهى سر من أسرار التوصل إلى السعادة فى الدنيا والآخرة، ومن ضَعفُت إرادته أو عجزت فهو والحيوان سواء بل هو أضل من الحيوان ، لأنه أصبح غافلا ، قال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا

---

(1) الأخلاق عند الغزالى ، مصدر سابق ، صـ ١٤١ .
(2) إحياء علوم الدين ، صـ ٣٣ ، مصدر سابق .

مِنَ الْجِنِّ وَالإِنْسِ لَهُمْ قُلُوبٌ لَا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ آذَانٌ لَا يَسْمَعُونَ بِهَا أُولَئِكَ كَالأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُولَئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ﴾(١).

لقد أوضح الإسلام المنهج العملى لتنمية الإرادة (٢) وتدريبها على الإلتزام بموقف الحكمة والهدى والثبات أمام تيار الهوى كما يلى:-

١- تنمية الإرادة بالتحكم فى المشاعر (ككظم الغيظ والحد من الغضب) :

إن ظاهرة الغضب ظاهرة مزدوجة فسيولوجية وسيكلوجية ، أعنى أنها عضوية نفسية فى وقت واحد ، ألسنا نرى الإنفعال النفسى فيها تصحبه ثورة دموية تغلى منها مراجل الصدر ، وترتفع بها حرارة الجسم ، وقد تتقلص منها عضلات الوجه فى أعراض تشبهها ، ثم يتبع ذلك لواحق أخرى ، كالجهر بالقول والبطش باليد إلى غير ذلك .. وهنا يطالبنا الشرع الحكيم فى أشد حالات الغضب وما دمنا متمتعين بوعينا وإدراكنا – أن نسيطر على حركات ألسنتنا وجوارحنا ، ويحاسبنا على الأسلوب القولى والفعلى الذى نختاره فى التعبير عن شعورنا ، وذلك أن قصارى الثورة الغضبية – حين تندفع إلى التعبير عن نفسها بالقول والفعل معا – أن تكون كالشحنة الكهربية التى لابد لها متى اندفعت أن تُفَرَّغ فلا سبيل إلى كبت حركتها ، ولكن سبيلنا هو إختيار المجال الذى تفرغ فيه ، وذلك بوضع جهاز مانع الصواعق فى مكان ما ، وهو كما نعلم جهاز لا يوقف التيار الكهربائى بل يستقبله ويتلقاه ثم يحوله بعيدا عن هدفه الأول(٣) .

---

(1) سورة الأعراف (١٧٩) .
(2) دراسات إسلامية فى العلاقات الاجتماعية والدولية ، مصدر سابق ، صـ ٤٥ ، ٥٠ .
(3) دراسات إسلامية فى العلاقات الاجتماعية والدولية ، مصدر سابق ، صـ ٤٥ ـ٥٠ .

وبالمثل نستطيع أن نتصرف فى مواقف الغضب لا بمصادمة هذه الغريزة نفسها ، ولا بمقارنة حركتها الطبيعية فى بداية اندفاعها ، ولكن بتوجيه هذه الحركة ، وتحويل خط سيرها على النمط الذى رسمه لنا القدوة الأعظم صلوات الله عليه ، فلنستمتع إلى شىء من إرشاداته الحكيمة التى يوجهها إلى من يقع تحت سلطان الغضب ، وهى إرشادات تبرهن على ما لصاحبها من علم واسع عميق ، وإدراك كامل دقيق ، وبكل هذه القوى النفسية وحدودها الطبيعية وفيما وراء تلك الحدود ، ففى اللحظة التى يدفعنا فيها الغضب إلى التفوه بكلمة ننفس بها عن غضبنا ، لا يأمرنا الرسول الكريم بأن نسكت ونحبس أنفسنا ، بل يرشدنا بالعكس إلى أن نقول شيئا ، ولكنه يختار لنا الصيغة المعبرة عن هذا الإنفعال وهى "أعوذ بالله من الشيطان الرجيم" (١) أليست هذه الكلمة وحدها كافية لفتح صمام المرجل الذى يغلى فى الصدر، وتخفيف الضغط الذى كاد يولد فيه الإنفجار ؟

فإذا ما دعتنا حدة الغضب إلى شىء أكثر من القول وإنبعثت فينا نزعة قوية إلى البطش باليد أو غير ذلك من الحركات البدنية ، فإن الإرشاد النبوى يساير هذه الحركة الطبيعية أيضًا فى مبدئها ، ولكنه لا يلبث أن يُحَوِّل مجراها برفق بعيدا عن هدفها ، ولنستمع إليه ﷺ حين يقول **"إذا غضب أحدكم وهو قائم فليقعد فإن لم يذهب عنه الغضب فليضطجع"**(٢) .

هل نجد أيسر وأسرع وأدق وأنجح من هذا العلاج الروحى البدنى معا .

(1) رواه أبو داوود فى كتاب الأدب .
(2) دراسات إسلامية ، مصدر سابق ، صـ ٥٠ .

وللغضب أنواع متعددة من العلاج (١)

أولها : كظم الغيظ :

الذى يَرُد الغضب ويُسَكِّنه فإنه أعظم وسيلة لرده ، وأعظم علاج لدفعه ، قال الرسولﷺ إذا غضبت فأسكت" ، وقال ﷺ "**ومن كظم غيظا لو شاء أن يمضيه لأمضاه، ملأ الله قلبه أمنا وإيمانا**" وقال الله تعالى فى معرض المد لهم "والكاظمين الغيظ".

ثانيهما : هو الحلم عند الغضب :

وقد أجمع العلماء على أن فضل الأحلام الحلم عند الغضب، والصبر عند الجزع ، وقال الرسول ﷺ "**إنما العلم بالتعلم ، والحلم بالتحلم ، ومن يتخير الخير يعطه ومن يَتوق الشر يوقه**" وقال الرسول ﷺ :" **ابتغوا الرفعة عند الله" قالوا وما هى يارسول الله قال : تصل من قطعك ، وتعطى من حرمك ، وتحلم على من جهل عليك**" وعلى ذلك يكون الحلم أفضل من الكظم لأن للحلم درجة بينما للكظم مثوبة ، وأين أهل الدرجات من أهل المثوبات .

ثالثها : هو العفو والصفح :

وهى درجة لا يقدر عليها إلا من إتصفوا بالإيمان واليقين ، ويتضح عظيم درجتها من قوله تعالى :﴿ وَالعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللهُ يُحِبُّ المُحْسِنِينَ ﴾ (٢)

---

(1) السلوك الإجتماعى بين علم النفس والدين ، مصدر سابق ، صـ١٣٢ .

(2) سورة آل عمران : آية ١٣٤ .

وقال: ﴿ وَأَنْ تَعْفُوا أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى ﴾ (١) وقال: ﴿ وَلْيَعْفُوا وَلْيَصْفَحُوا أَلَا تُحِبُّونَ أَنْ يَغْفِرَ اللهُ لَكُمْ ﴾ (٢) .

رابعها : تغيير الوضع أو القيام للوضوء :

وإذا لم يستطيع الإنسان أن يكظم غيظة ، أو يحلم ، أو أن يعفو ويصفح فعليه أن يتبع الأساليب الأخرى التى أشار بها الرسول ﷺ وهى تغيير الوضع أو القيام للوضوء فقد قال الرسول ﷺ **"إذا غضب أحدكم فليتوضأ بالماء فإنما الغضب من النار"** .

أما أساليب علاج الغضب السابقة فتحتاج إلى قوة ضبط نفسية مبنية على فكر سليم وإيمان ويقين ، وهى دروس عملية على تربية الإرادة ، فمن يتدرب على التحكم فى مشاعره وخاصة السلبية منها كالغضب سيجد صعوبة فى البداية ولكن مع تكرار ممارستها وبالإصرار على التدريب عليها ستصبح عملية سهله بعد أن قويت الإرادة وأصبحت قادرة على التحكم فى نزعات النفس ومنعها بل قادرة على رياضة النفس ومجاهدتها ، وعندئذ ينجح العلاج الإسلامى فى تنمية الإرادة عن طريق التحكم فى المشاعر.

٢- تنمية الإرادة بممارسة الحب :

الحب والكره حالتان نفسيتان وليدتا أسباب يبدو لنا بعضها ، ويخفى عنا البعض الآخر، فقد يكون مردها إلى مجرد تجاذب الأرواح أو تنافرها ، أو إلى تقارب

---

(١) سورة البقرة : آية ٢٣٧ .
(٢) سورة النور : آية ٢٢ .

الأفكار والآراء أو تباعدها ، أو غير ذلك من البواعث ، وأما ما كان منها من صنع الله مقلب القلوب ، كذلك ما يتبعها من الآثار الجبلية ، التى لا تنكرها قرة عين وإشراق جبين وإنفساح صدر ، وراحة ونعيم فى لقاء من تحب ومناجاته ، وأضداد ذلك فى لقاء من تبغض ، إلى هنا يقف عمل الفطرة التى رفعت عنها الأقلام ولكننا فى غالب الأمر نضيف إليها آثارا من صنعنا ، إذ نفرق فى المعاملة بين من نُحِبُّ ومن نُبغِضْ ، ولا نسوى بينهما فى الحكم ، بل نكيل لهما بكيلين ، ونزن بميزانين ، فنحابى من نحب ، ونغضى عن هفواته ، ونتحامل على من نكره ، ونغطى على حسناته : وهذا هو الجَوْرُ الذى نهانا الله عنه إذ يقول عز وشأنه: ﴿ وَإِذَا قُلْتُمْ فَاعْدِلُوا وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَى ﴾ (١) ويقول:﴿ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَى أَلَّا تَعْدِلُوا﴾(٢) هكذا يحملنا الإسلام مسئولية عملنا ،وعافانا من كسبنا، فلم يكلفنا إفتعال الرضا ونزع السخط من أنفسنا ولا كف آثارها الجبلية ، ولكن كف آثارها الإختيارية الجائرة ، وقد جعل لنا فى ذلك الأسوة الحسنة صاحب الخلق العظيم فقد كان الرسول "ﷺ" يعدل حق العدل بين زوجاته ثم يقول **"اللهم هذا جهدى فيما أملك ، ولا طاقة لى فيما تملك ولا أملك"** (٣) .

بذلك يعلمنا الإسلام كيف ندرب إرادتنا على أن لا نفرق بين ما نحب ومن لا نُحب بل نمارس الحب مع الجميع ، ونتسامى ونعلوا به إلى أن يصل إلى حب الله هادى النفوس ومقلب القلوب ، وهل يستطيع ممارسة الحب إلا من

---

(1) سورة الأنعام (١٥٢) .
(2) سورة المائدة الآية (٨) .
(3) دراسات إسلامية ، مصدر سابق ، مرجع سابق ، صـ ٣٧ .

يملك إرادة قادرة .. ولن تكون الإرادة قادرة إلا بتربيتها وتدريبها على التحكم فى المشاعر تارة وبممارسة الحب تارة أخرى ، حتى تصل إلى درجة التوازن النفسى الذى يعدل فى التعامل مع الناس ، مقتدين بصاحب الخُلُق العظيم والأسوة الحسنة محمد الرسول الكريم ﷺ .

٣- تنمية الإرادة بالصبر والتنفيس عن المشاعر :

ترى الناس إذا أصابهم ما يكرهون إندفعوا فى هلع هالع ، وجزع خالع أعتذروا بشدة الصدمة الأولى التى تعجزهم عن الصبر والتحمل ، كلا إنها حجة داحضة ولله الحجة البالغة ، فإن للحزن أثرًا طبيعيًا لا جناح فيه ، وليس هناك حجة لقول العجز وفعل المنكر الذى تَبْرَأَ منه الفطرة .

ها هنا أيضًا نجد فى مشكاة الشريعة من الأضواء الباهرة ما يكشف لنا حدود مسئولياتنا ، وما وراء تلك الحدود ، ففى أثر الصحيح الذى يرويه البخارى أن النبى ﷺ **دخل على إبنه إبراهيم وهو يعانى سكرات الموت ، فلما رآه رق له قلبه وجعلت عيناه تذرفان الدموع ، فقال له عبد الرحمن بن عوف : وأنت يا رسول الله .. فقال " يا ابن عوف إنها رحمة ، ثم قال:"إنها العين تدمع ، والقلب يحزن ، ولا نقول إلا ما يرضى ربنا، وأننا لفراقك يا إبراهيم لمحزونون"** هكذا فرق الرسول الحكيم بين الظواهر الحيوية والنفسية التى ليست من كسبنا ، وبين الأقوال والأفعال التى تتبع هذه الحالات الطبيعية ولكنها محض عملنا ، وواقعة تحت مسئوليتنا (١) .

---

(1) دراسات إسلامية ، مصدر سابق ، صـ ٤٨ .

وهكذا نتعلم من الرسول ﷺ أن الصبر عند الشدائد يأتي بتنمية الإرادة وتدريبها وتكرار هذا التدريب في كثير من المواقف حتى يُصبح عادة للإنسان وصفة من صفاته ، ولن يتحقق ذلك إلا بتربية الإرادة .

كما تعلمنا من الرسول ﷺ كيف نعبر عن مشاعرنا وكيف ننفس عن مشاعرنا وخاصة السلبية منها ، مثل الحزن ، فالتعبير عنها وتنفيسها فيه راحة للنفس ، وتنمية للإرادة وقد وصفه الرسول ﷺ بأنه خير ، خير للإنسان ، وخير للمجتمع الذي يحيط به ، ولكن يجب أن يُصاحب هذا التنفيس التحكم في أقوالنا المصاحبة لهذه المواقف المحزنة حتى لا نفعل ما يُغضب الله أو نتلفظ بما لا يُرضيه وأي تربية للإرادة بعد ذلك ، وإن الشريعة الباهرة وضحت لنا مسئولياتنا وحدود سلوكنا في مثل هذه المواقف بما يؤدي إلى تنمية الإرادة .

٤- تنمية الإرادة بتحويل اتجاه بعض الغرائز أو وقف سيرها :

وإليك مثالا آخر من هذه الطبائع المستعصية علينا في تنفيسها ، والخاضعة لإرادتنا في توابعها ولواحقها ، تلك هي غريزة التشوف والتطلع ، التي أودعها الله في فطرة الإنسان لحكمة بالغة ، فهي التي تحفزه إلى طلب ما به قوام حياته المادية والمعنوية ، فليس من الصواب مكافحتها ، بل ليس في الطاقة إقتلاعها ، فإن الطبع غلاب كل غالب ، ولكننا على الرغم من ذلك نستطيع معالجتها بطريقين : إما بتحويل إتجاهها ، وإما بوقف آثارها(١).

(١) دراسات إسلامية ، مصدر سابق ، صـ ٤٨ – ٥٠ .

ومعنى تحويل الإتجاه أن نستبدل بالهدف الأول الذى إتجهت إليه رغبتنا بادىء ذى بدىء ، هدفا آخر يلهينا عنه ، ويعوضنا عنه، بحيث يكون مثلنا فى معالجة أنفسنا مثل مؤدب الطفل حين يراه شديد الشغف بلعبة خطيرة ، فالسياسة الرشيدة فى هذا الحال لا تعمد إلى كبت إرادة الطفل كبتا كليا ، بل تقدم له لعبة أخرى تشبهها أو تفْضُلُها ، غير أنها تكون عديمة الخطر ، وكلما كان الاستبدال لما هو أنفس قيمة ، وأجزل نفعا دل ذلك على حصافة عقل المربى وكمال رشده (١) .

وهكذا علمنا القرآن الكريم كيف يكون موقفنا أمام الحاح رغباتنا الجامحة، فطورا يأذن لنا أن نُشبع رغباتنا بأسلوب آخر ، نستبدل فيه الحرام بالحلال ، والخبيث بالطيب ، وطورا يوجهها نحو معالى الأمور وأسماها شأنا وأرفعها قدرا ، وهذه هى رتبة الصفوة الخاصة . ولكنه لا يأمرنا بترك التشهى والتمنى إطلاقا ، لكنه يرسم لنا أهداف هذا التمنى ، فلنستمع له حين يقول " ولا تتمنوا ما فضل الله به بعضكم على بعض" ثم يقول : ﴿ **وَاسْأَلُوا اللهَ مِنْ فَضْلِهِ** ﴾(٢) .

وهذا نفسه هو الأدب الذى أدب الله به نبيه فأحسن تأديبه إذ قال :﴿ **وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَى مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِنْهُمْ زَهْرَةَ الحَيَاةِ الدُّنْيَا لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ وَرِزْقُ رَبِّكَ خَيْرٌ وَأَبْقَى** ﴾ (٣) .

---

(1) نفس المصدر السابق .
(2) سورة النساء ، آية (٣٢) .
(3) سورة طه : آية ١٣١ .

وما أجمل الوصية الذهبية التى يقول فيها الرسول ﷺ صلتان من كانتا فيه كتبه الله شاكرا وصابرا ، ومن لم تكونا فيه لم يكتبه الله شاكرا ولا صابرًا ، من نظر فى دينه إلى من هو فوقه فاقتدى به ، ونظر فى دنياه إلى من دونه فحمد الله على ما فضله به عليه فكتبه الله شاكرا صابرا ، ومن نظر فى دينه إلى من هو دونه ونظر فى دنياه إلى من هو فوقه ، فأسف على ما فاته منها، لم يكتبه الله لا شاكرا ولا صابرا ، هذه هى سياسة تحويل الإتجاه ، أما سياسة وقف السير فإنها تنبع من ظروف خاصة كأنها استثناء من القاعدة ، وحتى هذه الحالات الخاصة ليس المطلوب منا أن نُسْكِتَ صوت رغباتنا ، وأن نحملها قسرا على الجمود ، فإنه أرحم بنا من أن يكلفنا مالا طاقة لنا به .

إنما العلاج هو أن ندع جهاز الغريزة يدور حول نفسه ولا نقدم له المادة التى يطلبها ، وتلك هى السياسة التى مارستها شريعة الصوم فطاما لنا عن المشتهيات إطلاقا فى أوقات معلومة ، تلك هى سياسة قمع الهوى التى يقول فيها الكتاب المجيد ﴿وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الهَوَى * فَإِنَّ الجَنَّةَ هِيَ المَأْوَى﴾(١).

وهكذا نرى أن الله سبحانه وتعالى لا يطلب منا أن نكبت غرائزنا ونغير من تكوينها ، ولكنه يعلمنا كيف نوجهها ، ونضبط سلطانها ، وتنظيم آثارها العملية

(١) سورة النازعات آية (٤٢) .

حتى لا نُصبح عبدا لغرائزنا ، وضعافا أمام مشتهياتها ورغباتها ، بدلا من ذلك علمنا كيف نغير إتجاهها ونحوله إلى مسار آخر ان استطعنا ، أو نوقف سيرها فى الظروف التى تتطلب ذلك .

٥- تنمية الإرادة بالإيحاء :

كثيرا ما ينصح رجال التربية باستخدام الإيحاء عامة والإيحاء الذاتى خاصة فى تربية الإرادة ، ويعرفه بعضهم "بأنه فكرة أو تنبيه عقلى ينادى المشاعر أكثر مما ينادى العقول" (١) .

ويُعَرِّفون الإيحاء الذاتى بأنه " هو إيحاء نوجهه إلى أنفسنا ، ويشترطون لتأثير الإيحاء فى أى ميدان من الميادين بوجود رغبة فى عمل ما قبل الإيحاء (٢) ، كما يجب أن تكون الرغبات والعادات الشعورية مهيأة لقبول تلك الأفكار الموحى بها ، كذلك يجب ألا تتعارض تلك الإيحاءات الجديدة مع الإيحاءات الأخرى العميقة ، التى ثبت الإقتناع بها قبل الإيحاء الجديد (٣) والشرط الأخير الهام لتأثير الإيحاء هو الإيمان فإن هذا الإيحاء يمكن به تحقيق الرغبات عمليا (٤) .

وأهم خطوات الإيحاء الذاتى للرياضة الإرادية يمكن تلخيصها فى الخطوات التالية :-

---

(1) سلسلة كتب علم النفس العلمى – القاهرة .
(2) كيف تمارس الإيحاء الذاتى ، صـ ١٧ .
(3) نفس المصدر ، صـ ١٩ .
(4) نفس المصدر ، صـ ٣٠ .

١- يجب أن تتخيل بعقلك ما تريد عمله أو ما تريد أن تكونه ، وأن تُعَبِّر عنه بصفة إيجابية مبسطة فى ورقة تعبيرا دقيقا ، ثم عليك بالتأمل فى ذلك التعبير ليرسخ فى ذهنك تماما .

٢- يجب أن نفكر بعناية كاملة فى أسباب عدم إمكانية تحقيق ما تريد تحقيقه حتى هذه اللحظة ، وما هى المشاعر التى تَحُول دون السير فى طرق تحقيق رغبتك (١) .

٣- إستشعر فى نفسك أنك قوى وأنك تستطيع أن تعمل ما تريد عمله ، وكرر ذلك التعبير المحدد الذى عبرت فيه عن رغبتك بعد الإستيقاظ من النوم لمدة عشر دقائق ، وأعمل ذلك أيضًا قبل النوم مساءا ثم ضع نفسك فى تخيلك موضع ذلك الشخص القوى الذى يُنَفِّذ إرادته دائما ، حتى يزول من نفسك الشعور بالضعف (٢) .

أما تنمية الإرادة بالإيحاء كما جاءت فى التربية الإسلامية فإنها تشبه الوسائل الإيحائية لدى علماء النفس ، غير أن نظرة الإسلام تختلف من حيث المصادر التى يستوحى الإنسان منها القوة، أو المصادر التى يجب أن يستوحى منها الإنسان الشعور بقوة الإرادة ، فإن علماء النفس إذا كانوا ينصحون بصفة عامة بالإيحاء الذاتى فإن الإسلام ينصح بهذا الإيحاء على أساس إستمداده من القوى الروحية مثل الاستعانة بالله وبقوته ، ولهذا قال الرسول ﷺ لابن عباس عندما كان صغيرا **"يا غلام إنى معلمك كلمات: إحفظ الله تجده تجاهك وإذا سألت فأسأل الله وإذا استعنت فاستعن بالله وأعلم أن الأمة لو اجتمعوا على أن ينفعوك لن**

---

(1) كيف تمارس الإيحاء ، صـ ٦١ .
(2) نفس المصدر ، صـ ٦٣ وما بعدها .

ينفعوك إلا بشىء قد كتبه الله لك ، ولو اجتمعوا على أن يضروك لن يضروك إلا بشىء قد كتبه الله عليك (١) .

ومن مصادر الإيحاء الذاتى بالقوة الإعتزاز بالإيمان بالله ، يقول تعالى ﴿ مَنْ كَانَ يُرِيدُ العِزَّةَ فَلِلهِ العِزَّةُ جَمِيعًا إِلَيْهِ يَصْعَدُ الكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ وَالَّذِينَ يَمْكُرُونَ السَّيِّئَاتِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَكْرُ أُولَئِكَ هُوَ يَبُورُ ﴾(٢) وإن من حق المؤمن أن يعتز بإيمانه بالله وبإتباعه الطريق السوى ، طريق الهدى والعلاج وهو طريق الإسلام ﴿ وَلِلهِ العِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَكِنَّ المُنَافِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴾(٣) .

ولهذا أمر الإسلام أن يكون المؤمن قويا لأن المؤمن القوى أحب إلى الله وخير من المؤمن الضعيف ، فقال الرسول ﷺ :"**المؤمن القوى خير وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف**" (٤) ولهذا كان الرسول ﷺ يستعيذ من الضعف والعجز ، أو الشعور بالضعف والعجز ، وكان يقول "**اللهم أعوذ بك من العجز والكسل والجبن والبخل**" (٥).

وإذا كان من أسباب ضعف الإرادة القلق والاضطراب ، فإن الإيمان والإتصال بالله القوى العزيز إنقاذ للإرادة من هذا الإضطراب والإنهيار أمام المشكلات ، ولهذا شبه الرسولُ المؤمنَ بالنبتة التى تنحنى أمام الرياح الشديدة ولا تنكسر ، وإذا ذهبت الرياح استقامت ، وكذلك إرادة المؤمن لا تنكسر ولا تنهار أمام المشكلات كما تنكسر إرادة الفاسقين والفجار أمام الفتن وتنهار أمام المشكلات (٦) .

---

(1) مسند الإمام أحمد ٢٩٣/١ .
(2) سورة فاطر ١٠ .
(3) سورة المنافقون ٨ .
(4) الإمام أبى الحسن مسلم بن الحجاج ، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقى دار إحياء الكتب العربية .
(5) الجامع الصغير للإمام السويطى ، ملتزم الطبع عبد الحميد حنفى ، القاهرة .
(6) التربية الأخلاقية الإسلامية ، مصدر سابق .

وحيث أن القلق والاضطراب هما من أسباب ضعف الإرادة وهما من أهم الأسباب الواقية للإنحراف ، وكذلك فإن المنحرف فى مسيس الحاجة للتخلص من الإضطراب والقلق ، وضعف الإرادة وما أحوجه عندئذ للإيمان والاتصال بالله القوى العزيز القادر لإنقاذ إرادته وبالتالى من مشاكله أو إنحرافاته .

٦- تنمية الإرادة بالزهد فى متع الدنيا :

إن الزهد فى متع الدنيا والتقليل من العادات الضارة فى المأكل والمشرب والملبس مثل الإفراط ، والشره ، والطمع ، والحرص على جمع المال ، يجعل الإرادة الإنسانية تخضع لصوت العلم والعقل والأخلاق لا الغرائز والدوافع الفطرية ، وهذا يقتضى تدريبها أولا بإخضاعها لهذه الأمور ، ثم تربيتها بالسير فى ضوء الحكمة والأخلاق ، لأن الإرادة إذا أصبحت حرة بدون قيد أو شرط قد تستقيم وقد تنحرف ، ولا ضمان للإستقامة المستمرة ما لم تتدرب على التقيد بالقيود العقلية والعلمية والأخلاقية.

ومن ألوان تنمية الإرادة التى قررها الإسلام فى هذا الميدان الصوم عن الأكل والشرب والجنس كل سنة فى شهر معين وفى ساعات معينة شريطة ألا يكون صوما وصالا لأنه ضار بالصحة ، ولهذا منع الرسول ﷺ الصوم بالوصال ، ونهى الذين عزموا على ذلك ، فقال الرسول ﷺ لعبد الله ابن عمرو بن العاص **"يا عبد الله ألم أُخبرك أنك تصوم النهار وتقوم الليل فقلت بلى يا رسول الله ، قال فلا تفعل صم وأفطر ، وقم ونم ، فإن لجسدك عليك حقا وإن لزوجتك عليك حقا وأن بحسبك أن تصوم كل شهر ثلاثة أيام فإن لك بكل حسنة عشر أمثالها"** (١) .

(١) فتح البارى الشرح البخارى ، كتاب الصوم ١٢١/٥ .

وقد اهتم المتصوفون كثيرا بتنمية الإرادة بالزهد ، لأنها خطوة أساسية لكل متصوف ، ويقول "د . محمد كمال جعفر" معبرا عن رأيهم "يُعتبر الزهد فى متع الحياة الذاهبة وترك الرفاهية خطوة أساسية فى كل تصوف " ثم يُعَرِّف قول الجنيد ما أخذنا التصوف بالقيل والقال لكن بالجوع وترك الدنيا وقطع المألوفات والمستحسنات (١) .

ومن هذا اللون أيضًا الإلتزام ببعض المبادىء الأخلاقية مثل محاولة التغلب على السلوك الفطرى ، كالتغلب على الغضبُ وكظمه ودفع الإساءة بالإحسان للتغلب على روح الإنتقام أو الثأر الذى هو سلوك فطرى فى الإنسان (٢) .

فإن لم يُدَرِّب الإنسان إرادته على مغالبة تلك الدوافع البيلوجية والسيكولوجية سيكون مغلوبا على أمره ، ولا يمكن أن يكون صاحب خلق ، لأن كثيرا من مبادىء الأخلاق لا تتكون إلا عن ذلك الطريق ، أى بمخالفة الدوافع الطبيعية (٣) .

٧- تنمية الإرادة بالتأمل والتفكر :

إن الإرادة تقوى بالتأمل والتفكر ، وذلك عن طريق إعمال الفكر بالإرادة مدة فى كل ساعة أو فى كل يوم فى موضوعات معينة ، لأن التفكير والتأمل المركز على ذلك النحو يقوى الإرادة من ناحيتين :-

(1) التصوف طريقة وتجربة د . محمد كمال جعفر ، صـ ١٠١ .
(2) هداية البارى ال ترتيب أحاديث البخارى ١٠٧/٢ وصحيح مسلم ١٤/٤ كتاب البر والآداب .
(3) التربية الأخلاقية ، مصدر سابق صـ ٦٣٣ .

١- العمل العقلى كالعمل العضوى فيما يتفق فيه من بذل الجهد وتوجيهه إلى موضوعات معينة بإرادة ، فكلاهما رياضة بالنسبة للإرادة ، ولهذا نجد بعض علماء النفس ينصحون بذلك لتقوية الإرادة (١) .

٢- إن الإرادة تقوى إزاء عمل أو أعمال يرى الإنسان وضوح الحق فيها وزوال الشك منها لأن الحقيقة كلما كانت واضحة يقينية كانت أكثر جاذبية للإرادة إليها ، ودافعة إلى العمل بموجبها ، وتوجيه التفكير والتأمل إلى الموضوعات وسيلة لجلاء الحقائق فيها، ولإدراك ما يترتب عليها من خير أو شر ، وخاصة إذا كان التفكير والتأمل الإراديين بالمنطق والمنهج العلمى الموضوعى ولذلك نجد (بنى حاجى) يقرر دور التفكير المنطلق فى تقوية الإرادة قائلا : (فإذا ما كلل الإرادة منطق وطيد استطاعت أن تبسط مملكتها فى كل مكان وتصل بصولجانها إلى أمد بعيد) (٢) .

ولهذا نجد الإسلام يدعو باستمرار إلى التأمل والتفكر فى الموضوعات المختلفة ، وفى المناظر والمدهشة فى الكون ، وفى المبادىء التى جاء بها ، فيقول تعالى مثلا "﴿ **قُلْ إِنَّمَا أَعِظُكُمْ بِوَاحِدَةٍ أَنْ تَقُومُوا لله مَثْنَى وَفُرَادَى ثُمَّ تَتَفَكَّرُوا مَا بِصَاحِبِكُمْ مِنْ جِنَّةٍ** ﴾ (٣) .

---

(1) بنى حاجى ، الفلسفة العلمية للحياة ، ترجمة / على نور مكتبة النهضة المصرية ، ١٩٥١ ، صـ ١٨٢ .
(2) الفلسفة العلمية للحياة : المصدر السابق ، صـ ١٤٧ .
(3) سورة سبأ : ٤٦ .

ويبين الله أن من يتفكر فى دلائل الله وآياته يهتدى إلى الحق فقال:﴿ إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآيَاتٍ لِأُولِي الأَلْبَابِ * الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَى جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَاطِلًا سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ ﴾(١).

وقال أيضًا :﴿ إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَالْفُلْكِ الَّتِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِمَا يَنْفَعُ النَّاسَ وَمَا أَنْزَلَ اللهُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ مَاءٍ فَأَحْيَا بِهِ الأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِنْ كُلِّ دَابَّةٍ وَتَصْرِيفِ الرِّيَاحِ وَالسَّحَابِ الْمُسَخَّرِ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴾(٢) وغير ذلك من الآيات الكثيرة التى تدعو إلى التفكر والتأمل فى شتى الأمور وتبين أن من يتفكر فى ذلك تفكيرا سليما يهتد إلى الحقائق لا محالة ، ثم إن الإسلام أمر المؤمن ألا يبدأ بعمل ولا يسلك مسلكا إلا بعد دراسته وإحاطته ، علما لأن العلم بشيء يقوى عزمه عليه ولهذا قال تعالى: ﴿ وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ ﴾ (٣) .

والأخصائي الاجتماعى الذى يُطبق العلاج الإسلامى فى علاج المشكلين والمنحرفين عن طريق الإرادة كأسلوب هام من أساليب التنمية النفسية يعرف جيدا أن هذه الفئة من الناس أحاطت بهم الضغوط البيئية القاسية ، والتى ترتب عليها الكثير من الضغوط الداخلية النفسية المؤله ، التى جعلتهم يندفعون وراء أهواء

---

(1) سورة آل عمران : ١٩٠ - ١٩١ .
(2) سورة البقرة ١٦٤ .
(3) سورة الإسراء : ٣٦ .

الشيطان وأهوائهم وميولهم الشخصية فينحرفون ويرتكبون شتى أنواع السلوك المنحرف ، مما يجعلهم فى مسيس الحاجة إلى من يقف بجانبهم ويساعدهم ويحررهم من تلك الضغوط المؤلمة ، سواء كانت بيئية أو نفسية ، وهنا يظهر دور الأخصائى الاجتماعى الذى يحاول تقوية إرادتهم وتربيتها عن طريق مساعدتهم أولا على التحكم فى مشاعرهم وخاصة السلبية ، ويستبدلها بكظم الغيظ والحد من الغضب ، لأن الغيظ يؤدى إلى الحقد والكراهية مما يدفع بهم إلى العدوان والانتقام بارتكاب شتى ألوان السلوك المنحرف ، كما أن الغضب يجعل النفس فى حالة ضيق وقلق ، ويُصبح الإنسان متوترا ثائرًا لا يستريح إلا بعد أن يُفْرِغ هذه الشحنة من المشاعر السلبية فى انحرافاته المختلفة ، التى قد تنتهى به إلى الإدمان القاتل.

ثم يحاول الأخصائى الإجتماعى مساعدة المنحرفين بإفراغ هذه الشحنات الانفعالية بصورة إيجابية ، بدلا من إفراغها بصورتها السلبية ويعلمهم أولا كيف يواجهون الشيطان ووساوسه عن طريق "الوصفة النبوية الشريفة وهى الاستعاذة بالله من الشيطان الرجيم" ، ثم بعد ذلك يُتيح لهم الفرص التى تسمح لهم بالحركة والنشاط الذى يُغير من وضعهم الذى كانوا فيه عند ثورة الغضب ، ثم يطلب منهم الوضوء لأن الماء يُطفىء نار الغضب وثورته ، كما قال ﷺ ، ثم يُخطط لهم بعض البرامج والأنشطة المختلفة التى تمتص هذه المشاعر ، وتنفس تلك الإنفعالات ، مثل بعض الأنشطة الرياضية ، كالمصارعة ، والملاكمة، لإمتصاص طاقات العدوان وإفراغها ، ثم يُتيح لهم فرص التعبير عنها لفظيا ، وعندئذ يُنّفسُون عن وجدانهم فتخف ضغوطهم النفسية وترتاح نفوسهم ، وتخف توتراتهم، مهتدين فى ذلك بما

فعل الرسول ﷺ عندما توفى ولده إبراهيم فقد أدمعت عيناه وأحس بمشاعر الحزن والألم على فراقه ، ولكنه تحكم فى هذه المشاعر السلبية وأفرغ تلك المشاعر بتعبيرات لفظية تُعبر عن هذه المشاعر ، وفى نفس الوقت علمنا كيف نتحكم فيها ونغير من نتائجها بما يعود على النفس بالراحة والطمأنينة دون انحراف ودون أى معصية لله .

ثم يلجأ الأخصائى الإجتماعى لتنمية إرادة المُشْكِل أو المنحرف بالأسلوب الثانى وهو الحب ، وذلك عندما يُنَشِّطُ إرادتهم بالعلم الذى يمنحها القدرة على العمل، فيعلمهم كيف يتحاب الناس ، وكيف يتساوون جميعا فى الحقوق والواجبات ، جاعلا من نفسه القدوة الحسنة والمثال الطيب الذى يتعلمون منه ويقلدونه ، فهو يُحبهم جميعا كما خلقهم الله لا كما يجب أن يكونوا ، فكلهم عنده سواسية ، لا يُفَرِّق بين أحد منهم ، ولا يتأثر بأى فوارق بينهم ، ويتقبلهم جميعا بغض النظر عن عيوبهم ، وبالرغم من إنحرافهم وإعوجاج سلوكهم إلا أنه يحترمهم ويحبهم ، وإن إحترامه لهم ومحبته لهم لم تتأثر بالرغم من كل ذلك ، وهو فى كل هذا لا ينتظر منهم جزاءًا أو شكورًا ، وفى نفس الوقت يُظهر لهم عدم رضاه على هذا السلوك المنحرف ، ولكن بصورة طيبة لا تؤذى مشاعرهم ولا تجرح أحاسيسهم .

وليس معنى ذلك أنه يجب ألا يكره ولا ينفعل ، لا فهو كبقية البشر يُحب ويكره ، يسعد ويشقى ، يرضى ويغضب ، ولكن بالصورة التى يتحكم فيها فى مشاعره وإنفعالاته ، لأن التربية الإسلامية علمته كيف يتحكم فى تلك المشاعر وليس معنى ذلك أنه يكبت المشاعر الإنسانية ويمنعها ، ولكن يتحكم فيها ، ويُعبر

عنها بالإنفعالات والكلمات التى لا تؤذى أحد ولا تُغْضِب الله ، وفى نفس الوقت لديه القدرة على استغلال النتائج وتطويعها لصالح العلاج ، فهو يستغل نتائج الحب فى اكتساب ثقة ومحبه هؤلاء المُشْكلين والمنحرفين ، ويُساعدهم على التخلص من مشاعر الكراهية ، ويُعلمهم كيف يفرغونها فى اتجاهات أخرى حتى لا تنعكس على المجتمع فى صورة سلوك منحرف ، وهكذا يُدرب إرادتهم ويقويها عن طريق ممارسة الحب ونبذ الكراهية والبغض ، وتعميم هذا الحب وتوسيع رقعته حتى يَعُمَّ كل الناس ، وينتشر فى أنحاء المجتمع ، وبذلك ينجح فى تقوية إنحرافهم وتعديل سلوكهم ، وعلاج مشكلاتهم بعد أن أحبهم وأحبوه ، وأحترمهم وأحترموه ، وتعاونوا معه فى الوقاية والعلاج .

وعندما يظهر الأخصائى الإجتماعى بهذه الصورة أمام هؤلاء المنحرفين سيتعلمون منه الحب ويتأثرون بإرادته القوية ، فتقوى إرادتهم ، ويُصبحون قادرون على التحكم فى مشاعر البغض والكراهية حتى لا تنصرف بارتكاب السلوك المنحرف ، بل يعرفون كيف يوجهونها الوجهة التى تعود عليهم بالفائدة ، وهذا ما يسمى بتغيير الإتجاه ، وهو الأسلوب الثالث من أساليب تربية الإرادة ، أما بعض الغرائز التى لا يمكن إشباعها عن طريق تحويل الإتجاه ولا يمكن التحكم فيها ، فإن الأخصائى الاجتماعى يساعدهم على وقف سيرها ويمعنها عن طريق تربية النفس ومجاهدتها بألوان العبادات المختلفة مثل الصوم والصلاه والزكاة .

وهكذا يُعلمهم الأخصائى الإجتماعى أن الله سبحانه وتعالى لم يجعل لنا سبيلا على غرائزنا من ناحية تكوينها وانبعاثاتها الطبيعية ، ولكن جعل لنا سلطانا عليها وضبطها وتوجيهها وتنظيم آثارها العملية .

كما يمكن للأخصائى تقوية الإرادة وتربيتها عن طريق الإيحاء الذى يُستَمدَ من القوة الروحية مثل الإستعانة بالله وبقوته ، والإيمان به ، والإعتزاز بقدرته وقوته، بإتباعه الطريق السوى ، وطريق الهدى والصلاح ، وهو طريق الإسلام ، وكثيرا ما ينجح الإيحاء فى المواقف التى لا تصلح فيها التصريح والتوجيه المباشر، وعندما يحاول الأخصائى تطبيق الإيحاء فى تقوية إرادة المنحرفين، فإنه يُساعدهم على أن يُفكروا بدقة وعناية فى العقبات والأسباب التى تمنع تحقيق ما يريدون ، وما هى المشاعر التى تحُول دون السير فى خطوات العلاج المناسبة ، ثم يساعد كلاً منهم على أن يستشعر فى نفسه القوة والقدرة على ممارسة تلك الأساليب العلاجية التى يقترحها عليه الأخصائى الاجتماعى ، وبذلك يتم تقويم الإنحراف وتعديل السلوك وعلاج المشكلات النفسية والاجتماعية .

أما أسلوب الترك والمنع والزهد فيما ترغبه النفس وتهواه ، فهو أسلوب آخر من أساليب تنمية الإرادة وتقويتها ، لأن المنحرف لو كان قادرا من البداية على منع نفسه من تحقيق أهوائها ، لما سار فى طريق الإنحراف ولما اتجه إلى الانحرافات السلوكية التى قام بارتكابها .

ولذلك فإن الأخصائى يقف بجانبه يُشجعه ويوجهه ، ويساعده ويعنيه مستعينا بالحب والمودة والثقة فى مساعدتهم على رياضة النفس ومجاهدتها ، عن

طريق كفها ومنعها عما تُحبه وتشتهيه ، ويُدربه على ذلك بالصبر والتدريب لكى يُصبح قادرا على الإستغناء عن كثير من ملذاته ، متحكما فى كثير من غرائزه وشهواته ، ويستعين الأخصائى الإجتماعى فى ذلك بممارسة العبادات المختلفة مثل : الصوم ، والزكاة ، والصلاة ، فالصلاة تمنع الفحشاء والمنكر ، وتُساعد على كف الغرائز ومنع الشهوات ، والزكاه تساعد على كف النفس ومنعها عن الشره فى الأكل والشرب والجنس ، وعندما تقوى الإرادة ويتم تنميتها يستطيع الأخصائى الإجتماعى تعديل السلوك وعلاج الإنحراف بل وتدعيم الشخصية .

وعندما تقوى الإرادة تنضج الشخصية وتنمو ، ونمو الشخصية ونُضجها هو هدف العلاج الإسلامى ، حيث أن الشخصية الناضجة قادرة على مقاومة الإنحراف والإبتعاد عن السلوك المنحرف ، وتُصبح شخصية متوافقة تلتزم بآداب التربية الإسلامية.

هناك أسلوب آخر لتقوية الإرادة وتربيتها وهو التأمل والتفكر فى الموضوعات المختلفة ، لأنها وسيلة لجلاء الحقائق وإدراك ما يترتب عليها من خير وشر ، لأن الحقيقة كلما كانت واضحة يقينية ، كانت أكثر جاذبية للإرادة ، ودافعة إلى العمل بموجبها ، ولهذا دعا الإسلام إلى استمرار التأمل والتفكر فى دلائل الله وآياته فهى التى تهدى إلى الحق وتوجه إلى طريق الهدى والخير ، والأخصائى الإجتماعى يساعد المنحرفين على تحقيق ذلك من خلال المناسبات والرحلات والمشاهدات المختلفة التى يُوضح لهم فيها قدرة الله وعظمته ، التى توحى لهم بالخير وإتباع طريق الهداية ، فتقوى الإرادة وينجح العلاج الإسلامى فى تنمية النفس البشرية ، حتى تُصبح قادرة على مجاهدة النفس ومنعها من الانحراف .

وبهذا الأسلوب الإسلامى فى تنمية الإرادة يستطيع الأخصائى الاجتماعى مساعدة المُشْكِلين والمنحرفين ، وتنمية شخصياتهم ، وتربية نفوسهم ، بما يُساعد على تقويم إنحرافهم وتعديل سلوكهم ، ويصبحون قادرون على أداء أدوارهم الإجتماعية فى المجتمع كأفراد أسوياء ، بعد أن عرفوا على الطريق المستقيم الذى وجهتهم إليه التربية الإسلامية .

ب- التنمية النفسية بتنمية الضمير

ب- التنمية النفسية بتنمية الضمير

الضمير هو صوت ينبعث من أعماق الصدور، آمرًا بالخير أو ناهيا عن الشر وإن لم يَرج مثوبة، أو يخشى عقوبة.

والإمام الغزالى يرى أن الإنسان ليس مسئول عن مراقبة ضميره إذ هو لا يعرفه، إنما يُسأل عن مراقبة ربه وخشيته فى السر والعلانية، فليس هناك جارحة باطنة تدرك الخير والشر، وإن لم تتعرض لهما الشرائع، وإنما هناك ربا يعلم خائنة الأعين وما تُخفى الصدور، والمرء عن خشيته مسئول(١).

أما ابن مسكوية فحين يتكلم فى كتابه تهذيب الأخلاق عن النفس وقواها يذكر أن من بين هذه القوى قوة باطنة عاقلة، هى قبس النور، قذف بها الخالق إلى النفس البشرية ليكون لها هاديا ومرشدا.

وخلاصة ما يُمكن استخلاصه من تعريفات الضمير هى الرأى المختار الذى يأخذ من كل الآراء المتقدمة بطرف، ويطرح منها ما كان مثارًا للنقد والاعتراض، وذلك هو القول بأن الضمير قوة فطرية فى كل إنسان .. وإن كان للتربية العقلية والأدبية دخلا فى نموها وتحقيق كمالها، ولعل هذا ما أراده الإمام الغزالى عندما سماه أولا (نورا إلاهيًا) مما يمكن تفسيره بأنه قوة فطرية.

---

(١) د / زكى مبارك، الأخلاق عند الغزالى، المكتبة الرحمانية بمصر، مصدر سابق، صـ ١٤٨.

وثانيًا : معرفة ما يبيح لنا القول بأنه قابل كذلك للتأثير فى نموه ، وكمال حقيقته بعوامل التربية (١) .

إن التربية القرآنية إهتمت بتربية الضمير ، وتهذيب الشعور الأخلاقى ، ومن أمثلة هذه التربية قوله فى التنفير من الغيبة ﴿ وَلَا تَجَسَّسُوا وَلَا يَغْتَبْ بَعْضُكُمْ بَعْضًا أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَنْ يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ ﴾(٢) وبذلك صور هذه الجريمة فى أبشع صورة تتقزز منها النفوس ، وفى النهى عن الكبر والعجب والخيلاء ﴿ وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا إِنَّكَ لَنْ تَخْرِقَ الْأَرْضَ وَلَنْ تَبْلُغَ الْجِبَالَ طُولًا ﴾ (٣) .

ومن تحذير فى التسرع فى الحكم على الآخرين قوله تعالى ﴿ فَتَبَيَّنُوا أَنْ تُصِيبُوا قَوْمًا بِجَهَالَةٍ فَتُصْبِحُوا عَلَى مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ ﴾(٤) .

فانظروا كيف حذرنا مقدما من عمل ما قد يترتب عليه تأنيب الضمير ووخزه .

ثم أنظر كيف نفّرنا القرآن من جريمة الزنا ﴿ وَلَا تَقْرَبُوا الزِّنَا إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَسَاءَ سَبِيلًا ﴾ (٥) .

---

(1) العقيدة و الأخلاق ، مصدر سابق صـ ٢٢٥ .
(2) سورة الحجرات : ١٢ .
(3) سورة الإسراء٣٧ .
(4) سورة الحجرات ٦ .
(5) سورة الإسراء ٣٢ .

وفى الحث على غض البصر وطهارة الذيل﴿ قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ذَلِكَ أَزْكَى لَهُمْ ﴾ (١) هـذه قطرات من بحر، ففى القرآن الكريم أكثر من ألف موضوع يدعو إلى الفضيلة لما فيها من طهر وسمو وينهى فيها عن الرذيلة لما فيها من فحش وسقوط، بغض النظر عن كل اعتبار آخر غير الإعتبار الأخلاقى.

هذا هو تقدير الأعمال بقيمتها الذاتية، وذلك كله إيقاظا لضمائرنا، وإنارة السبيل أمام أحكامنا الأدبية، حتى إذا قمنا بأى عمل بعد ذلك أستطعنا أن نحكم عليه وعلى أنفسنا (٢) فإذا جاء طبق هذه الخطوات المرسومة المستقيمة، محققا لهذه المثل العليا، شعرنا بالرضا والطمأنينة، وقرت أعيننا بهذا التوفيق ﴿ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاعِمَةٌ* لِسَعْيِهَا رَاضِيَةٌ ﴾(٣) وإن جاء منحرفا عن هذا الطريق المستقيم نازلا من هذه الدرجة الرفيعة، شعرنا بالندم، وقاسينا الوخز الداخلى، والتأنيب القلبى﴿ فَأَثَابَكُمْ غَمًّا بِغَمٍّ ﴾(٤) ﴿ لَا أُقْسِمُ بِيَوْمِ الْقِيَامَةِ * وَلَا أُقْسِمُ بِالنَّفْسِ اللَّوَّامَةِ ﴾ (٥).

---

(1) سورة النور ٣٠.
(2) دراسات إسلامية، مرجع سابق صـ٧٣.
(3) سورة الغاشية: ٨-٩.
(4) سورة آل عمران: ١٥٣.
(5) سورة القيامة: ١-٢.

وفى التحريض على مجازاة السيئة بالحسنة ﴿ وَلَا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ ﴾ (١) .

فى كل هذه الأمثلة رأينا القرآن يُزَوِّدْ محكمة الضمير بالمصابيح التى تُبْرِزُ أمامها كل عمل من أعمالنا ، ويُصوِّر ما فى طبيعته من حسن وجمال ، أو تشويه ودمامة ، أو خير وشر ، ثم رأيناه يعرض علينا هذه المحكمة فى تحضير قضاياها وفى إصدار أحكامها (٢) .

وبذلك يُصبح الضمير رقيبا وحسيبا على كل أفعالنا بعد أن رباه القرآن أحسن تربية وكونه الإسلام أحسن تكوين ، مستخدما فى ذلك التنمية الخلقية التى تجعل فى تربية الضمير أسلوبا علاجيا فعلا من أساليب التنمية النفسية ، وعندما تهتم التربية الإسلامية بالنفس البشرية ، فإنها تهدف إلى تعديل السلوك وتقويم الإنحراف ، وعندما يتم تنمية الضمير ينعكس ذلك على تنمية الإرادة ، ويُصبح الإنسان ذا إرادة قوية وضمير حى والإرادة القوية والضمير الحى هما سبيل الصحة النفسية ، وهما السبيل للوقاية من الإنحراف وعلاجه .

والأخصائى الاجتماعى الذى يستخدم العلاج الإسلامى فى علاج الإنحراف يعرف جيدا أن القانون الأخلاقى قد طُبِعَ فى النفس الإنسانية منذ نشأتها وما سواها ﴿ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا ﴾ (٣) غير أن هذا القانون الأخلاقى المطبوع فينا ناقص وغير كاف وذلك لأن هناك مؤثرات كثيرة قد تكون بيئية أو وراثية ، أو

(١) سورة فصلت : ٣٤ .
(٢) دراسات إسلامية ، مصدر سابق ، صـ ٧٤ .
(٣) سورة الشمس : آية ٤ .

مصالح مباشرة أو عادة من العادات المؤثرة ، وكلها تلقى أنواعا من الظلال على نور البصيرة الفطرى ، كما أن الضمير فى بعض الأحيان قد يتأثر بدرجة كبيرة بتلك المؤثرات المختلفة ، عندئذ يقوم الأخصائى الإجتماعى بمحاولة إيقاظ تلك الضمائر، وإزالة الغشاوة عن النور الفطرى الذى أودعه الله فى الناس جميعاً ، وبذلك يظهر النور الفطرى وينتشر ، ويملأ جوانب النفس ، وهما ينتهز الأخصائى الإجتماعى تلك الفرصة الطيبة ليدعمها بتعالم الدين الإسلامى ، ويقويها بوحى النور الإلهى "نور على نور" وعندئذ تصفوا النفس البشرية وتُصبح قادرة على التمييز بين أنواع السلوك المختلفة فُتميز بين الشر والخير والنافع والضار ، مثل تمييزها بين الجميل والقبيح ، كما تميز بين الفعل الحسن والفعل القبيح الذى يثير فيها مشاعر جديدة مختلفة تجعلها تمتدح بعض أنواع السلوك وتستهجن البعض الآخر ، وتبتعد عن رفقاء السوء ، وتقترب من رفقاء الإيمان ، وهنا نجد الدرع الواقى من كل المشكلات ، والحماية الإلهية من جميع انحرافات .

وهكذا يستطيع الأخصائى الاجتماعى تقويم المنحرفين وتعديل سلوكهم بعد أن أيقظ الضمير النائم ، وأنار البصيرة المظلمة وأصبح للإرادة قوة وفعالية تحفزها للعمل ، والأخصائى الاجتماعى يستعين فى ذلك بشتى أساليب العلاج الإسلامى السابق ذكرها لتحقيق هذا الهدف ، وليس معنى ذلك أن الأخصائى يسعى إلى الأخلاق المثالية ويطلب الوصول إلى الكمال حيث أن الكمال لله وحده ، ولكنه يسعى إلى الأخلاق الحقيقية التى تضع الضمير الإنسانى فى وضع متوسط بين (المثالى) و (الواقعى) وتجعله يدمج بينهما ، وهذا الدمج يؤدى إلى تغيير مزدوج فى

كليهما بحيث يخفف من علياء المثالية ، ويرتفع بشأن الواقعية ، ليُصْبِحَ ضمير الإنسان متفاعلا مع الواقع بما يساعد على تحقيق وظائفه الإجتماعية ، وعندئذ يعيش الإنسان متفاعلا مع الواقع بما يساعد على تحقيق وظائفه الإجتماعية وعندئذ يعيش الإنسان مستريح النفس ، قوى الإرادة متزن الضمير .

والأخصائى الاجتماعى الذى يطبق العلاج الإسلامى عن طريق التنمية النفسية يسترشد بالتربية القرآنية فى تنمية الضمير ، وتدريب الإرادة وتقويتها وذلك عن طريق العبادات المختلفة ، مثل تنمية الإرادة بالصوم والصلاة والزكاة ... إلخ من بقية العبادات .

فمثلا تنمية الإرادة بالصوم الذى يمكن التعبير عنه بهذه الكلمات (أذق نفسك ألم الجوع والعطش بامتناعك عن الشراب والطعام خلال ساعات محدودة) إنه أولا وقبل كل شئ نوع من التدريب المفروض على الإرادة الإنسانية حتى نحصل منها على قدر من الانتظام والثبات فى خضوعها للإرادة ولما كانت إرادتنا سيدة نفسها ، من حيث سيطرتها على البدن ، فهى نائبة الرئيس إن صح هذا التعبير أمام الخالق ، فإن مهمتها أن توفق بين هذين الأمرين بإتباع قدر أحدهما للآخر وخيرها يكمن فى التزامها بدور الوسيط الذى يعرف قدر نفسه ، وشرها فى أن تقلب هذا النظام الأصلى ، فتتردى إلى أسفل وتكون مسترقة للشهوات ، ومتدفقة فى الانحرافات .

وهكذا تلتقى نائبة الرئيس (أى الإرادة) بعمل أحد الأمرين متعارضين ، فى كل يوم مرتين : أحدهما بأن تكف ، والآخر بأن تعمل ، فإذا ما حرصت إرادتنا على القيام بتنفيذ هذين الأمرين فى مجالها الخاص ، ومن أن تعيد نفس التدريب خلال الشهر؟ فياله من ترويض لتلك الإرادة " (١) .

أما إيقاظ الضمير وتنميته فيستطيع الأخصائى الإجتماعى تحقيقه بتعليم المنحرفين الصلاة وتعويدهم عليها ووجوده معهم باستمرار أثناءها وخاصة بالمسجد، ثم يقوم بتوضيح أهدافها وفوائدها ، حتى يتوجهوا إلى الله بفكر خالص ، أليس فى توجه الإنسان المؤمن إلى الله بفكر خالص راحة كبرى لنفسه ؟ ويتم ذلك بلغة خاصة ومناجاه مخلصة ، تنير الفكر وتوقظ ذلك الضمير إلى راحة النفس ، ثم يرجع البدن الذى تتجسد فيه الفكرة كإطار لتلك الفكرة وهو فى الوقت نفسه غذاء لها فيتعلم الإنسان أنه لا يصل إلى مكان المناجاة الخاصة إلا بعد اتخاذ عدة إجراءات شبيهة بما يتخذه المرء قبل زيارة شخصية رفيعة ، فإننا بذلك نؤكد تأكيدا مضاعفا شعورنا بالاحترام لهذا الاستقبال .

وعندما يتعلم المنحرف الصلاة ويُخلص فى أدائها سيستيقظ ضميره وتقوى إرادته ، وينجح الأخصائى الإجتماعى فى تقويم انحرافه وتعديل سلوكه وعلاج مشكلاته .

لقد أهتم العلاج الإسلامى بالتنمية النفسية لما لها من تأثير بالغ على نفوس البشر ، ولقد قدمت الشريعة الإسلامية الكثير من الأساليب والوسائل العلاجية والوقائية فى آن واحد حتى تُحقق التربية الإسلامية أهدافها .

---

(١) الدستور الاخلاقى . مصدر سابق صـ٦٣٨ .

لقد وضع الله نظاماً للوقاية والعلاج من الانحرافات الإنسانية التى تصيب الإنسان بصفته فرداً قائماً بذاته أو باعتباره عضواً فى المجتمع .

فقد وضع فى كل إنسان عقلاً يفكر به تكون مهمته التميز بين الطيب والخبيث ، والإسلام يطلب من كل منا أن يُحَكِّم عقله ويراجع نفسه فى التكاليف والأوامر والنواهى وتكاد لا تخلو سورة بل صفحة من القرآن إلا ويطلب فيها القرآن بتحكيم العقل ، أو يلومنا على عدم تحكيمه ، ويصفنا بالعمى والصمم ، ويشبهنا بالدواب لعدم تحكيم العقل ، ولاسيما بعد ذكر الآيات والبراهين العقلية الدالة على الحق ، وتعبيرات الكتاب الكريم تنطق بأن وظيفة العقل هى هداية الإنسان إلى الإيمان بالله عن طريق التفكير فى آياته سبحانه ، والانتفاع بكل ما وهبه الله للإنسان من قوى فى تجسيم هذا الإيمان ، وتحويله من مجرد تصديق نفسى إلى صورة حيه ناطقة ، أى أعمال طيبة تعود عليه وعلى المجتمع الذى يعيش فيه بالخير " (١).

ومن يتقصى أثر الإيمان فى النفس البشرية يتعجب لما يراه من صنع هذا الإيمان ، فالإيمان يُظهر ويُنمى معانى الخير فيها ، ويُعالج ما يعتريها من علل أو يدعم بها من تغيير .. والإيمان ذخيرة حية نابضة لا تنفذ ، فهى تمد الإنسان بالقوة والصبر والطمأنينة والأمل فى معركة الحياة المليئة بالحركة والصراع بين الخير والشر ، وبين الحق والباطل ، والإيمان نور وضياء إذا ابتعدت النفس عنه أو أبتعد عن النفس عاشت فى ظلام وانقطع عنها المدد الذى يمدها بالأمن والأمان فتشل فيها قوى الخير وبالتالى تنعدم فيها عناصر الاستقرار ، فتكون النفس فريسة سهلة

---

(١) السلوك الاجتماعى بين علم النفس والدين ، مصدر سابق صـ٢٠١ .

للقلق والاضطراب ، وقد يمزقه اليأس وتتحكم فيه ردود الأفعال (١) فإن أصابه خير أطمأن به ، وإن أصابته فتنه أنقلب على وجهه - قال الله تعالى ﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَعْبُدُ اللهَ عَلَى حَرْفٍ فَإِنْ أَصَابَهُ خَيْرٌ اطْمَأَنَّ بِهِ وَإِنْ أَصَابَتْهُ فِتْنَةٌ انْقَلَبَ عَلَى وَجْهِهِ خَسِرَ الدُّنْيَا وَالآخِرَةَ ذَلِكَ هُوَ الْخُسْرَانُ الْمُبِينُ ﴾ (٢) .

ومن يحيا فى رحاب الإيمان يعيش حياته فى طمأنينة واضحة ، فُيدرك سنة الله فى خلقه ، وقضاء الله وقدرته ، فتطمئن بذلك نفسه لأنه يوقن أن ما أصابه لم يكن ليخطئه ، وما أخطأه لم يكن ليصيبه فلا يتسرب إلى نفسه الشك أو القلق بل يسير فى دنياه سعيدا مطمئنا .

ومن ذلك يتضح لنا أن الإيمان فيه الوقاية والعلاج للنفس البشرية ، فهو الذى يُطهرها ويُزكيها ويبعث فيها الأمن والطمأنينة، والراحة والهناء ، والنور والضياء ، فيجعلها آمنة مطمئنه ، راضية مرضية تعيش فى سعادة وهناء .

---

(1) نفس المصدر صـ ١٩٠ .
(2) سورة الحج : ١١ .

ج - التنمية النفسية برياضة النفس ومجاهدتها :

١- مجاهدة النفس بتفريغ الطاقة .

٢- مجاهدة النفس بشحن الفراغ .

٣- مجاهدة النفس بالتوبة .

٤- مجاهدة النفس بالرياضة النفسية.

ج- التنمية النفسية برياضة النفس ومجاهدتها

إن رياضة النفس ومجاهدتها هى محاولة للسيطرة عليها والتحكيم فيها بفطمها عن العادات المألوفة والشهوات المرذولة ، واللذات المحرمة ، وتدريبها على مخالفة ما تهواه فى كل وقت وحين ، فإذا انهمكت النفس فى الشهوات وجب إحكام لجامها بالتقوى والخوف من الله ، وإذا توقفت عن القيام بالطاعات ساق الإنسان نفسه بسياج الخوف ، فخالف هواها ومنع عنها حظوظها"(١).

ورياضة النفس تستلزم المجاهدة والمراقبة والمحاسبة ، لأن الإنسان عندما يعلم أن الله يراقبه ويطلع على سره وجهره ، وهو أقرب إليه من حبل الوريد ، عندئذ يحاسب نفسه ويضبط جنوحها ، ويلتزم طريق الحق ، فيعتدل السلوك ويُقَوِّم الانحراف .

والنفس إذا تركت بدون تهذيب وتربية وتأديب ، وانحرفت عن الاستقامة وسارت فى طريق الغواية ، واندفعت إلى النقائص ، وابتعدت عن السواء ، واغترت بشيطانها ، تزاحمت عليها الخواطر المذمومة ، واستبد بها الكبرياء والتعاظم ، وغلبها الرياء والنفاق ، فتدور فى فلك الأهواء ، وتتقاذفها أعاصير القلق ، وبذلك تجنح سفينة النفس فى بحر متلاطم أمواجه ، لا شاطئ له ، فلا تُنْتشل من ضياعها إلا برحمة الله .

هذه الحالة السيئة للنفس البشرية وما يترتب عليها من شحنات المشاعر السلبية التى ظهرت فى صورة القلق والاضطراب، والرعب والفزع ، والحقد والحسد والعدوان وغيرها من الأعراض التى يعانيها المنحرفون وتجعلهم فى مسيس الحاجة إلى العون والعلاج ، وعندئذ يتقدم الأخصائى بتطبيق مراحل الرياضة النفسية كما يلى :-

---

(١) السلوك الاجتماعية بين علم النفس والدين ، مصدر سابق صـ ١٩١ .

مراحل الرياضية النفسية

أ- تفريغ الطاقة النفسية :

ومن وسائل الإسلام في تربية الإنسان وفي علاجه تفريغ الشحنات المجتمعة في نفسه وجسمه أولا بأول ، وعدم اختزانها إلا حينما تتجمع للإنطلاق ، وبذلك يقى النفس من كثير من أنواع الانحراف المعروفة في علم النفس ، فلا تنشأ فيها تلك العقد المدمرة ، والاضطرابات التي تبدد طاقتها ، ويعالجها كذلك بنفس الطريقة إذا حدث – لسبب من أسباب – أن أصيبت بذلك الانحراف، ولا شئ يُعالج النفس أكثر من اطلاق شحنتها في عمل إيجابي يُحقق كيان الإنسان ويُحقق إحساسه بذاته ، ويُفرغ كذلك الإفرازات المختزنه التي تسبب المرض والاضطراب (١) .

هذه العملية هي التي يسميها علم النفس بالإفراغ الوجداني أو التنفيس الوجداني لتلك المشاعر والأحاسيس التي تُمثل ضغوطا داخلية على نفس الإنسان وتجعله يعاني من التوتر والقلق ، ذلك التوتر الذي يدفعه إلى الإدمان أو ارتكاب السلوك المنحرفة كأسلوب من أساليب تفريغ الطاقة ولكن بطريقة سلبية ، فإذا كان القلب ممتلئا بالباطل اعتقادا ومحبة ، لم يبق فيه للإعتقاد بالحق ومحبته موضعا ، كما أن اللسان إذا اشتغل بالتكلم بما لا ينفع لن يتمكن صاحبه من النطق بما ينفع ، إلا إذا فرغ لسانه من النطق بالباطل ، وكذلك الجوارح إذا اشتغلت بغير الطاعة لا يمكن شغلها بالطاعة إلا إذا فرغها من ضدها ، فكذلك القلب المشغول بمحبه غير الله وإرادته والشوق إليه والأنس به لا يمكن شغله بمحبة الله وإرادته

(١) محمد قطب ، مصدر سابق ، صـ ٢٥١ .

وحبه والشوق إلى لقائه إلا بتفريغه من ذكر غيره وخدمته ، فإذا امتلأ القلب بالمخلوق والعلوم التى لا تنفع لم يبق فيها موضع للشغل بالله ومعرفة أسمائه وصفاته وأحكامه ، وسر ذلك أن إصغاء القلب كإصغاء الأذن ، فإذا أصغى لغير حديث الله لم يبق فيه ميل إلى محبته ، فإذا نطق القلب بغير ذكره لم يبق فيه محل للنطق بذكر اللسان (١) .

وهكذا نرى أن تحلية النفس بالإيجابيات مشروط بتخليتها من السلبيات والأضداد دائما متنافرة ، فلا يستوى الحسن مع القبيح ، ولا الطيب مع الخبيث ولا الخوف مع الأمن ، ولا الحب مع الكراهية ، ولا الحسد مع تمنى الخير للآخرين .

ولذلك يحرص الإسلام عى إفراغ النفس من سلبياتها وتحليتها بأضدادها وبذلك يملأ فراغ النفس بما يُدعمها ويُطهرها ويُنقيها ، فيتبدل ، الخوف أمنا والكراهية حبا ، وتتبدل النفس الأمارة بنفس لوامة تتقبل كل تعديل ، وتسعى لكل تغيير يعود عليها بالنجاح والفلاح ، وعندئذ تبدأ النفس فى الرياضة والمجاهدة .

والعلاج الإسلامى يُفْرِغ هذه الطاقة ويُطلق شحنتها بطريقة إيجابية يحقق فيها الإنسان كيانه ، ويُحس بذاته ... ، ومن أمثلة ما يلجأ إليه الإسلام من تفريغ طاقة الكره – وهى طاقة فطرية طبيعية – فى كره الشيطان وإتباع الشيطان ، والشر الذى ينشئه الشيطان وأتباعه على وجه الأرض ، وبهذه الطريقة لا يتحول الكره إلى طاقة سامة مبعثرة لنشاط الإنسان ومسممة لكيانه ، وفى نفس الوقت يتحقق بها كيان إيجابى للفرد ، حين يعمل فى واقع الأرض لمقاومة الشر ، ويتدرب كيانه

---

(١) ابن قيم الجوزية . الفوائد . دار النفائس ، بيروت ، الطبعة الثانية ، ١٩٨١ ، صـ٤٣ .

وينضج بهذه المقاومة والجهاد ، وفوق ذلك يتحقق هدف إنسانى أعلى ، بتنظيف المجتمع من الفساد والشر ، وتتحقق الغاية من خلق الإنسان وتكريمه وتفضيله واستخلافه فى الأرض .

والأخصائى الاجتماعى يحاول اتباع نفس الأسلوب ، مع المنحرفين ، فهم غالبا ما يعانون من مشاعر الكراهية لأنفسهم وللمجتمع ، فتدفع بهم تلك المشاعر إلى الإنتقام من المجتمع بارتكاب أساليب السلوك المنحرف التى يسعى الأخصائى الاجتماعى إلى علاجها . ولذلك يعمل على تفريغ تلك الطاقة وتخلية النفس من مشاعر الكراهية بتوجيهها للشيطان تارة ، ولأعداء الإسلام تارة أخرى ، ولكل منهم سلوك منحرف أو صفات مذمومة ، أو أخلاق سيئة ، وبذلك يتحررون من ضغوطها، ويستريحون من توتراتها ، ويستبدلونها بألوان أخرى من المشاعر الإيجابية التى تُدَعِّم نفوسهم فلا تنحرف ولا يصيبها الاضطراب .

وكما أن العلاج الإسلامى اهتم بتفريغ الطاقات والمشاعر السلبية مثل الكراهية ، فقد أهتم أيضا بتفريغ الطاقات والمشاعر الإيجابية مثل حب الله والكون والناس والأحياء والخير بوجه عام ، لأن هذه المشاعر والطاقات إذا لم تفرغ أولاً بأول فسيكون لها آثار سلبية وعواقب سيئة لأنها ستتحول إلى طاقة سامة مدمرة لكيان الإنسان ، وذلك عندما يحولها إلى نفسه أو إلى عشق الذات وعبادتها أو إلى طعام وشراب وجنس ولذائذ ، أو يُحولها إلى حب الفاسد من الناس ، أو إلى أشياء وأفكار تتنافى مع قيم المجتمع .

ولكن الإسلام عندما يهتم بإفراغها أولا بأول فإنه يريد أن يضمن إفراغها في منصرفها الصحيح ، فتتحول إلى ثمرة جنية في داخل النفس وفي واقع الحياة ، تنصرف في سبيل الخير ، وتُعطي الإنسان كيانا إيجابيا فاعلا وتُحقق غاية الله من خلق الناس .

وعلى هذا النحو ذاته يفرغ الإسلام الطاقة الحيوية في الجهاد والزرع والإنتاج والتعمير... تفريغا بنائيا إنشائيا ، يهدم الباطل ويزيل ما يخلفه من أنقاض ، ويبني في مكانه الحق والعدل، ويُعالج بذلك بناء النفس فلا تنحرف ولا يصيبها الإضطراب (١) ولا يؤثر فيها رفقاء السوء ، ولا يصيبها أي انحراف .

والأخصائي الاجتماعي الذي يستخدم العلاج الإسلامي لعلاج المشكلين والمنحرفين فإنه يسير على نفس المنهج ، ويهتدي بتربية الإسلام ، ويعمل على إفراغ الطاقة ، والتنفيس عن المشاعر السلبية منها والإيجابية ، حتى لا تسبب ضغوطا نفسية وتوترات واضطرابات تدفع الفرد إلى إفراغها في ألوان السلوك المنحرف الذي يتهيأ له ، وكما أفرغ طاقة الكراهية وما شابهها من طاقات سلبية ، فإنه يفرغ الطاقة الإيجابية أيضا ، فمثلا طاقة الحب التي أفرغها الفرد في حب المال وحب اللذات المختلفة وفي حب الجنس وأصدقاء السوء ، فإن الأخصائي الاجتماعي يساعده على إفراغ تلك الطاقات الإيجابية وتحويلها إلى مسارات إيجابية تعود عليه بالخير والنفع ، وتعود على المجتمع بالنماء والبناء ، وفي سبيل ذلك يُهيئ لهم العديد من البرامج والأنشطة المختلفة التي يُفرغون فيها تلك

(١) محمد قطب ، مصدر سابق ، صـ٢٠٣ .

الطاقات ، ويكتسبون منها العلم أو حب هواية مفيدة ، أو حب عمل يتكسبون منه ، وبدلا من حبه لنوعيات فاسدة من الناس يُعلمه كيف يحب النوعيات الطيبة من الناس بل يجعله يحب كل الناس ، فعن طريق ارتباطه بالمسجد يحب الله ويحب التقرب إليه ، وعبادته ، ويُحب المؤمنين الصالحين الذين يلتقى بهم دائما فى مختلف الصلوات ، كما يُكَوِّن جماعات من القرناء داخل المؤسسة من نوعيات مختارة يجد بينهم الصداقات المخلصة ، فيحبهم ويحبونه ، ويأخذ مكانته المناسبة بينهم ، فيشعر باحترامه لنفسه ويُحقق كيانه ويُحس بذاته ، ويُشبع حاجته إلى الإنتماء والحب .

إن الطريق الحق لعلاج النفس من أمراضها إنما يكمن فى تخلية النفس (إفراغ الطاقة) من نزعاتها الشهوانية وأهوائها النفسية وأوصافها المذمومة وتحليتها بالأوصاف المحمودة ، وبذلك يمكن شحن فراغ النفس بعد تخليتها بمفاهيم إيجابية جديد ، ومبادئ سامية قويمة ، حتى تتغير حال النفس وتتطبع بالمثل العليا، والأخلاق الفاضلة ، وتسلك طريقا أكثر أمنا وأعظم أملا .

ولن يتحقق ذلك إلا بالتربية السليمة ، والتنشئة على محبة الفضائل والتمسك بمكارم الأخلاق ، والتبصر بطريق الله وبالصبر على المكارة وتحمل المفاجئات ، والزهد فيما عند الناس ، والصبر على الإبتلاءات ، والرضا بالاختبارات وبهذا الطريق ، وحده تتفوق النفس على أنانيتها ، وتقوى على شيطانها ، فلا تنزع إلى الأهواء ، ولا تميل إلى الشهوات (١) .

---

(١) د. حسن الشرقاوى " نحو علم نفس إسلامى " مصدر سابق ، صـ ١٠ .

ولكى تتم المرحلة الأولى من رياضة النفس ومجاهدتها وهى تخلية النفس من عاداتها المذمومة ، فلا بد من الإعتراف بالذنوب والعيوب وإخراج هذه العيوب إلى النور كما قال موسى لربه بعد قتل المصرى خطأ ﴿ قَالَ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي فَاغْفِرْ لِي ﴾ (١) ، وكما نادى يونس ربه فى الظلمات﴿ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ ﴾ (٢) .

وهكذا يكون الاعتراف بالذنوب ، وهكذا تتم التوبة الصادقة كما يعلمنا القرآن .

ولذلك عندما يلجأ الأخصائى الإجتماعى إلى استخدام العلاج الإسلامى فى تقويم إنحراف الأحداث ، فإنه يبدأ بتحلية النفس من عاداتها المذمومة ومن طاقاتها ومشاعرها الضاغطة مثل الحقد والكراهية والخوف والحسد والعدوان كما يطلق طاقتها ومشاعرها الإيجابية مثل الحب والأمن والإنتماء ... إلخ .

ولكى يتمكن الأخصائى الاجتماعى من عملية إفراغ الطاقة وتخلية النفس فلا بد أن يعتمد على علاقة قوية مبنية على المحبة الخالصة التى تُعتبر من أهم مبادئ الخدمة الإجتماعية الإسلامية ، وعندما يتبادلان الحب ستظهر الثقة الكاملة بينهما ، وسيتعاملان معا على أساس الإحترام المتبادل والثقة والمحبة وعندئذ يسهل على الأخصائى الإجتماعى مساعدة العميل على الإعتراف بكل ذنوبه وعيوبه وإظهارها إلى النور ، والتعبير عنها بحرية كاملة وبذلك يسهل التغيير ويتم

(1) سورة القصص : ١٦ .
(2) سورة الأنبياء : ٨٧ .

التبديل ويُصبح الأخصائى الإجتماعى قادرا على تطبيق باقى أساليب العلاج الإسلامى التالية .

ب- شحن الفراغ النفسى :

كما يُفرغ الإسلام طاقة الجسم والنفس كلما تجمعت ، ولا يختزنها دون ضرورة ، فإنه فى الوقت ذاته يكره الفراغ فهو مُفسد للنفس ومفسد للطاقة المختزنة بلا ضرورة ، وأول مفاسد الفراغ هو تبديد الطاقة الحيوية لملء الفراغ ، ثم التعود على العادات الضارة التى يقوم بها الإنسان لملء الفراغ (١) . والإسلام حريص على تحلية النفس بالأوصاف المحمودة كالمحبة والشفقة والرحمة والتسامح والإيثار ، والإخلاص والصدق فى مجاهدة النفس.

وكما اهتم العلاج الإسلامى بملء الفراغ الذاتى للإنسان ، فقد اهتم أيضا بملئ الفراغ البيئى لأن كلا منهما يكمل الآخر ، ولذلك أوضح لنا بعض أساليب ملئ الفراغ عن طريق العبادة وذكر الله ، فى غفوة الظهيرة وفى الهاجرة ، والسمر البرئ مع الأهل والأصحاب ، وزيارة الأقارب والمعارف والأصدقاء والدعابة اللطيفة النظيفة ... إلى آخر من أنواع الترويح .

ولكن المهم ألا يوجد فى حياة الإنسان فراغ لا يشغله شئ ، أو فراغ يُشْغِلُه الشر والفساد والتفاهة ، وحين ألغى الإسلام عادات الجاهلية وأعيادها ومواسمها وطرائق حياتها ، لم يترك فراغا يتحير المسلمون فى ملئه أو يملأونه دون شعور منهم بما لا يُفيد ، بل جعل لهم فى الحال عادات أخرى وأعياد ومواسم وطرائق حياة تملأ

(١) محمد قطب ، مصدر سابق ، صـ ٢٥٢ .

الفراغ ، كانوا يجتمعون على موائد الخمر والميسر ، أو لعبادة الأوثان ، أو لسماع الشعر الضال الذى لا يُعبر عن هدف إنسانى ، فجمعهم إلى توجيهات ﷺ ويتزاورون لمثل ذلك ، وكانوا يعيثون فى أعيادهم فسادا فألغاها وجعل بدلا منها أعيادا كريمة نظيفة زاخرة بالمعانى الطيبة والأهداف الرفيعة ، وهكذا لم يُعد فى نفوس المؤمنين ولا فى بيئتهم فراغ .

وتلك الوسيلة من أنجح الوسائل فى تربية النفس ، خاصة حين تُمنع النفس – لتقويمها – من شتى رغائبها ، فالوسيلة الصحيحة لملء فراغ هذه الرغبة هى إيجاد نشاط جديد لهذه الرغبة ذاتها ، أو لرغبة سواها ، فالنفس من الداخل كلها وثيقة الاتصال(١).

وتحلية النفس بالتقوى ومخالفة الله ومحاسبتها وضبط جوانبها وإلزامها بطريق الحق وحفظها عن الآفات والنقائص بعد تخليتها من عيوبها ليست بالعملية السهلة على الأخصائى الإجتماعى الذى يُطبق العلاج الإسلامى فى تقويم الإنحراف ، إنها عملية متصلة بعيوبهم وذنوبهم وسلوكهم الإنحرافى ، والتى غالبا ما تكون مخجلة ومؤلمة ، كثيرا ما قابلها المجتمع بالعقاب أو التأنيب والتوبيخ ، ولذلك يُظْهِر المنحرف كثيرا من ألوان المقاومة لعلمية التخلى والتحلية وعندئذ يبذل الاخصائى الإجتماعى مزيدا من الجهد لكى ينجح فى تكوين علاقة المحبة والمودة والاحترام المتبادل ، التى تُكسبه ثقة العميل ، فينجح الأخصائى الإجتماعى فى تحطيم كل ألوان المقاومة ، ويبدأ فى عملية التغيير ، فيشعر الحدث بالأمن

(١) محمد قطب ، مصدر سابق . صـ ٢٥٣ .

والطمأنينة بدلا من الخوف والقلق ، وهنا ينتهز الأخصائى الإجتماعى الفرصة ليشحن فراغ النفس بعد تخليتها بمفاهيم إيجابية جديدة ، ومبادئ سامية قوية وعندئذ تحل التقوى والخوف من الله مكان الضلال والفساد والانحراف ، ويحل الحب مكان البغض والكراهية ، ويحل التعاون والإيجابية مكان العزلة والسلبية وتستبدل الذلة والمهانة بالعزة والكرامة ، وعندئذ تتغير حال النفس وتتطبع بالمُثُل العليا والأخلاق الفاضلة ، وتسلك طريقا أكثر أمنا وأعظم أملا وأكثر سعادة .

ج- التـــوبة :

التوبة هى الأسلوب الثالث من أساليب الرياضة النفسية بعد عملية إفراغ الطاقة وعملية ملئ الفراغ ، حيث يُصبح الإنسان فى حالة نفسية جيدة تجعله قابلا للتعديل والتغيير ، ومن هنا يبدأ العلاج الإسلامى عن طريق التوبة .

والتوبة هى ندم الإنسان على ما فات واستغفاره لذنوبه ، ثم الإستقامة على الطاعة من غير ميل إلى المعصية ومن غير عودة إلى فعل الذنب نزولا على هواه وطلبا للطاعة لمولاه ، وهى ندم بالقلب ، واستغفار باللسان ، وترك بالجوارح على عدم العودة للذنب (١) وعندئذ يُصبح ادؤها دواءً واستعمالها علاجا ، ودوامها شفاء للقلوب ، فهى أسلوب علاجى مضمون يغفر به الله ذنوب من أساء ، وهى أسلوب وقائى مضمون يمنع الإنسان من العودة إلى الذنوب ، وهى رصيد مفتوح لمن يخطئ فيستغفر الله ، فيغفر له ، لأن الله يغفر الذنوب جميعاً ولأن الله تعالى يحب

---

(1) فوزى سالم عفيفى " السلوك الاجتماعى بين علم النفس والدين " ، الكويت وكالة المطبوعات ، ١٩٧٧ ، صـ ٢٠٥ .

التوابين يحب التوابين ويحب المتطهرين ، وقد ورد فى الحديث الشريف " **التائب حبيب الرحمن والتائب من الذنب كمن لا ذنب له** " والنبى ﷺ كان يستغفر فى اليوم والليلة سبعين مرة ، وجاء فى معنى الحديث الشريف " **من لزم الاستغفار يجعل الله له من كل هم فرجا ومن كل ضيق مخرجا ويرزقه من حيث لا يحتسب** ".

وهكذا نرى أن العلاج الإسلامى للأفراد بدأ بتخلية النفس وإفراغها من عيوبها وذنوبها ، ثم تحليتها وملأ فراغها ثم لجأ إلى الأسلوب الثالث وهو التوبة حتى تنقطع عن بالماضى المظلم ، ويحل محله نور حاضر مضئ ، أشرقت فيه شمس الكرامة الإنسانية ، وانتشرت فيه المحبة الربانية ، واتجه الإنسان إلى التقوى وامتلأ قلبه بنور الإيمان .

والأخصائى الإجتماعى الذى يطبق العلاج الإسلامى فى تقويم السلوك المنحرف ينتهز فرصة اعتراف المنحرف بذنوبه أثناء عملية التخلية والإفراغ ، يليها من عمليات شحن الفراغ وتحلية النفس بمفاهيم جديدة ومبادئ سامية ، فيقف بجانبه يُشجعه تارة أخرى حتى يُصبح فى أحسن حالاته النفسية ، وعندئذ يُشجعه على التوبة وقطع الصلة بالماضى والندم على ما فات بما فيه من انحرافات ، والبعد عن المخالفات ، فتنشغل نفسه باللوم عند اقتراب السيئات ، حتى يصير اللوم عادة النفس وملازماً لها ، كلما اقترب من المخالفات أو أقترف السيئات ، وهنا تصل نفسه إلى منزلة رفيعة ، ومقام عظيم ، بفضل الله وتوفيقه ، وعندئذ تُسمى بالنفس اللوامة .

والنفس اللوامة تحمى صاحبها وتمنعه من الإنحراف ، ومن ذلك نرى أن التوبة هى الباب المفتوح لكافة الناس أجمعين ، وقد ورد ما معناها : لو لم تذنبوا وتستغفروا لذهب الله بكم ولأتى بغيركم يذنبون ويستغفر الله لهم .

د – الرياضة النفسية :

الرياضة النفسية هى مجاهدة للنفس المريضة بأضدادها ، وذلك برياضة النفس الشحيحة على الإنفاق ، وإكراه النفس الشهوانية على التعفف ، ودفع النفس الأنانية إلى البذل والتضحية ، وحث النفس المختالة المزهوة على التواضع واستنهاض النفس الكسولة إلى العمل ... وبمعالجة الضد بالضد تصل النفس إلى الوسط العدل .. وهو صراط الحكمة وهو حظ الصالحين من البشر.

ولا تتم المجاهدة إلا بالمراقبة ، والمراقبة هى أن يعلم الإنسان أن ربه يطلع على سره وجهره ، وإنه لن يصل إلى تمام المراقبة إلا بعد المحاسبة ، والمحاسبة عملية ضبط لجنوح النفس والتزام لطريق الحق ، وحفظها عن الآفات والنقائص (١) .

والأخصائى الإجتماعى الذى يُطبق العلاج الإسلامى مع الإحداث المنحرفين يُساعدهم على فطام أنفسهم عن كل سلوك منحرف ، وذلك عن طريق العلاج الإسلامى الذى يُعالجهم بالأضداد كما سبق ذكره ويُعلمهم تقوى الله والخوف من عقابه ، ويقوى فى نفوسهم الإيمان الذى يجعلهم يوقنون بأن الله مُطلع على سرهم وجهرهم ، وعندئذ يعرفون طريق الحق ، ويصلون إلى درجة المحاسبة

(١) حسن محمد الشرقاوى . سابق . صـ ٢٥٢ .

وعندها يتم ضبط جنوح النفس ، ويتم علاج السلوك المنحرف ، عن طريق رياضة النفس ومجاهدتها .

وإذا استمرت هذه النفس فى مجاهدتها وداومت علـى الرياضـة النفسية ، وأصبحت نفسا لوامة من صفاتها المراقبة والمحاسبة ، وتمسكت بالقيم العليا وسارت فى طريق الخير حتى تحظى بالدرجات العليا تستحق أن تلقب بالنفس الطائعة ، الطيعة لله، فيلهمها الصالحات من الأعمال ويثبتها فى مقام النفس الملهمة .

والنفس التى تمضى فى سياحتها الروحية خالصة لله ، متوكلة عليه ..... راضية بما ترتزق به من خير وشر ، وتجاهد جهاد الأبطال ، وتعمل عمل الأبرار ، وترضى بما أعطاها الله من نعم ورحمات ، غير معترضة على ما يختبرها به من امتحانات وابتلاءات متوكلة عليه تعالى أبدا ، هذه النفس يرضى الله عنها وتستقر فى مكان السكينة ، فلا ترى غير الفضيلة مبدأ ، ولا تختار غير الخير بديلاً فأمنها مع الحق ، وأملها فى الله تعالى ، وهنا تُسمى بفضل الله النفس المطمئنة(١).
ويصدق فيها قول الحق سبحانه وتعالى :﴿ يَا أَيَّتُهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ * ارْجِعِي إِلَى رَبِّكِ رَاضِيَةً مَرْضِيَّةً * فَادْخُلِي فِي عِبَادِي * وَادْخُلِي جَنَّتِي ﴾ (٢).

---

(1) د. حسن محمد الشرقاوى ، مصدر سابق . صـ ٤٨

(2) سورة الفجر : آية ٢٧ : ٣٠ .

ولكي ينجح الأخصائي الاجتماعي الذي يطبق العلاج الإسلامي في علاج المنحرفين عن طريق الرياضة النفسية فلا بد أن يعلمهم خصالاً أربعة (١) هي :

١- معرفة الله تعالى :

ومعرفة الله لا تقتصر على القول والإقناع والاعتماد فحسب، بل الإيمان قولا وفعلا بأن لا إله إلا الله وهذا هو ذروة التوحيد .

فإذا كان الأخصائي الإجتماعي يعرف الله حق المعرفة فسيكون قدوة صالحة أمام هؤلاء المنحرفين ، وعندئذ يتقمصون صفاته ، ويتأثرون بتوجهاته ، ويُنفذون تعليماته ، ويُصبح قادر على ضبط سلوكهم وتغيير نفوسهم ، ومن يعرف الله حق المعرفة لن ينحرف سلوكه بعد ذلك ، ولن يمشى فى طريق الإثم والمعصية بعد أن وضع أقدامه على الطريق المستقيم .

٢- معرفة عدو الله إبليس :

وتصْدُق معرفة الإنسان لعدو الله وعدوه إبليس بمحاربته فى الظاهر والباطن ، ومخالفة كل خاطر شيطانى يهجم على النفس ، والتعود الدائم من وسوسة الشيطان وتهاويله وأباطيله . ﴿إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَاتَّخِذُوهُ عَدُوًّا﴾(٢). وما الإنحراف والإدمان إلا بعد أن وسوس الشيطان لهم ، وزين لهم انحرافهم ، وغرر بهم فأطاعوه ، فضلوا طريق الفلاح ، وأصبحوا فى مسيس الحاجة إلى من يُخلصهم من إنحرافهم ، ويُرجعهم عن غيهم .

---

(1) د . حسن محمد الشرقاوى . المصدر السابق . صـ ٢٥٢ ـ ٢٥٣ .
(2) سورة فاطر : ٦ .

وهنا يتدخل الأخصائى الإجتماعى الذى يُطبق العلاج الإسلامى آخذا بيدهم إلى الطريق المستقيم ، يُوضح لهم ألاعيب الشيطان ، ويُعلمهم كيف يحاربونه فى الظاهر والباطن ، وبذلك يتحررون من طاعته ويحاربونه فى الظاهر والباطن وبذلك يتحررون من طاعته ويحاربون وساوسه ، وخواطره ، بعد أن عرفوا أنه عدو الله وعدوهم ، كما يتحررون من شياطين الإنس وهم رفقاء السوء فيتجنبوهم ويبتعدون عنهم ، وبذلك ينجون من مصيدة الانحراف ، ويفلتون من الأعيب الشيطان ، بعد أن صاروا محصنين بدرع الإيمان .

٣- معرفة النفس الأمارة بالسوء :

لقد تعلمنا من القرآن الكريم أن النفس أمارة بالسوء من قوله تعالى : ﴿وَمَا أُبَرِّئُ نَفْسِي إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ﴾ (١) وكل نفس لها أمانى تود تحقيقها ، وشهوات لا تشبع منها ، وآمال الدنيا لا تنتهى، والمنحرفون قد أطاعوا نفسهم الأمارة بالسوء ولم يستطيعوا مجاهدتها ، لأنهم مازالوا ينقصهم النضج ومازالوا فى حاجة إلى التربية والتوجيه ، وعندما لم يجدوها ضلوا وانحرفوا، فمنهم من أدمن ، ومنهم من ضاع وتشرد ، وأصبحوا فى مسيس الحاجة إلى المساعدة والعلاج .

ولهذا فإن الأخصائى الإجتماعى الذى يطبق العلاج الإسلامى يحاول إعادة تربيتهم ، واستكمال توجيههم ، عن طريق التربية الإسلامية التى لم يتعلموها ولم يسمعوا عنها من قبل ، والتربية الإسلامية قادرة على إصلاح ما فسد ، وقادرة على تعليمهم كيف يجاهدون أنفسهم ، وكيف يعرفون أن النفس أمارة بالسوء ، وعندئذ

---

(١) سورة يوسف : ٥٣.

يخالفونها فى كل ما تهوى ، ويجاهدونها ، بالتقوى والخوف من الله بعد أن عوفوا الله حق المعرفة ، وعرفوا عدوا الله وعدوهم إبليس ، الذى زين لهم انحرافهم ، وعرفوا النفس وشهواتها، وعندئذ اتجهوا إلى رياضتها ومجاهدتها .

٤- معرفة العمل لله تعالى :

إن الدين الإسلامى دين يقوم على علاقة متينة بين الإنسان وربه خالق الأكوان ، وهو دين يطالبنا بالأعمال الصالحة التى يرضاها الله ، يطالبنا أن نوجه كل سلوكنا وغرائزنا وحياتنا توجيها يحقق الآداب والتشريعات الإلهية تحقيقا علميا ، ذلك أن الكائن البشرى مكون من روح وجسد ، والإسلام أقام توازنا بين الروح والجسد ، بين الواقع البشرى الإجتماعى ، والأهداف والتشريعات الإلهية المثالية ، فهو يترجم هذه الأهداف دائما إلى سلوك علمى يحقق متطلبات الطبيعة البشرية ومقتضيات الشريعة الإلهية فى وقت معا .

لذلك كان لأعمال الإنسان المكانة الأولى فى نجاته من عقاب الله يوم الحساب ... (١) وقد اهتم الإسلام بالعمل لأنه مجاهدة للنفس، وجهاد أكبر فى سبيل الله ، ﴿ وَقُلِ اعْمَلُوا فَسَيَرَى اللهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ وَسَتُرَدُّونَ إِلَى عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾ (٢) .

(1) عبد الرحمن النحلاوى مرجع سابق . صـ ٢٢٦ .
(2) سورة التوبة : ١٠٥ .

كما قال سبحانه وتعالى " ﴿ وَلِكُلٍّ دَرَجَاتٌ مِمَّا عَمِلُوا ﴾(١) ﴿ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلًا ﴾ (٢) ﴿ فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ ﴾(٣) ....

ولقد ضرب المسلمون الأوائل أروع الأمثلة للعمل والجهد تطبيقا لمبادئ الإسلام وتحقيقًا لأحكامه .

والأخصائى الاجتماعى الذى يُطبق العلاج الإسلامى فى علاج المشكلين و المنحرفين ، يُعلمهم كيف يوجهون سلوكهم وأعمالهم وغرائزهم توجيها يُحقق الآداب الإلهية فى نجاة الإنسان من عقاب الله ، حيث أن العمل الإنسانى هو عمل لخير الدنيا والآخرة ، ويحثهم على أن يعمل كل منهم لآخرته كأنه يموت غدا ، كما يعمل كل منهم لدنيا كأنه يعيش أبدا ، وعندئذ يهجرون السلوك المنحرف ، ويتوبون عن الإثم والمعصية ، ويقبلون على عمل الخير ، ويكون عملهم خالصا لله تعالى .

ولذلك يجب أن تكون الرياضة النفسية نابغة من المعرفة ... معرفة الله تعالى ، ومعرفة عدوه إبليس ، ومعرفة النفس الأمارة بالسوء ، ومعرفة العمل لله تعالى وهو الجهاد الأكبر فى سبيله .

والأخصائى الإجتماعى يحاول توصيل تلك المعارف للمشكلين والمنحرفين كمحاولة لوضع أقدامهم على بداية الطريق العملى للرياضة النفسية ، وفى تلك المحاولة يسعى إلى إكسابهم عشرة خصال – حددها بعض الأئمة يجب أن يتصف بها الإنسان الذى يريد أن يعرف طريقه إلى المجاهدة ورياضة النفس هى (٤):-

---

(1) سورة الانعام ١٣٢ .
(2) سورة الكهف : ٣٠ .
(3) سورة الزلزلة : ٧ .
(4) الإمام عبد القادر الحيلانى : الغنية ، صـ ١٢٨ .

١- لا يحلف الإنسان صادقا ، ولا كاذبا ، حتى يَعُوِّد لسانه على ذلك﴿ وَلَا تَجْعَلُوا اللهَ عُرْضَةً لِأَيْمَانِكُمْ أَنْ تَبَرُّوا وَتَتَّقُوا وَتُصْلِحُوا بَيْنَ النَّاسِ وَاللهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ (١) .

٢- أن يتجنب الكذب هزلا ، أو جدا ، حتى لا يتعود على عادات سيئة، " يقول الرسول ﷺ. **يظل الرجل يتحرى الكذب حتى يكتب عند الله كذابا** " .

٣- أن يتجنب أن يُخلف وعده إلا لسبب أو عذر فوق طاقته ، وذلك لأنه لا إيمان لمن لا أمانة له .

٤- ألا يؤذى أو يلعن أحد من الخلق ، لأن الذى يؤذى الآخرين يستمرئ ذلك فيتولد فى نفسه الحقد ، وحب الاعتداء ، والسخرية ، والاستهزاء ، وهذا باب الجنوح عن الحق والوقوع فى الضلال ﴿ لَا يَسْخَرْ قَومٌ مِنْ قَوْمٍ عَسَى أَنْ يَكُونُوا خَيْرًا مِنْهُمْ﴾(٢) .

٥- ألا يدعو أحد من الناس وإن ظلمه ، ليبقى متطهرا ، تصديقا لقوله تعالى: ﴿ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾ (٣) .

٦- أن لا يحكم على أحد بالشرك أو الكفر أو النفاق ، وذلك خوفا من الوقوع فى الإثم وعدم التعجب والنظر إلى نفسه بعين الكمال، إذ ربما يكون الآخر عند الله أفضل منه.

٧- أن يتجنب النظر إلى شئ من المعاصى ، ظاهرا أو باطنا ، فإذا داهمته الغواية ، فعليه التوجيه إلى الله وذكره تعالى ليساعده عند الشدة ولن يخذله الله تعالى ما دام فى طلبه ، وعليه أن يمسك جوارحه عن الإقدام فى المعصية ، وهذا أفضل الأعمال ثوابا .

---

(1) سورة البقرة : ٢٢٤ .
(2) سورة الحجرات : ١١ .
(3) سورة فصلت : ٣٤ .

٨- أن يتجنب ما استطاع أن يُحَمِّل الناس حاجته ، صغيرة أم كبيرة ، لأن الاعتماد على الغيرُ يَعِّود على الخمول ، والإهمال والتكاسل عن السعى ، وهذا باب التقاعس عن حقوق الله ، وعلى الإنسان أن يسد بابه .

٩- أن ينقطع نهائيا عن الطمع فى نفسه وفى الخلق ، وهذا سبيل الصدق مع الله ، إذن الطمع يولد كثرة الطلب للحظوظ ، والنفس لا تشبع من الحظوظ مهما أعطيت.

والتواضع هو أصل الطاعة كلها، وهو كمال التقوى ، فلا ينظر لأحد الناس إلا ويراه أفضل منه عند الله ، وإذا كان صغيرا يقول : هذا لم يعص الله وأنا قد عصيت فلا شك أنه خيرا منى ... وإن كان جاهلا يقول : هذا عصى الله بجهله ، وأنا أعصى الله بعلمى ، ولا أعرف بما يختم الله له وما يختم لى وإن كان كافرا قال : لا أدرى عسى أن يُسلم فيختم الله له بخير العمل ، وعسى أن أكفر فيختم الله لى بشر العمل (١) .

وإذا تمكن الأخصائى الاجتماعى الذى يُطبق العلاج الإسلامى من إكساب العملاء وخاصة المنحرفين تلك الصفات الطيبة فسينجح فى تقويم انحرافهم وتعديل سلوكهم ، ولكى ينجح فى ذلك فلابد أن يكون القدوة الحسنة أمامهم لأن ما يشعر به الأحداث ويتقمصونه من القدوة الحسنة أكثر تأثيرا وثباتا مما يسمعونه بالقول، ولابد من تدعيم القول بالفعل ، وبذلك يعينهم على رياضة النفس ومجاهدتها .

---

(١) الإمام عبد القادر الجيلانى " الغنية " صـ ١٨٩ .

ويقول الإمام عبد القادر الجيلانى (١) : كلما جاهدت نفسك وغلبتها وقتلتها بسيف المخالفة ، أحياها الله ، فإذا بها تنازعك وتطلب منك اللذات والشهوات ، كى تعود إلى المجاهدة والمسابقة ليكتب الله لك ثوابا دائما ، وهو ما يقصده " الرسول ﷺ بقوله **"رجعنا من الجهاد الأكبر"** ، لأن النفس تداوم أبدا وتستمر إلى ما شاء الله فى طلب الشهوات واللذات التى لا تشبع منها ... لذلك كانت الرياضة النفسية قمعا دائما ، وطريقا واضحا فى معالجة أمراض القلب وبابا إلى الصحة النفسية للخلاص من النقائص والآفات...(٢) .

ويبين لنا الإمام الغزالى (٣) الأسلوب الواجب اتباعه فى رياضة النفس فيقول : " إن كل مولد يولد معتدلا صحيح الفطرة ، وإنما أبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه ، ذلك لأنه عن طريق الاعتقاد والتربية والتعليم تكتسب الناس الفضائل والرذائل ، فكما أن الجسم يحتاج فى التربية إلى الغذاء لينمو ويكتمل ويقوى فكذلك النفس تُخلق ناقصة ولكنها قابلة للتكامل عن طريق التنمية .

---

(1) الإمام عبد القادر الجيلانى " فتوح الغنية " صـ ١٣٤ .
(2) د . حسن محمد الشرقاوى مصدر سابق صـ ٢٥٧ .
(3) الإمام أبو حامد الغزالى " أحياء علوم الدين "صـ ١٤٤٧ ، ١٤٤٨ ، الجزء الثانى .

التربية الإسلامية بالتنمية البدنية

العلاج الإسلامى بالتنمية البدنية

إن العلاج الإسلامى لا ينسى تنمية البدن وتقويته حتى توجه هذه الطاقات والقدرات نحو خير الإنسان وخير المجتمع ، وذلك استكمالا للتنمية العقلية التى أولتها اهتمامها كبيرا حتى تُربى الإنسان المؤمن الناضج العقل ، السليم التفكير ، ولكن هل يصح العقل إذا إعتل الجسد ؟ بالطبع لن يحدث ذلك لأن العقل السليم فى الجسم السليم .

وقد عنيت الشريعة الإسلامية بكل ما يكفل للإنسان قوة الجسم وقوة الروح ففرضت العبادات ، وفرضت التذكر والتدبر فى ملكوت السموات والأرض وفرضت النظر والاعتبار بسنن الله فى الكائنات ، وكان فى ذلك كله تصفية الروح من أخلاق الهلع والجزع واليأس ، والجبن ، والشح ، وما إلى ذلك من الأخلاق الرديئة التى تُضَيِّع عزة النفس وسعادتها ، وجمال الروح وحلاوتها، وكل ما غرس فيها من الأخلاق الفاضلة من الصبر والمثابرة ، ورباط الجأش والتعاون وقوة الإيمان ، التى تدفع الإنسان إلى عمل الخير ، والركون إلى جانب التقوى .

ولم تكن عناية الشريعة الإسلامية بما يحفظ على الإنسان قوة بدنه بأقل من عنايتها بما يحفظ عليه قوة روحه ، فقد أمرت بنظافة الجسم واعتدال المأكل والمشرب ، وطيب المسكن والهواء ، وأمرت بالعلاج عند المرض وبالوقاية دفعا للمرض (١) .

ثم لم تخْلُ الإرشادات الواردة فى أقوال الرسول ﷺ من لفت الأنظار إلى أنواع الرياضة البدنية ، وقد صح أن النبى ﷺ باشر بعض تلك الأنواع بنفسه .

ومن الأنواع التى لفت الرسول ﷺ القوة المأمور بإعدادها فى قوله تعالى : ﴿ وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ ﴾ (٢) وقوله ﷺ (**ألا إن القوة الرمى ، ألا أن القوة الرمى ، ألا أن القوة الرمى**) وكرر النبى عبارته للترغيب فى تعليم الرمى .

ثانيًا : الرياضة بالسباحة : وقد روى أيضًا أنه ﷺ قال : "**حق الولد على الوالد أن يُعلمه الكتابة والسباحة والرمى**" ، فالكتابة طريق العلم والمعرفة والسباحة طريق الصحة والعافية ، والرماية طريق القوة والنصر على الأعداء .

ثالثًا : الرياضة بالعدو (الجرى) والمصارعة : كما أوصى الرسول ﷺ بالرمى والسباحة ، فقد ورد أن النبى ﷺ كان يرى أصحابه يتسابقون على الأقدام (الجرى) ويقرهم عليه ، وقد صح عن عائشة رضى الله عنها أنها قالت :"سابقنى رسول الله ﷺ فسبقته، ثم سابقنى فسبقنى ، فقال هذه بتلك ، وَرُوِىَ أن النبى ﷺ صارع رجلا معروفا بالشدة فصرعه النبى ﷺ فقال عاودنى فى أخرى ، فصرعهُ النبى ﷺ فى الثانيه ، فقال عاودنى، فصرعه النبى ﷺ فى الثالثة : فقال الرجل : ماذا أقول

---

(1) محمود شلتوت "من توجيهات الإسلام" مكتبة الخانجى بمصر ، الطبعة الأولى ، ١٩٧٧ ، صـ ١٦٩ .

(2) سورة الأنفال : ٦٠ .

لأهلى؟ شاة أكلها الذئب ، وشاة نشزت ، فماذا أقول فى الثالثة ؟ فقال النبى ﷺ ما كنا لنجمع عليك أن نصرعك فنغرمك، خذ غنمك وانصرف .

وقال العلماء : دلت هذه الأحاديث على مشروعية المسابقة على الأرجل بين النساء والرجال المحارم ، كما دلت على أن المسابقة أو المصارعة لا تنافى الوقار والشرف والعلم والفضل وعلو السن ، فإن النبى ﷺ حينما سابق السيدة عائشة كان فوق سن الخمسين .

رابعًا : رياضة المبارزة :عن أبى هريرة أنه قال : بينما الحبشة يلعبون عند النبى ﷺ بحرابهم دخل عمر فأهوى إلى الحصباء فحصبهم بها ، فقال رسول الله ﷺ (دعهم يا عمر) وقد قال العلماء : اللعب بالحراب ، فيه تدريب الشجعان على مواقع الحروب والاستعداد للعدو.

خامسًا : الرياضة بركوب الخيل :- وقد نوه القرآن بالخيل وذكر رباطها فى إعداد القوة للجهاد ﴿ وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللهِ وَعَدُوَّكُمْ ﴾ (١) .

وصح أن النبى ﷺ سبق بين الخيل وأعطى السابق ، وأنه كان يسابق على ناقته الحصباء وكانت لا تُسبَق .

---

(١) سورة الأنفال : ٦٠ .

"وهكذا تضافرت الروايات على إقرار هذه الأنواع للرياضة البدنية : الرمى والسباحة والمسابقة على الأقدام ، والمسابقة على الخيل والإبل ، والمصارعة ، واللعب بالحراب (الشيش) ، وإذا كانت هذه هى الآثار النبوية والتعاليم الإسلامية فيما يختص بالرياضة البدنية على سبيل الاستدلال والقصد فهناك ناحية أخرى قصد من تشريعها التعبد ، وقيام العبودية بحق الربوبية فى الطاعة والخضوع ، والخشوع والمراقبة ، ومع ذلك كان فيها من صور الرياضة البدنية ما هو جدير بأن يوجه الناس نحو الرياضة البدنية ، ويلفت أنظارهم إليها ، تلك الناحية هى الصلاة والتى فيها من أوضاع الرياضة البدنية ما له أثر فى تقويم العضلات ومران المفاصل وقوتها ، وفى وضع الصلاة على هذه الهيئات ، والحث على استكمالها إيحاء قوى بما فى الرياضة البدنية من فوائد تعود على الإنسان فى جسمه وروحه بخيرها (١) .

وإذا كان وضع الرياضة البدنية فى نظر الإسلام بهذه المكانة وقد نظمت فى عهدنا الحاضر هذا التنظيم الذى نشاهده ، حتى سهل على الإنسان أن ينتفع بها وهو فى بيته ، فجدير بالإنسان أن يحرص عليها لنفسه ولأبنائه ، وأن يقوموا بها فى وقتها ، فينعموا بقوة الجسم ، وقوة الروح ، وبذلك يأخذون إلى السعادة طريقا وإلى الخير سبيلا ، فالتنمية البدنية مكملة لأساليب التنمية الأخرى .

(١) من توجيهات الإسلام ، مصدر سابق ، صـ ١٧٤ .

وعندما يحاول الأخصائى الإجتماعى تطبيق العلاج الإسلامى على المنحرفين والمشكلين ، فإنه يمارس معهم أساليب العلاج الإسلامى المتعددة ومنها التنمية البدنية .

وحيث أن العقل السليم فى الجسم السليم ، وأن سعادة الإنسان مرتبطة بقوة جسمه وروحه – لأن الحياة مليئة بالآلام والآمال فإن ضعيف الروح يقعد به الضعف الروحى عن تحمل الآلام والصبر عليها ، كما يقعد به عن الوصول إلى تحقيق الآمال، وكذلك ضعيف الجسم تخور قواه الجسمية عن مواصلة الحركة ، ويعجز عن الكفاح والمثابرة فى معركة الحياة ، التى تتطلب المزيد من القوة والصحة والعافية .

ولذلك يهتم الأخصائى الإجتماعى بالتنمية الجسمية للمشكلين والمنحرفين ويساعدهم على الإستمتاع بالرياضة البدنية لما لها من أثر عظيم فى تقوية الجسم ومناعته ، كما أن للرياضة الروحية أثر عظيم فى قوة الروح وعزيمتها .

وكما يستعين الأخصائى الإجتماعى بالخبراء والمختصين فى تنمية العقيدة الدينية والتنمية الصحية والنفسية ، فإنه يستعين أيضا بالخبراء والمختصين فى التربية الرياضية حتى يُدرب المشكلين والمنحرفين على أنواع الرياضة المختلفة بما يناسب أعمارهم وميولهم واستعدادهم – وبذلك يشغل فراغهم فى أنشطة نافعة ومفيدة يصممها لتحقق أهدافه العلاجية ، وعن طريقها يُعلم الأحداث الكثير من العادات الطيبة والإتجاهات الصالحة ، ويبث فيهم القيم المختلفة ، فمثلا يُعلمهم المحبة والمودة من خلال الألعاب الجماعية التى يقضون بها وقت فراغهم ، ويعلمهم

الأخلاق الطيبة من خلال الروح الرياضية التى يجب أن يلتزموا بها أثناء تدريبهم ولعبهم ، وبذلك يُقوى أجسامهم ، وتشتد عزيمتهم ، وتنشط إرادتهم، فيحبون بعضهم البعض ويندمجون فى التفاعل مع المجتمع ، ويُصبحون شخصيات متوافقة قادرة على أداء أدوارها ووظائفها الإجتماعية بنجاح .

وأخيرا نقول أن التربية والتنمية بأساليبها العلاجية التقليدية المستوردة من الغرب لم تُؤْتِ بالنتائج المطلوبة فى علاج المشكلات الإجتماعية وخاصة مشكلات الطفولة ، ولذلك إتجهت الخدمة الإجتماعية إلى أساليب العلاج الإسلامى ، وآمنت بأنها طريق الخلاص وسبيل النجاة لكل مشكلات المجتمع ، كما أنها تشتمل على الوقاية والعلاج لما تعانيه الإنسانية اليوم من ضياع وهوان بسبب المبالغة فى الإباحية ، والتدليل ، وانعدام الضوابط الأسرية فى معاملة الأبناء ، إما بسبب الإفراط فى الشهوات وانعدام ضوابط الغرائز ، إنعدا ما أضاع ملايين الأطفال غير الشرعيين .... وإما بسبب الإفراط فى ابتذال المرأة وجعلها تُخالط الرجال فى كل شىء، فتفقد أنوثتها ومكانتها الأولى فى تربية الأطفال ، وكانت النتيجة تفكك الأسرة وضياع الطفولة وانحرافها ، كما ضاعت الأنوثة والرجولة معا ، وأصبحت الإنسانية تعيش فى بؤس وشقاء(١) وانتشرت أنواع الإنحرافات المختلفة وعلى

([1]) أصول التربية الإسلامية د . عبد الرحمن النحلاوى ، مصدر سابق ، صـ ١١ .

رأسها الإدمان، وذلك كله يوضح حاجة المجتمع إلى التنمية والتربية الإسلامية التى تُكَوِّنْ الشخصية وتنميتها ، وتجعلها قادرة على تحمل مسئولياتها فى بناء المجتمع وإنمائه .

وكانت للتربية الغربية الحديثة نصيب لا يستهان به من المسئولية عن هذا الضياع والبؤس والشقاء ، لذلك لا يجد العاقل بُدًا من البحث عن بديل عنها .

وكما فشلت التربية الحديثة فى تربية الأجيال ، فشلت الخدمة الاجتماعية بأساليبها الغربية المستوردة فى علاج مشكلاتهم ، ولم تجد بدًا من البحث عن بديل عنها .

وقد وجدت الخدمة الاجتماعية أن العلاج الإسلامى هو البديل الوحيد ، والدواء الناجح ، والبلسم الشافى لجميع أنواع المشكلات التى يُعانى منها المجتمع ، والعلاج الإسلامى يقدم لنا منهجا تربويا متكاملا ، وأسلوبا علاجيا صالحا لعلاج المشكلات فآمنت به ، وسارت فى طريقه ، واهتدت بهديه ، واقتنعت بتأثيره وشمرت عن ساعديها ، وقامت تحاول تطبيقه ، وتلك هى المحاولة الأولى لتطبيقه فى علاج الأطفال المشكلين والمدمنين والمنحرفين .

البـاب الثالـث

أ) الدين نظام إجتماعى :

١- الوظائف الاجتماعية للدين

٢ - الدين والضبط الاجتماعى .

ب) الدين وإستدماج القيم :

١- التوجيه الدينى واستدماج القيم .

٢- أنماط القيم .

٣- مكونات القيم .

٤- إستدماج القيم عن طريق التفاعل الاجتماعى.

أولاً : الدين نظام اجتماعى :-

١- الوظائف الاجتماعية للدين .

٢- الدين والضبط الاجتماعى .

الدين نظام اجتماعى

النظم الاجتماعية :

يعرف اجبرن (Ogburn)النظم الاجتماعية (Social Instions) بأنها "الطرق التى يُنشئها المجتمع ويُنظمها لتحقيق حاجات إنسانية ضرورية "(١).
ويعرفها "جينزبرج Ginsberg" بأنها "القواعد الموضوعية والمعترف بها والتى تحكم الصلات بين أفراد الجماعة" (٢).

ويقول محمد عارف فى كتابه الجريمة فى المجتمع "أنه من الملاحظ أن الباحثين يختلفون فى تعريفهم للنظام الإجتماعى ، وتأخذ إختلافاتهم مسالك عديدة يمكن أن نحدد منها أربعة (٣) :-

١- فمن الباحثين من يرى أن النظام الاجتماعى بناء ثقافى ، يعنى مجموعة من المعايير الإجتماعية التى ترتبط بقيمة إجتماعية كبرى، وبحاجة أو أكثر من الحاجات الإنسانية ، وهذه المعايير تُنظم السلوك الإجتماعى وتُحدد مسالكه ويعززها ويساندها فى الوقت ذاته أعضاء المجتمع .

٢- ومن الباحثين من يدرك النظام الإجتماعى على أنه يتألف من أنماط التفاعل الاجتماعى ، والعلاقات الإجتماعية التى تتميز بها الجماعات والنسق الإجتماعية .

---

(1) W. Ogburn & M . Nimkoff . "A Hard book of Sociolgy " Lopdon : Routlcdge & Kegan Paul Ltd ., 1949 , P . 256 .
(2) Morrls Ginsberg . "Sociology" London" Oxford 1949 , P . 42 .
(3) H Smjth ."Toward A Glarfication of the Concept of Social Instituion , Sociology & Social
Research January 1961 , 197 .

٣- ومن الباحثين من يعرف النظم الإجتماعية تعريفا يجمع بين الإتجاهين السابقين، فالنظام الإجتماعى بناء ثقافى ونسق من العلاقات المتفاعلة معا .

٤- ومن الباحثين من يضيف – عند تعريفه للنظام – عنصرا ثالثا إلى العنصرين السابقين . فالنظام الإجتماعى يضم البناء الثقافى ونسق من العلاقات التفاعلية جنبا إلى جنب مع الرموز والأشياء المادية التى تُمَكِّنْ النظام الإجتماعى من أداء وظيفته ، فالقرآن للمسلمين ، والمنزل للأسرة ، والنقود فى النظام الإقتصادى عناصر لها أهميتها فى نظم الدين والأسرة وفى الإقتصاد .

ومن الممكن أن نحدد – بناء على هذه التعريفات – العناصر الأساسية للنظام الإجتماعى وهى : المعايير الثقافية ، البناء أو (الترابط بين الأجزاء) الإستمرار أو الاستقرار ، الوظائف المنوطة بالنظام ، الجزاءات المترتبة على مخالفة قواعد النظام والقواعد المعرفية كالأفكار والمعارف والمفتقدات والاتجاهات والتفاعل الإجتماعى المنظم والعناصر المادية (١) .

النظام الدينى :

الدين ظاهرة عملية لا يخلو منها مجتمع من المجتمعات ، وليس هناك ما يبرر القول بأن ظهور الديانات جاء متأخرا عن نشأة المجتمعات (٢) .

فإذا كان لكل ثقافة جانبها اللامادى أو المعنوى فإن الدين يشغل الجزء الأكبر من مقومات هذا الجانب فى غالبية المجتمعات الإنسانية ذلك أن لكل

---

(1) Smith, Ibid ., pp . 202 – 204 .

(2) عبد الباسط محمد حسن : علم الإجتماع ، مكتبة غريب ، القاهرة ، الطبعة الثانية ١٩٨٢ ، صـ ٤١٩.

مجتمع مهما صَغُر أو كَبُر، ومهما بسط أو تعقد تركيبه ، معتقد دينى معين ، وشعائر وطقوس دينية معينة .

والنظم الدينية موجودة فى كل المجتمعات الإنسانية لأنها تسد حاجات إجتماعية هامة ، فالدين يدفع الأفراد إلى تغليب مصلحة الجماعة على مصلحة الفرد ، كما يُساعد على تكامل شخصية الفرد وتقوية روحه المعنوية ، فيدفع عنه الخوف ، ويُحيى فيه الأمل بما يَبُثّه فُيه من قوى خارقه تتمثل فى قوة إلا له الذى يُقَدِّر على مساعدته ، وللنظم الدينية دور هام فى تكامل المجتمع عن طريق شعائره التى تؤدى وظيفة العاطفة الجماعية المشتركة ، والتى تُذكِّر الفرد وهو غارق فى حياته المادية بولائه لجماعته ولقيمها العليا (١) .

ومن الواضح أن الدين لا يقف عند حدود العبادات وإقامة الشعائر الدينية المطلوبة ، بل إن الدور الذى يلعبه فى تنشئة الأفراد يكاد يعكس آثاره على بقية المؤسسات الأخرى العاملة فى مجال الضبط الإجتماعى ولذلك يُعد الدين عنصرا أساسيا من عناصر التنشئة الإجتماعية .

وقد ظهر إتجاه جديد بين الباحثين المسلمين يدعو إلى دراسة العلاقات والظواهر والنظم والأنساق الإجتماعية من منظور إسلامى لتكون هذه الدراسات نواة لفرع أكثر تخصصا يعرف باسم "الإجتماع الإسلامى" ، ويُصبح الاختلاف الأساسى بينه وبين "علم الإجتماع الدينى" أن هذا الأخير يُعالج الظاهرة الدينية فى كافة المجتمعات وبدون التقيد بدين معين بخلاف "الإجتماع الإسلامى" الذى

---

(١) عبد الحميد لطفى : على الاجتماع ، دار النهضة العربية ، بيروت ١٩٨١ ، صـــ٧٢ .

يختص بدراسة العلاقات والظواهر والنُظُم والإتساق الإجتماعية من وجهة النظر الإسلامية البحتة (١).

الوظائف الاجتماعية للدين (٢) :

يرى كثير من المفكرين أن الدين يُحقق كثيرا من الوظائف بالنسبة للأفراد والجماعات والمجتمعات.

فالدين يساعد على تكامل شخصيات الأفراد ويزودهم بإطار من القيم والمعايير التى تُعتبر موجهات للسلوك ، كما أنه يُعَوِّض الناس عن الفشل الذى يتعرضون له فى تحقيق آمالهم وأهدافهم فى الحياة ... كما أشار " إيريك فروم" فى كتابيه عن "المجتمع السليم" و"الخوف من الحرية" إلى أن نسبة الإضطرابات النفسية والعصبية تزداد الإحساس بالفردية والغربة والضياع ، وحيث يزداد القلق والتوتر.

ويؤكد "الشيخ / محمود شلتوت" ، هذا المعنى فيما كتبه عن حاجة الإنسان إلى الدين فيقول :

"إن الناس بمقتضى سنة الله فى خلقه عرضة لكثير من المحن الكونية : من موت بعد الحياة ، ومرض بعد الصحة ، وفقر بعد الغنى ، وذل بعد العزة لأنفسهم وعشيرتهم ومواطنيهم ، والإنسان أمام هذه المحن إذا ترك وما طُبعَ عليه من تنازع الرغبات فى نفسه ، ولم يُشَدَّ أزره بإرشاد إلهى يؤمن به ، ويثق بعدله ويطمئن إليه ناء كاهله بعبء الحياة وخارت قوته ، وذاب احتماله ، وفقد استعداده ، لهذا كله

---

(1) عبد الباسط محمد حسن : مرجع سابق ، صـ ٤٢٣ .

(2) نفس المرجع : صـ ٤٣٨ - ٤٤٠ .

شد الله أزر عباده المؤمنين وأرشدهم أن يستعينوا على محنهم الكونية بالصبر والصلاة ، فبهما تُحَقَّق الرغائب ، وتُدفع النوائب" (١) .

والدين من ناحية أخرى يُحدد القواعد الأخلاقية التى تسير عليها الجماعة ويزودها بمرجع واضح ثابت من القيم التى يجب أن يتمسك بها الأفراد ، فالدعوة إلى الخير ، والأمر بالمعروف والنهى عن المنكر ، والدعوة إلى نبذ الأمور الشخصية ، والتحلل من المعانى الذاتية فى سبيل الصالح العام ، والدعوة إلى تطهر النفوس والجماعات من الأخلاق الفاسدة والتقاليد الضارة ، والدعوة إلى التعاون والتراحم والتعاطف ، والدعوة إلى الحق فى جميع صورها، كلها معان تؤكدها الديانات وتدعم بها وحدة الجماعات والمجتمعات .

ومما يؤكد أهمية القيم الدينية فى الحياة الإجتماعية الدراسة التى قام بها "ماكس فيبر" والتى ضمتها كتاب عن "الأخلاق البروتستنتية وروح الرأسمالية" ،فقد حاول "فيبر" أن يربط بين علاقات الإنتاج فى المجتمع وبين التصور الدينى للعالم وحاول أن يتلمس ما يُسميه روح الرأسمالية فى مجموعة القيم التى يتحلى بها البيوريتان الأوائل ، وقد أورد عدة أسانيد حاول أن يُدلل بها على أن العقيدة البروتسنتية كان لها أثرها الكبير فى تشكيل شخصيات أصحاب المشروعات من أفراد الطبقة الوسطى ، فالخُلق البروتستى الذى كان يتحلى به البيوريتان الأوائل كان يُدعم مجموعة من اللقيم التى كان لها أثرها فى قيام النظام الرأسمالى

(١) محمود شلتوت : من توجيهات الإسلام ، مطبوعات الإدارة العامة للثقافة الإسلامية بالأزهر ، مطبعة الأزهر ١٩٥٥ ، صـ ١٩ .

الصناعى ، وهذه القيم هى : العمل الشاق ، ضبط النفس ، والابتكار والتملك والفردية والمنافسة (١).

وعلى الرغم مما وُجِّه إلى نظرية ماكس فيبر من نقد ، فإن الذى لا شك فيه هو أن للقيم الدينية دورا كبيرا فى الحياة الإجتماعية ، فهى تُعتبر بمثابة موجهات لسلوك الأفراد ، كما أن لها تأثيرها الواضح فى العلاقات والنظم التى يتألف منها البناء الاجتماعى .

والدين بتعاليمه وأوامره ونواهيه يُعتبر من أقوى عوامل تحقيق التواؤم فى السلوك الإجتماعى ، كما أن فكرة العقاب والعذاب التى تؤلف ركنا هاما فى الدين، تلعب دورا هاما فى عمليات الضبط الإجتماعى ، وفى إقرار النظام فى المجتمع .

وإذا كان تأثير النسق الدينى أقل وضوحا فى مجال الضبط الإجتماعى من تأثير النسق السياسى الذى يستند إلى أجهزة وهيئات متخصصة إلا أنه يُعتبر متكاملا معه "بل ويؤدى نفس الوظيفة فى الحالات التى يخفق فيها النسق السياسى بأجهزته الرسمية وغير الرسمية فى إقرار النظام (٢) .

ولا يسعنا فى نهاية هذه الفقرة إلا أن نُشير إلى ما كتبه "براتراند راسل" فى كتابه "نحو عالم أفضل" "حيث يقول : "إن الناس يصدرون فى أعمالهم عن أصول ثلاثة هى : الغريزة والعقل والروح ، وحياة الروح بين هذه الأصول الثلاثة هى التى ترتبط بالدين.

---

(1)Max Weber The Protestant Ethic and the Spirit of Capitalism , 1930 .

(2) أحمد أبو زيد ، البناء الإجتماعى ، الجزء الثانى ، صـــ ٥٣٨ ، ٥٣٩ .

ويقول : أن الذين ولجوا يوما فى عالم الفكر ليؤمنون بأن السعادة والسلام لن يعود إلى هذه الدنيا إلا عن طريق الدين (١) .

ويكادُ يجمع علماء النفس ، والإجتماع ، والأجناس البشرية على أهمية الدين فى حياة الأفراد ، وفى حياة الجماعات ، وفى حياة الأمم والشعوب ، فالدين ظاهرة إجتماعية قديمة سّحيقة فى القدم . وُجِدْت منذ قيام حياة الجماعات ، ومنذ بداية هذه الجماعات بالتطور الإجتماعى ، حتى صار الدين نظاما متكاملا له مؤسساته العاملة على تحقيق وظائفه وغايته السامية .

الدين والضبط الإجتماعى :

لو نظرنا إلى ما قاله ابن خلدون عندما قال "إن العمران ضرورى للبشر ولرعاية مصالحة كذلك ، وسوف يفّسد إن أُهْمِلَتْ .. وتكون هذه المصالح أكمل إذا كان بالأحكام الشرعية (٢) ووجدانه يركز باهتمام شديد على الدين الإسلامى كضابط للحياة الإجتماعية .

وعندما ركز بعض علماء الإجتماع على القانون كضابط للحياة لم يبتعدوا كثيرا عن الدين لأنه "ليس بخاف أن الدين يشمل القانون ، لأن الدين الإسلامى لا يقتصر على العبادات، بل يهتم أيضا بتنظيم المعاملات على أسس شرعية ، أى قانون يحكم القضاة بمقتضاه فى الدولة الإسلامية (٣).

([1]) برتراند راسل : نحو عالم أفضل ، العدد ٢٣ ، سلسلة الألف كتاب ، صـــ ١٧٤ .

([2]) مقدمة ابند خلدون ، مرجع سابق ذكره ، صـــ ٥٦٥ .

([3]) حسن الساعاتى ، علم الاجتماع القانونى ، الطبعة الثالثة ، ممكتبة الأنجلو المصرية ١٩٦٨ ، ٢٥ –٢٦.

بالإضافة إلى أن الدين يُعتبر أهم وسيلة يضبط بها الإسلام سلوك الناس فى المجتمع لأنه يدفع بعضهم عن البعض لما فى طباعهم الحيوانية من العدوان والظلم كما قال "ابن خلدون" وهذا مقصد الدين الإسلامى من تنظيم العقوبة ، سواء كانت عقوبة الحدود أو التعزيز.

وحيث يكون الإسلام هو أساس القيم ومصدر التشريع ، وتكون تعاليمه هى بذاتها قواعد التربية ، ويكون من ثم ما يُعرف بالرأى العام ، وما يستقيم فيه من عُرف موجه صادر أيضا عن ذلك المنهج الإسلامى ، الذى ما ترك فى حياتنا كبيرة ولا صغيرة إلا أحصاها وفصلها تبيانا ورشدا ، فى مثل هذا المجتمع لا تكون بنا حاجة إلى تعدد مصادر الضبط الإجتماعى ، وذلك أن المصدر واحد حق هو شريعة الإسلام (١) .

ونحن نعرف أن أى مجتمع لن يتوصل إلى تحقيق الأمن والسلام إلا إذا نجح فى منع الجريمة وضبط السلوك المنحرف ، وبما أن الجريمة ظاهرة إجتماعية حتمية لأن الناس إذا اجتمعوا وتوافر العمران ، دعت الضرورة – كما يقول (ابن خلدون) إلى المعاملة واقتضاء الحاجات ، ومد كل واحد منه يده إلى حاجته يأخذها من صاحبه ، لما فى الطبيعة الحيوانية من الظلم والعدوان بعضهم على بعض فيقع التنازع المفضى إلى المقاتلة .

---

(١) مصطفى محمد حسين ، المدخل إلى المدرسة الإسلامية فى علم الاجتماع ، مطبعة الكيلانى ، القاهرة ، ١٩٧٥ صـ ١٣٣ .

وإذن لابد من سلطان يقضي على هذه الرغبة العدوانية فى المجتمع الإنسانى ، ويأخذ المجتمع لحماية نفسه من الجريمة والانحراف عادة بوسيلتين : وسيلة منع وسيلة ردع ، أى وسيلة تمنع المجرم إذا نزع الشيطان فى قلبه وهم بارتكاب اعتدائه من ارتكاب الإعتداء ، فهى وسيلة حماية للمجرم والمجتمع على حد سواء ، فلا أصبح المتعدى مجرما ، ولا نال المجتمع إعتداء على مصلحة من مصالحه ، وسبيل تحقيق هذا الهدف ، تمكين الأسباب التى تحول بين الانحراف ووساوس الشيطان ، وتمنع من تحول النزعات إلى سلوك ضار ، وزرع الوازع الدينى فى قلوب الأفراد، فيسلكون السلوك السوى إبتغاء مرضات الله عز و جل(١) .

وأعتقد أن مجتمع الإسلام يُحقق للإنسان هذا كله ، ومن ثم أستطيع أن أقرر أن هذه الوسيلة المانعة تتحقق على أكمل وجه فى مجتمع المسلمين ، ولكن الإنسان هو الإنسان بما رُكِّب فيه من نزعات الشر والحسّد والطمع التى توسوس له بالاعتداء ، لهذا كانت الجريمة إحدى الظواهر التى لا يمكن أن يخلو منها مجتمع ولهذا أيضا كان لابد من الإلتجاء إلى الوسيلة الأخرى وهى الوسيلة الرادعة .

وقد نهج الإسلام فى هذا أروع نهج فنظر إلى مصالح المجتمع الأساسية المقررة الثابتة وهى التى تحفظ الدين والنفس والعقل والنسل والمال ، وجعل وسيلة الردع هنا حدا جعله الله خالصا له .. وحيث أن الفضائل كلها إجتماعية والأخلاقية والدينية كلها تصدر من نبع واحد ، هو الشريعة الغراء بقواعدها السليمة المعروفة .

---

(١) نفس المرجع ، صـــ ٣٤ .

إن الفرد المسلم فى مجتمع مسلمين لا يقع بين ضغوط الإختلافات التى تقوم فى المجتمعات الأخرى التى أصبحت فيها الفضائل الإجتماعية الضابطة لسلوكه بين الناس مختلفة عن الفضائل الأخلاقية الخاصة التى قد تأتيه من البيت أو المدرسة أو الكتب المختلفة والتى يُريد أن يحياها فى عالمه الخاص والتى ينادون الآن فى أوربا وأمريكا بضرورة إحترامها وتمييزها عن فضائل المجتمع العامة وكذلك عن الفضائل الأخرى الدينية التى تفرضها الكنيسة ومن ثم عاش الناس هناك منقسمين على أنفسهم ، يعيش الفرد فيهم بأكثر من شخصية ، ولذلك شاع بينهم ما يُعرف فى علم النفس بأمراض فصام الشخصية (١) .

وقد أُلِّفْت أخيرا فى إنجلترا بالذات عدة لجان ليحث هذه المشكلة ، وبيان مدى حق المُشرِّع فى فرض الفضائل الإجتماعية أو الأخلاقية بقوة القانون ، ولكن الأستاذ "هارت Hart" أستاذ فقه القانون بجامعة أكسفورد ينادى بضرورة الحفاظ على حق الفرد فى أن يفعل ما يريد ، مادام عمله لا يرتب عليه ضرراً للآخرون، ولو كان فعله جريمة أخلاقية (٢) .

---

(1) نفس المرجع السابق ، صـــ ١٣٨ .

(2) H L A.Hart "Liberty and Moraliy " Oxford Uni Versity Press, 1964 نقلا عـن نفـس المرجع السابق صـــ ١٣٩ .

بينما ينادى كبير قضاة إنجلترا لورد "دفلين Devlin" ، بضرورة قيام المشرع بفرض الفضائل أراد الناس "The Enforcements of Moral" وكل الفضائل الإجتماعية والأخلاقية نابعة من الدين الذى يرفع الأفراد إلى احترام قيم المجتمع التى تزيد من ترابط وتماسك الجماعة ، وبذلك يُصبح للدين وظيفة إيجابية هى التماسك والضبط الإجتماعى .

كما أن هناك بعض علماء الاجتماع يعتقدون أن الدين والأخلاق لا يمكن فصلهما عن بعضهما ، حيث أن رفاهية الجماعة ليست كافية لتجعل الناس يعملون وفق القاعدة لذهبية التى تقول : عامل الناس بما تحب أن يعاملوك به ولكن من الضرورى جدًا وجود جزاءات تُكافى وتعاقب ، تأتى من وازع أو رادع أقوى من القوى الطبيعية (١) .

وفى هذا المعنى يقول "البيرت ستيوات Elbert Stewart" أن الدين يُحقق وظائف نفسية متعددة لكل من الفرد والجماعة ، فبالنسبة للفرد يُعتبر الدين قائدا مرشدا بما يؤدى إلى التواضع ، ويُساعد فى تكوين القيم الأخلاقية ، ويرفع من الروح المعنوية ، ويُساعد فى تكوين مآرب الحياة .. كذلك فإن الدين يجيب على سؤال الموت والحياة ووجود الشر فى العالم ، ويُجيب على الأسئلة التى لا تجيب عليها التجارب العادية ، كما أن الدين يكون شبكة علاقات عاطفية قوية تُؤمِّن الناس وترعاهم (٢) .

---

(١) Mavis Hiltunen Biesanz & John Biesanz . Sociology".
Prentic Hall, Inc , Engle Wood Cliff New York . pp1978 p 358 .
(٢) Elbert W Stewart . "Sociology" The Human Science 1978 pp 391 393 .

"إن الدين الإسلامي يُعد أقوى الأديان ضبطا للمجتمع ، وتشمل تعاليم الدين الإسلامي : العبادات والمعاملات ، أما العبادات فتتعلق بالصلة بين العبد وربه ، بينما ترتبط المعاملات بين الأفراد، فالأوامر والنواهي الخاصة بالمعاملات تحفظ النظام الإجتماعي بطريق مباشر ، وذلك بإيقاف كل فرد عند حدود لا يتعداها ، ورسم الطريق السوى الذى يجب أن يُتَّبَع فى البيع والشراء والأخذ والعطاء وأنواع التعامل الأخرى .

أما الأوامر والنواهي الخاصة بالعبادات فتحفظ النظام الإجتماعي بطريق غير مباشر ، وذلك بتهذيب الفرد والسمو به عن الفحشاء والمنكر . ومما يدعم وجهة النظر الإجتماعية فى الدين ويقويها به ، أن المجتمع كلما كان شديد التماسك كان الدين أقوى سلطانا على الأفراد ، إذ يُنْظَر إلى الدين فى هذه الحالة على أنه نظام إجتماعي شامل مشترك ، ولا يسمح لأى فرد أن يكون له رأى خاص فيه ، أو أن يسلك سلوكا خارجا عليه .

ويضبط الدين سلوك الفرد فى المجتمع بالثواب والعقاب ، لا فى الحياة الدنيا فحسب ، بل فى الدار الآخرة أيضا ، فإطاعة الأمر، وتجنب المعاصى التى نهى عن فعلها ، أمر يُرضى الرب الذى يُثيب العبد الطائع فى الدنيا بالبركة وإتساع الرزق والعافية ، واستجابة الدعاء ، وطول العمر ، وبالخلود فى الجنة فى الآخرة .

أما العبد الذى يعصى ما أمر الله به ، ويتمادى فى ذلك ، فإن الله يغضب عليه ويعاقبه فى الدنيا بزوال النعمة ، وضيق العيش ، وسوء الطالع ، وفى الآخرة يعذبه فى نار جهنم .

ذلك ما يُرَبَّى عليه الفرد منذ أن يعى ويُصبح قادرا على استيعاب الآراء والأفكار حتى يُصبح ذلك عقيدة راسخة لا يتزعزع عنها (١) .

وهناك علاقة وثيقة بين الجزاءات الدينية والجزاءات الأخلاقية التى تختلف باختلاف المجتمعات ، ويرى "راد كليف براون Radcliff Brown" أن الحدود الأزلية القانونية لقانون العقوبات فى كل المجتمعات – فيما عد الدول الحديثة التى تحررت من سلطان الدين – تفصح عن علاقة وثيقة بالمعتقدات الدينية (٢) .

ويقول الدكتور (هنرى لنك) وهو طبيب نفسانى يروى للقراء قصة إنحرافه.........................

مرضاه وكيف كان للإيمان فعل السحر فى علاجهم عندما كانت تفشل ألوان العلاج الأخرى .

إنه لم يكن يجد وسيلة يُعالج بها آلاف الحالات التى عُرِضَتْ له إلا أن يعيد توازنها الاجتماعى بالدين والإيمان .

وظل الطبيب النفسانى ينصح بهذا حتى وجد نفسه يعود بدوره إلى الدين ويُصبح شديد الإيمان بفكرة الدين بعد أن ثبت له بالدليل القاطع أنه لا مناص للإنسان من وجود إيمان حقيقى ... إن الإيمان هو الحل الحاسم السريع لمشكلات المجتمع ، عندما يُشيع فى حياة الأفراد والجماعات ، فيؤمن كل فرد بواجباته

(١) حسن الساعاتى ، مرجع سابق ذكره ، صـــ ٩٠ -٩٢ .

(٢) A . R Radcliffe Brown, "Social Sauction" in Encyc lopodia of Social Siences , Vol . XIII, P 532 .

ويؤمن المجتمع بقيمه ومقدساته ، فيتوج ذلك كله إيمان بالله ، يحدد علاقات الأفراد بعضهم بالبعض الآخر ، وعلاقاتهم بالمجتمع على أساس من الثقة والأمل (١) .

يستطرد "د. هنرى لنك" قائلا .. وإذا بحثنا من الناحيتين العقلية والنفسية وجدنا أن أعظم مصادر العون هو الدين ، فالإيمان بوجود الله ورسله وكتبه يهيىء للأبوين ملجأ أمينا موثوقا به يلجأون إليه ، ويضع بين أيديهم سلطة كبرى على أطفالهم ، كانوا يفتقدون إليها حتى لو لم يؤمنوا بها ، وإن هؤلاء الآباء الذين كانوا يتساءلون كيف ينمون عادات أولادهم الخلقية ويشكلونها ، فى حين تنقصهم هم أنفسهم تلك المؤثرات الدينية التى كانت قد شكلت أخلاقهم من قبل ، كانوا فى الحقيقة يجهلون مشكلة لا حل لها ، فلم يوجد بعد ذلك البديل الكامل الذى يحل محل تلك القوة الهائلة التى يخلقها الإيمان بالخالق وبناموسه الخلقى الإلهى فى قلوب الناس ... فالدين هو القوة الوحيدة التى يمكنها أن تعين الإنسان على حل المشكلات الخلقية والعقلية التى لا مفر منها والتى لا تفتأ تقض مضاجع الآباء والأبناء والمجتمع كله (٢).

ويقول الدكتور "هارولد فينك" إن الإيمان له ثلاثة وجوه هى : الإيمان بالله والإيمان بالناس ، والإيمان بالنفس ، وأن ما يضعف ناحية يؤثر على النواحى الثلاث بأجمعها والشىء العجيب المدهش أن الدكتور "فينك" برغم الظروف التى عاش ويعيش فيها كطبيب أمراض عصبية ونفسية يتكلم عن التصوف وأنه الطريق

([1]) هنرى لنك ، العودة إلى الإيمان ، ترجمة ثروت عكاشة ، الطبعة الثانية ، دار المعارف بالقاهرة صـ ٩-١١ .

([2]) العودة إلى الإيمان ، المرجع السابق ، صـ ١١٩ – ١٢١ .

إلى المعرفة الصحيحة بالله ، ويسبقه إلى ذلك الأستاذ "و ث ستاسى" أستاذ الفلسفة بجامعة برنستن الأمريكية ومؤلف كتاب الدين ومؤلف كتاب الدين والعقل الحديث ، ويؤيدهم فى ذلك أكبر علماء النفس فى القرن التاسع عشر "وليم جيمس" الذى وضع كتابا فى التصوف من الناحية النظرية والعملية وهو كتاب لمس أنواع مختلفة من الخبرات الدينية وفى نهاية الحديث يقول : الدكتور "فينك" إنى محتاج للدين لتنظيم حياتى (١) .

ويؤكد ذلك قول الدكتور "إريك إريكسون" وهو من أشد الأطباء النفسيين حساسية وإدراكا عندما قال : إن وظيفة الطبيب النفسى هى إعادة بناء حالة الثقة والإيمان فى نفس المريض (٢) .

ومن الناحية الأخرى نجد "سيجموند فروويد" يقول فى كتابه "مستقبل صورة خادعة" "إن الدين نوع من العصاب" (إختلال فى وظائف الأعصاب) ويقول الشيوعيون وعلى رأسهم "كارل ماركس" إن الدين مخدر الشعوب ، ويستخدم كمستحضر أفيونى لإقفال أعين الناس عن الحالة التى حولهم (٣) .

وكل من "فرويد" و "ماركس" غير متناقضين يكمل كل منهما الآخر ، لأنهما عالمان يهوديان يسعيان لتحقيق أهداف خبيثة من وراء هذا الكلام ، ولكن هل هذا الكلام صحيح ؟

([1]) هارولد ولدفينك ، لمن ترهقهم الحياة ، ترجمة محمد الحلوجى ، دار المعارف بمصر ، صـــ ١٩٠ .

([2]) لمن ترهقهم الحياة ، نفس المرجع السابق ، صـــ ٢٤٨ .

([3]) Sociology the Human Sience, Op . Cit , P 391 .

ويُجيب على هذا السؤال "هارولدفينك" وهو طبيب الأمراض النفسية والعصبية المشهور قائلا :"إن الدين يُخلص الإنسان من القلق ، أما إدمان المخدرات فهو تسلط فكرة على العقل تدفع إلى الإضطراب والقلق ، ولكن التفكير الطبيعى والشعور يخلص أيضا من القلق .

ويستطرد "فينك" قائلا :"إن السؤال الحقيقى هو هل من الضرورى أن يكون لنا دين ؟ ثم يقول : لقد حان الوقت لأن يواجه المتمسكون بالتحليل النفسى هذا الموضوع بشجاعة وصراحة ، وقد سارت العيادة النفسية المسماة "فينجر" فى ترويبكا بولاية كنساس للأمام فى اجتماع بين رجال الدين والطب النفسى لزيادة التفاهم المتبادل بين الطائفتين ويقول : إنى أتطلع إلى كثير من الخير فى مؤتمرهم هذا .

وعلم النفس كما يعرفه "هارى ستاك سوليفان" هو دراسة العلاقات المتبادلة بين الأشخاص ، وبالتأكيد فإن الدين يُكَوِّن الجزء الأكبر فى هذه العلاقات ثم يقول : وأنا بدورى أسأل المتمسكين من أصحاب التحليل النفسى ، هل هذه العلاقات والروابط عصابية ؟ وهل هى عقبة فى سبيل العلاقات الطبيعية ؟ أنا أؤمن بأن هناك قوة قادرة لا أستطيع فهمها ، إلا بطريقة غامضة ، وأنا أؤمن بأن هذه القوة لا تعمل فقط على الكوكب الأرضى بل أنها تعمل فى الكون بأسره ، وأنا أؤمن بأن هذه القوة من وجهة النظر الإنسانية قوة خيرة ورحيمة ، والأكثر من ذلك أنى أستعين بها وأَتَّكِل عليها ، وأخيرا فإنى أتوكل وأعتمد على هذه القوة الخيرة الرحيمة التى أعرفها فى غموض لكى تعطى العقل معنى ، والبشرية قوة ومعونة، هذه القوة اسمها الله ، والأكثر من ذلك أنا أؤمن بأن كل إنسان فى حاجة للإيمان

بالله ليكون له سندا وعضدا فى تلك الساعات الحالكة عندما يتلجلج إيمانه فى نفسه وفيمن حوله من البشر، ففى الأوقات التى تحدق بنا فيها المشاكل الشخصية والكوارث، وعندما يبدو المستقبل أمام البشرية فى أحلك صورة، عندئذ يقوم الإيمان بالله وبرحمته وكرمه يشد أزرنا وجمع شملنا(١).

ويقول الدكتور "جوان ماسران" أستاذ الطب النفسى فى جامعة نورث وسترن : حقا لكى نساعد إنسانا يجب أن نعاونه على إعادة بناء عالمه الخاص من الحقائق والخيال، وعلى قدر عقليته ما أمكن – وإيمانه الخاص بنفسه وبمن حوله من البشر، وإيمانه بالله حسب تصوره الخاص لجلاله سبحانه وتعالى (٢).

"فالدين مثل العلم والفن طريق الحياة، وأسلوب للعيش، إنه يبحث عن الحقائق السرمدية الخالدة، والجمال والخير، إنه بحث ليست له نهاية، لأنه يتطلب جهدا خلافا، وكما يعلم كل عالم وكل فنان أن كل محاولة ناجحة تخلق الحاجة إلى خلق جديد أقرب إلى الكمال.

ومن وجهة النظر الأخلاقية فإن الدين هو الجهد الدائم الفعال فى خلق فرص أكبر وأسمى أمام الإنسان فى الدنيا لكى يصل إلى قسم جديدة من الخبرة ذات المعنى والتعبير عن النفس البناءة.

---

(1) لمن ترهقهم الحياة، مرجع سابق ذكره، صـــ ٢٦ – ١٦٦.

(2) نفس المرجع، صـــ ٢٧٧.

إن النظرة الدينية السليمة تبعث الهدوء والسلامة والراحة فى العقل المضطرب ، فلا أحد يدرى ماذا يكون أمره بعد عشرات سنوات من الآن ، ولكن كل إنسان يستطيع أن يعرف ما يعمله فى التو واللحظة .

إن الدين يمنحنا الشعور بالاستمساك بحبل المجتمع الذى يربط بين الماضى والمستقبل ، ومن كان يحس بهذا التماسك والترابط استطاع أن يعيش فى أمن وهدوء ، مدركا أن يد الله ستقوده وتهديه (١) .

ويؤكد "وليم جيمس" هذا المعنى فى كتابه – Varieties of Rellgrious Experience قائلا : " أن الدين هو الحقيقة الأولى التى يحس الفرد نفسه مدفوعا إلى الاستجابة لها ، تتصف بالمهابة والجد دون أى تذمر أو إستهزاء ، وقد كان "وليم جيمس" له الفضل فى إثبات إن الدين فى حياة الفرد ليس غريزة قائمة بذاتها ، وإنفعالا خاصا ، أو عاطفة بالذات تقوم إلى جانب غيرها من العواطف ، وإنما الدين كلمة تُطلق على الإنفعالات والعواطف العادية إذ تتبلور حول موضوعات الدين ، فالحب الدينى ، والخوف الدينى ، والرهبة الدينية ، والطرف الدينى ، هذه جميعها إنفعالات عادية بيد أن موضوعاتها دينية (٢) .

ويقول " فرازرFrazer " " أفهم عن الدين أنه إسترضاء أو كسب قُوى اسمى من الإنسان ، قُوى يعتقد المرء أنها تواجه وتضبط مجرى الحياة الطبيعية والحياة الإنسانية " ، أما "مارتينو Janmes Marineau " فيقول : إن الدين هو الإيمان

(1) نفس المرجع السابق ، صـ ٢٧٧ .

(2) عبد المنعم عبد العزيز المليجى ، تطور الشعور الدينى عند الطفل المراهق ، دار المعارف بالقاهرة ، ١٩٥٥ صـ ١٧ .

بـالله يعـيش أبـدا، أى بعقـل وإرادة إلاهيـتين يحكمـان الكـون ، ويقومـان العلاقـات الأخلاقيـة بـين البـشر، ولكـن متجـارت "Mettgart" يقـول :"إن الـدين حالـة مـن حـالات الـنفس .. يبـدو لى أن أحـسن وصـف لهـا هـو أنهـا إنفعـال يقـوم علـى الإيمـان بالإنـسجام بـين أنفـسنا وبـين الكـون عمومـا " أمـا "تـاولس Thouless" فيقـول : إن هذه التعريفات الثلاثة للدين فى ضوء علم النفس العام حين كـان الشعور يُقَسَّم إلى إدراك ووجدان ونزوع ، وقد تخير هذه التعريفات الثلاثة لا لشىء إلا أنها تمثل معا هذه الجوانب الثلاثة :-

فالأول يصف أسلوبا سلوكيا والثانى عقيدة أو رأيا عقليا ، والثالث جهازا من المشاعر والانفعالات .

"وتاولس" يؤكد علي وجوب تَضَمُن أى تعريف للدين لهذه الجوانب مجتمعة ، ويرى أن أنسب تعريف للدين هو: " الدين هو علاقة عملية يشعر بها المرء نحو من يعتقد أنه كائن أو كائنات أسمى " (١) .

فإذا كانت هذه التعريفات وتلك الآراء علي لسان أكبر علماء الطب النفسي الـذين آمنـوا بمـا للـدين مـن عظـيم لأثـر في عـلاج مرضـاهم مـن أمراضـهم النفـسية والعقلية ، بعد أن جربوها ولسوها بأنفسهم ، أليس الأولي بنا ونحن أصحاب أعظم دين ، وأبناء خير أمة أخرجت للناس ،أن نعود إلى أصولنا، ونرجع إلى ديننا، نلتمس منه العون ، ونستعين به فى علاج مشكلاتنا الإجتماعية والجسمية والعقلية والنفسية ؟

---

(1) Thouless "An Introductions to the Pshichol of Re Ligion 1936, pp 8 -9 .
نقلا عن تطور الشعور الدينى عند الطفل المراهق، نفس المرجع السابق ، صـــ ٢٨.

ولهذا كله اقترح المؤلف مجموعة أساليب علاجية نابعة من الدين الإسلامي ليمارسها الأخصائيون الإجتماعيون في علاج الأحداث المنحرفين ، كمنهج علاجى جديد للخدمة الإجتماعية بعد أن فشلت كل أساليبها ومناهجها التقليدية المستوردة من الغرب .

ولكن الدين ليس علاجا لتلك المشكلات فحسب ، بل هو العامل الحاسم في تطور المجتمعات ، ونهضة الحضارات علي مر العصور ، وهو جوهر التقدم الذي يُوَحِّد بين الأجيال وتحقيق التكامل بين المجتمعات وهو الباعث الأساسي للتغير الاجتماعي .

وبالرغم من أن " كوستي" يَعتبر الدين ، وكافة الأنشطة العقلية والجمالية للإنسان ظواهر مستقلة من العملية التطورية ، نجد الفيلسوف الإجتماعى وينيامين كيد B.kidd ١٩١٦ ، يؤكد أن الدين هو العامل الحاسم فى التطور ، غير أنه من الضرورى أن نشير إلى أن "كيد" لم يكن أول من قدم نظرية الدين أولوية خاصة كعامل مؤثر فى التاريخ ، ذلك أن المؤرخ الفرنسى الشهير "فوستر دى كلانج Fuster de coulange ، الذى كتب الدراسة الكلاسيكية ، المدينة العيقة The Ancient قد سبقه فى تناول هذه الأفكار حيث يعتبر الأفكار الدينية – فوق كل شئ – هى الباعث الأساسى للتغير الاجتماعى ، غير أن "كيد" قد ربط تأكيده للدين بالنظرية التطورية – فهو يذهب فى مؤلفة التطور الاجتماعى – معارضا "كنت" صراحة –

إلى أن العقل لا يمكن أن يكون السبب الأساسى فى التقدم ، ذلك لأنه يكسب الإنسان نزعة فردية ، غير إجتماعية ، بينما التطور فى جوهره اجتماعى ، يستهدف مزيدا من الترابط الاجتماعى ، لذلك كانت القوة الوحيدة المؤثرة فى التطور والتقدم هى الدين .

فالدين هو الذى يُوحد بين الأجيال ، ويُحقق التكامل بين المجتمعات ، ويُنقذ الحضارات من الأخطار الكبرى ، والدين فوق ذلك كله هو الذى منع حدوث تفكك اجتماعى كامل خلال القرون الأولى للمسيحية ، فقد نهضت حضارة العصور الوسطى على أسس دينية ، كما أن الدين الذى تفرع عنه المذهب البروستانتى هو الذى عمل على إنتشار السياسة والاقتصادية .

فالدين وحده هو الذى يسمح بوجود تقدم اجتماعى مستمر ، والواقع أن التأكد على الدين باعتباره جوهر التقدم كان بمثابة الفكرة الرئيسية لعدد من الكتاب خلال كافة عصور التاريخ (١) .

وفى هذا المعنى يقول "توينى" إن نمو الحضارة يتعرض للتوقف فى حالات الاخفاق ويحدث تفكك اجتماعى وتحلل ... والملاحظ أن خلال فترة تفكك الحضارة أن الثقافة لم تعد تنمو ككل، وإنما تنمو بشكل غير منسق ، وقد تُؤدى إلى تطورات فى الفن ، والدين ، والاقتصاد ... والسبيل الوحيد للخلاص فى هذه المرحلة هو تغيير

---

(١) نيقولا تيماشيق ، نظرية علم الاجتماع طبيعتها وتطورها ، ترجمة محمد على محمد وآخرون ، دار المعارف الطبعة الرابعة ١٩٧٧ ، صـ ١٤٦ .

الشكل على أساس دينى . على أن إنتشار إتجاه دينى جديد لن يؤدى إلى إنقاذ الحضارة المحتضرة ، ولكنه قد يمهد السبيل لظهور أسلوب جديد ناجح من أساليب الحياة (١).

والدين كوسيلة ضابطة له أثر قوى فى تنظيم المجتمع ، فهو يضبط سلوك الأفراد والجماعات فى نفس الوقت .

وتؤلف التعاليم الدينية بوجه عام مجموعة الأوامر والنواهى التى تحدد سلوك الفرد نحو العقيدة التى يؤمن بها ، وتحث التعاليم الدينية على إتباع الأوامر والابتعاد عن النواهى ، وتهدف فى النهاية إلى الإبقاء على المجتمع والمحافظة عليها وقد وفقنا من قبل على رأى "دوركايم" الذى أن الدين يُمثل ضرورة اجتماعية هى إيجاد للتماسك الاجتماعى والحفاظ على المجتمع ، ولهذا السبب أدى الدين وما زال دورا كبيرا فى تاريخ البشرية .

ويمكن القول عادة بأن الدين باق ما بقى التماسك الاجتماعى، وقد يتغير شكل الدين لكن روحه تظل أبدية لا تنتهى ، وليس معنى ذلك أن المجتمع قد أوجد الدين عن عمد لحفظ النظام فيه ذلك لأن الدين ضرورة اجتماعية تتأتى من طبيعة الحياة الاجتماعية ذاتها وما يحس به الفرد من آلام ، وما يتكون فى نفسه من آمال.

---

(١) علم الاجتماع القانونى ، مرجع سابق ، صـــ ٥٩ .

ثانيًا : الدين واستدماج القيم :-

١- التوجيه الدينى واستدماج القيم .

٢- أنمـــاط القيـــم .

٣- مكـــونات القيــــم .

٤- عمليــة استدمــاج القيــم .

التوجيه الدينى واستدماج القيم

عُرف مفهوم القيم منذ عهد بعيد ، ولكن القدامى عبروا عنه بأسماء مختلفة مثل الخير الأسمى ، والكمال ، أو المثل الأعلى ، والغاية ، والمعيار ، والمنفعة ، وقد تفاوتت الآراء المتعلقة بموضوع القيم باختلاف المفكرين تفاوتا كبيرا ، فبينما يرى البعض فى موضوع القيم رأيا ما يرى لآخرون رأيا يناقضه تماما .

وفى هذا يقول "جون ديوى" Joihn Dewey " إن الآراء حول موضوع القيم تتفاوت بين الإعتقاد من ناحية بأن ما يُسمى "قيما" ليس فى الواقع سوى إرشادات انفعالية أو تعبيرات صوتية ، وبين الإعتقاد فى الطرف المقابل بأن المعايير القبلية Apriori العقلية ضرورية ويقوم على أساسها كل من الفن والعلم والأخلاق(١) .

وقد عالج " أفلاطون" موضوع القيم بطريقته الخاصة ، فقد اتضح له أن الناس لا يعنون مصادر الإلزام فى حياتهم ، ومع ذلك فهم يدركون مثلا عليا ، ويتحدثون عن الحق وعن الجمال ، كما أنهم يتمسكون بالتزاماتهم الخلقية ، وهو يرى أنه لابد أن يكون هناك مصدرا استقى منه الناس هذه المعتقدات التى تؤدى بهم إلى هذا اللون من التفكير أو الحديث أو السلوك ، وهو يستبعد أن تكون حياة الحس بما تحتويه من خلط واضطراب وقلاقل مستمرة ومتصلة ، مصدراً لهذه الأحاسيس والأفكار السامية ، أفكار الحق والجمال والالتزام الخلقى ، ويخرج

(1) John Dewey , Theoey of Valuation International Eneylopedia of United Science , Vol . 11 , no . 4,
The Univerefty of Chicago press , Minnoi . 1939.

"أفلاطون" من هذه المشكلة بالقول بأنه لابد أن يكون مصدر هذه الإحساسات والأفكار السامية عالما آخر غير هذا العالم الذى نعيش فيه ، بل عالم آخر توجد فيه الأشياء كاملة كما يجب أن تكون ، هو عالم الحق والخير والجمال.

وقد أجمع المفكرون على أنه ما كان يقصده " أفلاطون" هو أن مصدر القيم الإنسانية خارج عن الحياة الواقعية والخيرة الحية للإنسان فى العالم المتقلب وأن مصدر القيم هو عالم المُثل وهو عالم أبدى ثابت مطلق .

ومع أهمية مفهوم القيم فقد ظل فترة كبيرة بمعزل عن إهتمام رجال العلم من الباحثين فى ميادين الدراسات الاجتماعية والعلاقات الانسانية والسلوك البشرى بصفة عامة ، وربما كان السر فى اهمال هذا المفهوم من جانب العلماء فى هذه الميادين أن الفلسفات العقلية قد جعلت منه ركيزة من الركائز الأساسية التى يقوم عليها البناء العقلى والفكرى المجرد لتأملاتها وأفكارها ، فاحاطته بجو من الغيبة نَفْرَّت منه رجال العلم .

هناك طائفة من العلوم نطلق عليها مصطلح العلوم الثقافية ، وهى علوم تتخصص فى دراسة ، كائنات ثقافية ، مُزودة بالمقدرة والإرادة ولها إتجاهاتها الخاصة نحو العالم المحيط بنا ، كما أن هذه الكائنات لا تستطيع أن تحل نفسها من تقويم ما يجرى حولها من ظواهر ووقائع ، ومن ثم يصبح مفهوم الثقافة ذاته مفهوما قيميا ويُصبح الواقع الموضوعى بالنسبة لنا ثقافة لأننا نربطه دائماً بمثاليات قيمية ، مثل هذا الجانب القيمى من الواقع الذى نعيشه هو وحده الذى

ينطوى على أهمية ودلالة بالنسبة لنا ، وذلك راجع بالطبع إلى أنه يكشف لنا عن علاقات ذات معنى لأنها وثيقة الصلة بما نقبله من القيم ، وع ذلك يظل هناك فارق بين العلم والقيم ، فالعلم يستند إلى الموضوعية والبرهان والمنطق ، على حين إن القيم مصدرها الاختيار الحر والاعتقاد فى صدقها (١) .

وكان "ماكس فير" يتبنى اتجاهين رئيسين نحو مسألة القيم فهو كرجل سياسة أراد أن يكشف عن التناقضات التى تنطوى عليها أنماط السلوك المختلفة وهو كعالم اجتماعى يريد أن يتعرف على تأثير مختلف الإتجاهات الدينية والثقافية على سلوك الأفراد ، ولهذا فإن "فيبر" يستند إلى رؤية أخلاقية واضحة للعالم المحيط بنا ، وجوهر هذه الرؤية أن هنالك أفراد يمارسون عملية اختيار للقيم ، ويسعون من أجل فرض المعانى الخاصة ، عندهم التى يسقطها الأفراد على الظاهر والعلاقات الاجتماعية المختلفة ، لكن عالم الاجتماع هو جزء من هذا العالم ، وخاضع لقوانينه ، ومن ثم فهو يفهم ويُفسر الظاهر من وجهة نظره الخاصة ، وهنا بالذات تبدو أهمية القيم كشرط أولى لكافة ضروب المعرفة الاجتماعية الواقعية بالعالم (٢) .

ويرى "تالكوت بارسونز alcot Parson " أن القيم عنصر مشترك فى تكوين كل من نظام الشخصية والبناء الاجتماعى وقد اتخذ موقفا توفيقيا بين عالم

([1]) محمد على محمد : تاريخ علم الاجتماع ، دار المعرفة الجامعية بالإسكندرية ١٩٨٠ ، صـ ٣٠٦ .

([2]) محمد على محمد : نفس المرجع ، صـ ٣٠٧ .

النفس وعلم الاجتماع ، والتفاعل بين البناء الاجتماعى والشخصية ، وقد عَرَّفَ "بارسوتز" القيمة بأنها عنصر فى نظام (نسق) رمزى مقبول من المجتمع ويؤدى وظيفته باعتباره معيارا أو قاعدة للإختيار بين متقابلات التوجيه المنظمة والميسرة للمرء فى الموقف (١) .

ثم قدم "بارسونز" تعريفاً آخر (٢) وصف فيه القيمة بأنها " "أحكام الاتجاهات نحو إدراك الأهداف الجماعية ، فالقيم تُحدد وتُضفى الشرعية على أهداف النظام ، وتُرشد الأشخاص الفاعلين فى أثناء أداتهم لأدوارهم وتفاعلهم فى الموقف وتحدد ولاء الشخص للدور إزاء الأدوار الأخرى ، وتُساعد شرعية هذه القيم الموجودة فى المجتمع على إعطاء النظام صفة البقاء والاستمرار.

ولكن أهم تعريف "لبارسنونز" جاء فى كتابه : " الشخصية والبناء ، أكمل فيه التعريفات للقيم حيث وصفها بما يلى :

"القيم تصورات توضيحية لتوجيه السلوك فى الموقف ، تحدد أحكام القبول أو لرفض وتنبع من التجربة الاجتماعية وتتوحد بها الشخصية ، وهى عنصر مشترك فى تكوين البناء الاجتماعى والشخصية الفردية فهى مكونات الاجتماعى لأنها تتضمن الجزاءات المرتبط بنظام الأدوار فى البناء الاجتماعى ، كما أنها تكون

(1)Talcot Parsons, Towards of social Action , Camp ridge , Harvard Univ . Press, 1971, P, 12.
(2)T . Parsons , strure and Process in Modem societies, Illinois , Fress , Press Glenco , 1960. P. 174 .

جـزءاً مـن لـب الشخـصية الاجتماعيـة ، لأنهـا حـصيلة أو نتـاج عمليـة التنـشئة الاجتماعيـة ، والقـيم قـد تكـون واضـحة تحـدد الـسلوك تحديـدا قاطعـا أو غامـضة متشابهة تجعل الموقف متلبسا مختلطا .

والقيم لها أنماط وأصناف متعددة حتى أن دارسوا القيم إتفقوا على صعوبة تصنيفها ، وعلى أنه لا يوجد تصنيف شامل لها ، ولذلك نكتفى بالإشارة إلى تصنيف القيم على أساس أبعادها ، وسنكتفى بواحد منها وهو بعد المحتوى (١) .

وقد ذكر "سبرينجر Spranger" أنماطا ستة من القيم هى :

القيم النظرية : وهى تعبر عن اهتمام الفرد الزائد وميله لاكتشاف الحقائق والمعارف من أجل تحقيق هذه القيم ، ويتميز سلوك المؤمنين بهذه القيم بالاتجاه الفكرى والعقلى والنقدى والتجريبى ، وبفضل هؤلاء دائما يكونوا محبين للفلسفة وعالمين فى مختلف العلوم .

والقيم الاقتصادية : وهذه القيم تُعبر عن الاهتمامات العلمية ذات الفائدة والنفع ، وتتوافق مع زيادة الاهتمام بالأشياء العلمية فى الصناعة والإنتاج والثروة ويهـتم أصـحابها بكـل مـا يهـم رجـال المـال والأعمـال ، أى الإنتـاج والتـسويق

(١) فوزية دياب : القيم والعادات الاجتماعية ، دار الكتب العربى الطباعة والنشر ، القاهرة ١٩٦٦ صـ ٧٣ – ١٠.

والاستهلاك ، واستثمار الأموال ، ويرى هؤلاء أن القيم النظرية مضيعة للوقت ويحددون علاقات الناس على أساس المال والثروة .

والقيم الجمالية وتعنى هذه القيم بالشكل والتجانس وتُعبر عن اهتمام الفرد وميله إلى ما هو جميل من حيث الشكل وكمال التنسيق والإنسجام ، ويتميز الأشخاص الذين تسود عندهم هذه القيم بالفردية والإكتفاء الذاتى ، ويعارضون المؤمنون بالقيم الاقتصادية المادية ، ويرون فى علميات التصنيع والتجارة والإعلان عمليات وأد لقيم الجمالية ، وقد يكون بعضهم فنانين خلاقين وآخرون ذو قيم مستمتعين بالجمال ومحبين له .

والقيم السياسية : وتهتم بالسلطة والقوة والسيطرة والعمل السياسى وحل مشكلات الجماهير ، ويتميز أصحاب هذه القيم بالعلاقات الاجتماعية النفعية بالقيادة والقدرة على توجيه الآخرين .

والقيم الاجتماعية تعبر عن هذه القيم وإهتمام الفرد يحب الناس والتضحية من أجلهم ، وبذل الخدمات العامة ، ويتميز أصحابها بأنهم ليسوا أنانيين أو انفعالين عاطفيين ، بل يرون فى العمل على إسعاد الآخرين غاية فى حد ذاتها .

هؤلاء يكونون عادة ضد القيم السياسية ، ويرون فى القوة الغاشمة تحطيم لتكامل الشخصية ، ويقتربون كثيرا من الدين والجماعة .

والقيم الدينية تؤكد وحدة كل الخبرات وإدراك الفرد للكون ، ويُعبر عنها الفرد وميله إلى معرفة ما وراء الطبيعة Metaphysics ، فهو يرغب فى معرفة أصل الإنسان ومصيره ويؤمن أن هناك قوة تسيطر على العالم الذى يعيش فيه ويُحاول أن يربط نفسه بهذه القوة ، ويتميز معظم هؤلاء بالتمسك بالتعاليم الدينية .

والمؤلف يعنى بالقيم الدينية - التى حاول تكوينها للأحداث المنحرفين - بمجموعة القيم الاجتماعية الأخلاقية ذات الصفة الدينية التى عددها وقام بقياسها عن طريق مقياس نمو القيم الدينية الذى صممه الباحث .

والدين بما يشتمل عليه من قيم أخلاقية قادر على توجيه سلوك الأفراد توجيها سديدا فى مواقف الحياة المختلفة بما يُدعم بناء شخصياتهم ويجعل كل شخصية منهم لبنة قوية ودُعامة متينة من دعامات البناء الاجتماعى .

ويقدر وحدة القيم فى المجتمع يكون تماسكه ، وبقدر التناقض والتفاوت فى القيم يكون تفككه .

ولذلك عندما اختار المؤلف موضوع دراسته وهى ممارسة التوجيه الدينى فى علاج الأحداث المنحرفين ووضع فرضا أساسيا من فروض دراسته خاصا ببناء وتكوين القيم وصمم له مقياسا خاصا سماه مقياس نمو القيم الدينية طبقه فى الدراسة القبلية والبعدية وخرج منها بنتائج إيجابية فى تكوين القيم الدينية

كبداية لتكوين نظام قيمى لدى الأحداث المنحرفين ، وذلك عن طريق ممارسة المتطلبات السبع اللازمة لبناء وتكوين أى نظام قيمى (وسيلى ذكرها) .

ويرى "بارسونز Parsons" وغيره من علماء الإجتماع والأنثروبولوجيا أن القيمة تتكون من عناصر ثلاثة هى :-

١- المكون العقلى المعرفى(الاختيار) .

٢- المكون الوجدانى النفسى (التقدير) .

٣- المكون السلوكى الخلقى (الفعل) .

وتسهم هذا العناصر الثلاثة فى تحديد القيمة وتحديد وظيفتها ومعناها.

ويتضمن العنصر الثالث العمليات التى تُساعد العامل على تخصيص طاقاته وشحذها وتوجيهها بين مظاهر الفعل المختلفة ، وهو الأساس فى تكوين نظام القيم، وتؤكد المدرسة الإجتماعية المعاصرة أن هذه العناصر الثلاثة متداخلة ومتفاعله فيما بينها بتأثير المجتمع والتفاعل ، وتعكس ثقافته وتُعبر عن طبيعة العلاقات الاجتماعية السائدة (١) .

مكونات القيم :

تُعتبر مكونات القيم المتمثلة فى درجات السلم السبع التالية معايير Criteria ينبغى أن تتوافر فى كل قيمة قبل أن يُصبح من الممكن تصنيفها كذلك

(١) Sieney B. Simon & S.W . Aids, "Helping Your Child Learn Right From Wrong" Mc Graw Hilly Co, Paper Bock, 1977 , PP.31 – 36 .

وهذا يعنى أن القيمة تنتج وتصبح واقعا بعد تحقيق هذه المتطلبات السبع التى أعاد سردها وترتيبها "سيمون وآخرون Sidney B Simon" كما يلى :-

أولاً : الاختيار المعرفى والإدراكى Choosing **(المستوى الأول) :-**

١- الاختيار الحر.

٢- البدائل.

٣- التفكير فى عواقب كل بديل.

ثانيًا : تقدير القيمة والاعتزاز بها : (المكون الوجدانى النفسى) (المستوى الثانى) :

٤- الشعور بالسعادة لاختيار القيمة.

٥- الاستعداد لإعلان وتأكيد الاختيار على الملأ.

ثالثًا : ممارسة القيمة : المكون السلوكى الفعلى Acting (المستوى الثالث) :

٦- استعمال توظيفى للقيمة المختارة (ممارستها)

٧- تكرار استعمالها فى الحياة اليومية.

وبعد ذلك تراكم القيم عند الأفراد والجماعات لبناء النسق القيمى للفرد وللجماعة، أى أن النسق القيمى يكون نتاجا لهذه العمليات أو الخطوات السبع التى يمر بها تكوين القيم.

وهذه الخطوات السبع قد حاول الأخصائى الإجتماعى الذى يُمارس العلاج الإسلامى ممارستها وهو يحاول تكوين القيم الدينية للأحداث المنحرفين وما يترتب عليها من علاج السلوك المنحرف .

ومما يؤكد أهمية القيم فى الحياة الإجتماعية الدراسة التى قام بها "ماكس فيبر" والتى ضمنها كتابه عن الأخلاق البروتستنية وروح الرأسمالية والتى تم الإشارة إليها فى الجزء الخاص بالدين كنظام اجتماعى ، فالدين يُساعد على تكامل شخصيات الأفراد ، ويزودهم بمرجع واضح ثابت من القيم التى يجب أن يتمسك بها الأفراد .

وذهب فريق من الفلاسفة الأخلاقيين إلى أن القيم الأخلاقية السامية تفرض سلطانها على العقل والحياة معا ، وتظفر باحترام جميع الأفراد ، وتُوفق بين جمود القواعد الأخلاقية وانطلاق الحياة ، وتمزج بين موضوعية القواعد الصارمة وذاتية الحياة الفردية ، هذه القيم الأخلاقية من القيم المطلقة الأبدية المتمثلة فيما ألزمنا الله به من أوامر ونواه يتمثل فيها الخير والشر وعلينا أن نرجع إليها قبل الأقدام على أى فعل من الأفعال ، وجاء فى كتاب "المواقف" للقاضى "عبد الدين الأبجى" (صـ ١٣٥) : القبيح عندنا ما نهى عنه شرعا فهى تحريم أو تنزيه والحسن بخلافة، أى ما لم ينه عنه شرعا كالواجب والمندوب والمباح ولا حكم للعقل فى حسن الأشياء وقبحها ، فلا حسن ولا قبح للأفعال قبل ورود الشرع" .

وقد ذهب كثير من علماء الأخلاق فى الفلسفة الحديثة والمعاصرة إلى هذا الرأى ، فالقيمة الأخلاقية لهذا الفعل أو ذاك تُقاس عندهم بمقدار علاقتها بالقيمة

الأزلية المطلقة وذهب فلاسفة آخرون إلى أن القيمة المطلقة التى تُملى شرطها على العقل والحياة معا والتى يتبعها جميع الأفراد دون مناقشة ليست شئيا آخر إلا المجتمع باعتباره المصدر الأول لجميع القيم(١).

وبهذا المعنى تكون القيم الخلقية الضابطة للسلوك صادرة عن القواعد العامة التى ارتضاها المجتمع وصدى لما أقره الرأى العام من معايير توصف وفقا لها الأفعال والتصرفات بالخير والشر.

ويرى "دوركايم" أن الحالة الأخلاقية التى تحمل منذ وجودها تاريخيا وأينما كانت طابعا دينيا يستحيل تجريدها كليا من هذه الخاصية ، لأن تجريدها من هذه الخاصية ، يعنى محوها هى نفسها من الوجود ، معنى ذلك أن الأخلاق إذا فقدت ذلك الطابع الدينى الذى تنطوى عليه فإنها لا تظل بعد ذلك كما هى فى جوهرها أخلاقيا ، وهذا الطابع أمر واضح الأخلاق لا خفاء فيه ، فالخوف مثلا الذى تشيعه الرذيلة فى نفس مقترفيها فى المجال الأخلاقى يُشبه من كل الوجوه نظيره من الخوف الذى ينفثه انتهاك المقدسات فى نفس المتدين فى المجال الدينى وبالمثل كذلك هذا الاحترام الذى يقتضينا إياه السلوك الأخلاقى نحو إنسان ما أيضا لا يكاد يختلف عن ذلك الاحترام الذى يحمله المتدين للأمور المقدسة إلا نوع من الأخلاق فى شىء من التفاصيل البعيدة (٢) .

---

(1) يحيى هريدى : مقدمة فى الفلسفة العامة ، دار النهضة العربية ، القاهرة ١٩٦٨ ، الطبعة الخامسة ، صـ ٣١٥.

(2) اميل دور كايم : علم الإجتماع وفلسفته ، ترجمة حسن أنيس ، الانجلو المصرية ، القاهرة ١٩٦٦ ، صـ ١٢٢ .

ويُعتبر "دوركايم" من الذين إهتموا بدراسة القواعد الأخلاقية ووضع دعائم الاجتماع الأخلاقى وذلك فى كتابة " الأخلاق وعلم الطباع" (١).

وإن جميع الأديان تدعو إلى الالتزام بالقيم الخلقية سواء كانت هذه الأديان وضعية أو سماوية موحى بها ، فالبوذية مثلا كديانة وضعية تُقسم الحياة الأخلاقية كما ذكر مؤرخوا البوذية ومنهم " أولد نبرج" إلى ثلاث مراحل : الاستقامة ، التأمل ، والحكمة ...

وإذا أخذنا الإسلام أسمى الديانات المنزلية فهو يدعو إلى الأخلاق ويحث على الالتزام بها ويصف المتسك بها بأنه وخلق كريم . وقد وصف الله رسوله محمد حيث قال : " وإنك لعلى خلق كريم" والرسول يقول عن نفسه " إنما بُعثت لأتمم مكارم الأخلاق" .

عملية إستدماج القيم

وتتم عملية إستدماج القيم عن طريق عملية التفاعل الاجتماعى Social Interactionالتى تُعتبر أساسا لعملية التنشئة الاجتماعية Socialzation حيث يتعلم الفرد والجماعة أنماط السلوك المتنوعة والاتجاهات التى تُنظم العلاقات بين أفراد وجماعات المجتمع الواحد فى اطار القيم السائدة والثقافة والتقاليد الاجتماعية المتعارف عليها .

---

(١) مصطفى الخشاب : علم الاجتماع ومدارسة ، الكتاب الثالث ، المدارس الاجتماعية المعاصرة ، الدار القومية للطباعة والنشر ، القاهرة ١٩٦٦ صـ١٤ .

ولقد أشار "ورتشل وكوبر Worchel & Gooper " إلى وجود عدد من المراحل لعملية التفاعل الاجتماعى التى تحدث بين طرفين اجتماعين كما يلى (١):

المرحلة الأولى :

مرحلة التعارف (التصنيف والتقدير) وفى هذه المرحلة الأولى يتبادل الطرفان عبارات المجاملة والآراء المقوية (غير المخططة) ويقوم كل طرف بمحاولة سبرغور الطرف الآخر واكتشافه وتحديد قيمته وفائدته بالنسبة له والأهداف مستنداً إلى مبدأ "الكلفة والفائد" وإلى مدى التشابه والتوافق بينهما .

المرحلة الثانية :

مرحلة التفاوض والمساواة ، وفى هذه المرحلة يسعى كل طرف من خلال وسائط التفاعل المفضلة لديه ، إلى تحديد نوع العلاقة التى يفكر فى التوصل إليها وإقامتها مع الطرف الآخر باحثاً عن أفضل النتائج والمكاسب لهذه العلاقة لكى تشكل هذه النتائج الحافز والمشجع على تقويتها واستمراها ، وهنا يحاول كل طرف إستدماج مزايا الطرف الآخر مبرزا مقدار التشابه والتوافق فى المزايا والاتجاهات والقيم والأهداف .

المرحلة الثالثة :

مرحلة التوافق والإتفاق والإلتزام ، وهنا يقتنع كل طرف بالطرف الآخر من حيث المزايا والقيمة ، ويتوقف عن البحث عن بدائل أخرى مكتفياً بما توصل إليه من علاقة مع الطرف الآخر.

(1)S . Worchel & J B. Gooper , Understanding Social Paychology (Revided ed.) The Dorey Press ,
Wood , Llinise . 1979 . P . 107 .

المرحلة الرابعة :

مرحلة الاعلان عن العلاقة وتعزيزها وتثبيتها ، حيث تُعْلَن القرارات التى تُعبر عن الاقناع والالتزام الذى توصل إليه الاطراف فى الخطوة السابقة كتأكيد على نمط العلاقة التى تم التوصل إليها وتحقيقها عن طريق التفاعل ، والأخصائى الاجتماعى الذى يمارس العلاج الإسلامى عن طريق أساليب التربية الإسلامية الذاتية والبيئية الذى يتفاعل مع الأحداث المنحرفين بهدف علاجهم يحاول تطبيق تلك المراحل الأربعة :

فهو أولاً : يقوم بعملية التعارف بينه وبين كل واحد منهم موضحاً لهم أهدافه والفوائد التى سوف تعود من ممارسة العلاج الإسلامى ، وفى هذه المرحلة يحاول الأحداث المنحرفين سبرغور الأخصائى الاجتماعى للتأكد من مقدرته على إفادتهم ، وعندئذ تبدأ المرحلة الثانية حيث تظهر العلاقة المهنية المبنية على الثقة والاحترام والحب التى تكون بمثابة الحافز والمشجع لهم ، والتى نسميها علاقة المحبة والمودة التى يعتمد عليها الأخصائى الاجتماعى فى إقناعهم بالقيم الدينية التى يسعى إلى تكوينها لديهم ، وفى المرحلة الثالثة يتم تدعيم تلك العلاقة وتقويتها حتى يتم الاتفاق والالتزام بالقيم المستدمجة حتى نصل إلى المرحلة الرابعة التى يتم فيها الاقناع والالتزام التى توصل إليها أطراف تلك العلاقة ، وبذلك تتم عملية التفاعل الاجتماعى بينهما والتى تعود بدورها إلى استكمال أو إعادة التنشئة الاجتماعية لهؤلاء الأحداث المنحرفين وبذلك يتم تقويم سلوكهم وعلاج انحرافهم .

وبذلك يتعلم الحدث المنحرف كيف يُصبح كائنا اجتماعياً ، يعيش فى جماعة ويسلك سلوكاً اجتماعياً مناسباً لكل ظرف ، ويتعلم كيف يلتزم بقيم معينة، وعقائد معينة ، وعادات معينة ، وتقاليد معينة ، إنها لا شك عملية اجتماعية على جانب كبير من الأهمية ، هى تفاعل اجتماعى على أوسع نطاق ، يجرى بين الفرد من جهة ، وبين المجتمع من جهة أخرى ، ويسمى علماء الاجتماع ، وعلماء النفس ، وعلماء النفس الاجتماعى ، هذه العملية بالتنشئة الاجتماعية Sociaization تلك "العملية التى عن طريقها ينمى الفرد وتنمى شخصيته ، وتنتقل عن طريقها من جيل لآخر" (١) وهى عملية طويلة تبدأ منذ الولادة ولا تنتهى إلا بنهاية الحياة الطبيعية للفرد ، وهى على مراحل متعاقبة لكل مرحلة طبيعتها وعناصر ثقافية تختص بها ، وعلى الفرد أن يستوعب فى سيرته الطويلة جميع متطلبات هذه المرحلة بصورة متواصلة وبدون انقطاع ، ولذلك فإن عملية التنشئة الاجتماعية ذات هدفين مزدوجين ، أولهما بناء شخصية الفرد وإنمائها بصورة مستمرة ،والهدف الثانى ضبط سلوك الفرد وتوجيهه ، وفقا لمتطلبات الجمعية ، وكلا الهدفين يتضمن التوافق الشخصى والاجتماعى .

هذا ما توصل إليه الباحث عندما مارس العلاج الإسلامى للأحداث المنحرفين فقد قام بدور هام وأساسى فى إعادة تنشئتهم عن طريق التربية الإسلامية التى تُنمى لديهم القيم الدينية التى يستدمجونها فى ضمائرهم بما يساعدهم على الوقاية والعلاج بالنسبة للسلوك المنحرف ، وعملية تكوين الضمير

(1)Berard Philips, Soiolgy " From Croncepts to Pratice Mc G. aw Hill , Book Co., 1979 P608.

وأن كانت دعامتها الأولى تتكون فى مرحلة الطفولة المبكرة ، فهى عملية مستمرة وهى ترتبط فى البداية بوعى الطفل بذاته وتكوين صورة عنها ثم تكوين صورة عن الذات كما يتمنى الفرد أن تكون ذاته ، وهذه العملية تتضمن تحولا من السلوك بدافع الخوف والخضوع للغير إلى "التفضيل" القائم على احترام الذات والاعتزاز بالنفس ، وتحولا من مجرد الرغبة فى التوافق مع الجماعة والسعى لإرضائها أو الحصول على رضاها ، إلى العمل وفق صورة الذات المثالية التى تُعد أرقى المستويات فى نمو الضمير وهو المستوى الذى تهدف إليه التربية الإسلامية عن طريق استدماج القيم الدينية .

والعلاج الإسلامى كما يقترحه الباحث بأساليبه الذاتية والبيئة يهدف إلى تنشئة إجتماعية إسلامية يجد فيها الحدث الوقاية والعلاج لأى سلوك منحرف .

التوجيه الدينى والعلاج الذاتى والبيئى :

تعانى الإنسانية اليوم من ضياع الطفولة ، إما بسبب المبالغة فى الإباحة والتدليل وإنعدام للضوابط فى معاملة الأطفال ، وإما بسبب الإفراط فى الشهوات وإنعدام ضابط الغرائز ، انعدا ما أضاع ملايين الأطفال غير الشرعيين ، وأما بسبب الإفراط فى ابتذال المرأة افراطا جعلها تخالط الرجال فى كل شىء فتفقد أنوثتها ومكانتها الأولى فى تربية الأطفال ، ومن كل ذلك نشأ تفكك بنيان الأسرة ، وضاعت الطفولة ، كما ضاعت الأنوثة والرجولة معا وأصبحت الإنسانية تعيش فى بؤس ونيه وشقاء (١) .

---

(١) عبد الرحمن النحلاوى ، "أصول التربية الإسلامية وأساليبها" ، دمشق ، دار الفكر ، ١٩٧٩ ، صـ ١١ .

ولذلك زاد إنحراف الأحداث وزاد عددهم بدرجة خطيرة بالرغم من زيادة عدد المؤسسات التى تقدم لهم ألوان الرعاية الاجتماعية والنفسية ، إلا أن أعدادهم لم تنقص ولم تنجح خدمات تلك المؤسسات ، وهذا دليل على قصور الخدمات التى تُقَدَّم فى تلك المؤسسات ، بل والأدهى من ذلك وأمر هو انتشار كثير من ألوان السلوك المنحرف داخل تلك المؤسسات التى من المفروض أنها مؤسسات علاجية أُنشئت خصيصا لتقويم الإنحراف وتعديل السلوك المنحرف .

ولذلك بدأت الخدمة الاجتماعية تُقَيِّم خدماتها فى تلك المؤسسات واعترفت بقصورها ، وبدأت تبحث عن أساليب جديدة تُخرجها من أساليبها التقليدية المستوردة من المجتمعات الغربية التى تختلف فى عاداتها وقيمها وإتجاهاتها عن مجتمعاتنا العربية اختلافا كبيرا .

فى هذه الفترة الحرجة التى تمر بها البشرية : الفترة التى يصل فيها الفزع إلى غايته ، والقلق إلى أقصاه .. يتبدى واضحا إلى أى مدى تخبطت البشرية حين شردت عن الله وعن منهجه فى الحياة .

لقد تخبطت البشرية ما بين عبادة العقل ، وعبادة الجسم ، وعبادة المادة وعبادة الحتمية التاريخية ، والحتمية الإقتصادية ، والحتمية الاجتماعية .. إلى أخر هذه الآلهة المزعومة التى يعبدها الناس فى هذا الجيل ليهربوا بها من عبادة الله ! .. فكانت الشقوة التى تُفسد الأعصاب والنفوس ، وكان العذاب الذى يمس الأفراد والجماعات ، وكان الفزع الدائم من الدمار الرهيب .

وليس للبشرية علاج من هذه الشقوة المفسدة ، والعذاب المفزع إلا أن تعود إلى الله لتجد الأمن والرعاية فى حماه ، وتجد التوجيه الراشد فى منهجه للحياة(١).

ومنهج التربية الإسلامية هو المنهج المناسب للحياة بما فيه من توجيه واشاد ، وهو الذى يقدم العلاج الإسلامى المفاعل لكل هذه المشكلات ، وفيه النجاة والخلاص ، فهو الربانى لتقديم البشرية وتوجيهها ، لترشد وتتوازن ، وتسلك سلوكها المستقيم فى الحياة .

ولذلك لجأت الخدمة الاجتماعية إلى ممارسة العلاج الإسلامى وتحمست لتطبيقه وتجريبه فى مؤسسات الأحداث المنحرفين بهدف تقويم إنحرافهم وتعديل سلوكهم ، لعلها تجد فيه أسلوب العمل المناسب وطريق العلاج الأمثل بعد أن ضاقت بها السبل وعجزت أساليبها العلاجية التقليدية عن علاج الأحداث المنحرفين (٢) .

([1]) محمد قطب ، " منهج التربية الإسلامية " بيروت ، الطبعة الثانية ، دار النفائس ،صـ٥ .

([2]) أنظر : محمد سلامة محمد غبارى : إتجاه علاجى جديد لعلاج الأحداث المنحرفين ، مرجع سابق .

محتويات الكتاب

تابع / محتويـــات الكتـــاب

تابع / محتويات الكتاب

تابع / محتويـــات الكتـــاب